مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



عدد خاص

وفيه القسم الثاني من بحوث ندوة

(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦ حتى ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧)

جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٨م

نحو منهجية للتعريب اللفظي

د. ممدوح محمد خسارة

مقدمة:

يحمل مصطلح (التعريب) في هذا العصر مفهومات عدة هي:

- جعل لغة الإدارة والتعليم هي العربية.
- نقل العلوم إلى اللغة العربية.
- الترجمة.
- وضع المصطلح العلمي العربي.
- نطق الكلمة الأعجمية والتلفظ بها على منهاج العرب وطريقتهم مِمَّا يُلحقها بالكلم العربي، وهو ما يسمي (بالتعريب اللفظي)، أو الصوتي.

وهذا المفهوم الأخير هو مدار بحثنا، وهو ما يعنيه القدماء عند إطلاق المصطلح.

والتعريب بهذا المفهوم قائم على اقتراض كلمة أجنبية - هي على الأغلب مصطلح علمي - واستعمالها بعد تغييراتٍ صوتية فيها، تقرّبها من بنية الكلمة العربية، مما يُسَهِّل اندماجها في أسرة اللغة العربية، ويُطلق على هذا النوع من الكلم اسم (المعرَّب).

أما استعمال الكلمة الأجنبية المقترضة على حالتها في لغتها الأصلية مع احتفاظها بمياسم العجمة التي تُبعدها - بدرجة أو بأخرى - عن بنية

الكلمة العربية، فذلك ما يضعُها في إطار (الدخيل) المهيَّأ للإبعاد من الاستعمال اللغوي، ريثما يعرَّب أو يولَّد له لفظ عربي مقابل.

غدا التعريب اللفظي ضرورة لا غنى عنها في العصر الحديث، بعد تعاظم أهمية الترجمة والنقل إلى العربية. ذلك أن ازدياد الحاجة إلى المصطلحات العلمية وعدم توفر الوقت الكافي أو القدرة اللغوية والعلمية لتوليد مصطلحات عربية مقابلة، جعل التعريب اللفظي مصدراً ميسوراً لوضع المصطلح العلمي. فلقد بيَّنت لنا دراسة عينة إحصائية من أربعة معجمات تخصُّصية، أن نسبة الألفاظ المعربة فيها هي (١٢,٥٪)[١]. وهي نسبة عالية قد تحمل آثاراً سلبية، إن لم نحسن التَّقْعيد لها.

اهتم القدماء (بالمعرب) فألفوا فيه كتباً عديدة انصبّت في معظمها على جمع الكلمات الأعجمية المعَرَّبة وتصنيفها. ولكن مما يلاحظ على هذه الكتب أمران بارزان[٢]:

أ - عدم وجود معايير دقيقة لتقرير عجمة الكلمة. فاعتمدت على أقوال المتقدمين تارة، وعلى معرفة المصنِّفين الشخصية - على تفاوت دقتها - تارة أخرى، وعلى معايير صوتية، في الأقل من ذلك.

ب - عدم التمييز الدقيق بين المعرب والدخيل. بل والمولّد أحياناً فقد

(١) هي معجم مصطلحات علمية للدكتور صلاح الدين الكواكبي، ومعجم الرياضيات المعاصرة للدكتور صلاح أحمد ورفاقه، وقاموس الكيمياء لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ومعجم المصطلحات الأدبية لإبراهيم فتحي.

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر للكاتب. نظرات في كتب المعرب - مجلة التراث العربي ع ٥٩ ص ٦٤.

أحصى بعض الباحثين الكلمات المقترَضة في حرف الباء من (لسان العرب) فتبين له «أن المؤلف غير مستقر على تسمية واحدة لظاهرةِ الاقتراض اللغوي فقد استعمل (١٧) مرة مصطلح (معرّب). و(٨) ثماني مرات مصطلح (دخيل) و(٥) خمس مرات مصطلح (أعجمي)، و(٤) أربع مرات مصطلح (أعجمي معرب) على أنه قد يجمع بين هذه المصطلحات جميعاً في وصف واحد كأن يقال: (دخيل في العربية أعجمي معرّب)[1]».

ومرّد هذا إلى أن الحدود بين هذه الأنواع الثلاثة (المعرَّب - الدخيل المولّد) لم تكن واضحة. فهي - على حد علمنا واطلاعنا - لم تدرس دراسة وافية تميز بعضها من بعض. ولعل ذلك يعود إلى أنها لم تكن لتشكل في ذلك العهد ظاهرة مقلقة، لأمرين: أولاً، لأن اللغة العربية كانت في حالة مدّ وعطاء، كما الحضارة العربية الإسلامية عصرئذ. وثانياً: لأن اهتمام اللغويين إذ ذاك كان منصباً على التمييز بين الكلم الاحتجاجي وغيره، لأنه كان مقياس فصاحة اللفظ وبلاغة العبارة، أما التمييز بين أنواع من الألفاظ كلها غير احتجاجية فلا ينبني عليه أية فوائد عملية تخدم اهتماماتهم.

أما الآن فقد غدت المعرَّبات إلى كثرة مؤذنة بمخاطر، إن لم ننهج (التعريب اللفظي) ليكون أداة مأمونة في التنمية اللغوية، تضاف - عند الحاجة - إلى أدوات التوليد اللغوي الأصيلة في العربية، أعني الاشتقاق بأنواعه والمجاز بأشكاله. ولا يجوز الخلط بين ما هو مولّد أو معرَّب أو دخيل؛ فالمولَّد عربي فصيح، والمعرّب جار على سنن العربية، قابل للاندماج في أسرتها أما الدخيل فاستعماله مؤقت ولضرورة. وبقاؤه يُوهنُ من أسس اللغة.

---

(١) د. محمد رشاد الحمزاوي - دور التعريب في تطوير اللغة: ٤٠.

إن غياب منهجية واضحة للتعريب اللفظي عند القدماء قد أجاءهم إلى الاختلاف في تعريب الأسماء الأعجمية، وتعدّد صيغها تعدُّداً يذهب الفائدة من تعريبها، لتكون مصطلحاً علمياً موحَّداً بين أهل الاختصاص. وعلى سبيل المثال (فقد عرّبت كلمة (TARA XOCOR) - وهي نبات (اليَعْضيد) - بما ينيف على الثلاثين شكلاً تشترك جميعها، بل تتبارى في الثقل والإغراب، منها (طرخشقون - تلخشكوك - تلحسكوك، طليخم...)[1].

كما أنَّ غياب تلك المنهجية حدا بنا إلى التشوّف إلى منهجية للتعريب اللفظي في العصر الحديث.

منهجية التعريب اللفظي:

توارث المعجمات العربية بعضها عن بعضها الآخر، حدّ التعريب القائل: «تعريبُ الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها»[2].

لكن أحداً من اللغويين القدماء لم يحاول أن يبين ما تعنيه كلمة (منهاجها)، التي توحي بجلاء، بأن ثمة (منهاجاً) للتفوه بالألفاظ العربية يطرد عليه التفوه بالألفاظ الأعجمية عند تعريبها.

فما منهاج العرب في التفوه أو التلفظ؟

إننا نرى أنّ ذلك المنهاج هو التزام (النظام الصوتي العربي).

والذي نعنيه بالنظام الصوتي العربي ثلاثة ثوابت هي:

---

(١) د. محمد عمار - المصطلحات الطبية - مجلة مجمع القاهرة ٨: ٤٢.

(٢) الجوهري - الصحاح - عرب. ومثله في اللسان والقاموس والتاج.

الحروف والأصوات العربية.

الإيقاع الصرفي العربي.

البنية الصوتية العربية.

وإن لتحديد هذا النظام الصوتي العربي الشأن الأول في بحث التعريب، لأنه وسيلة التفريق بين ما هو معرّب وما هو دخيل من الكلم المقترَض. فما انضوى تحت هذا النظام حُكِم له بأنه (معرّب)، مما يُدخله في إطار العربية ليصبح جزءاً من ثروتها اللفظية وأدواتها الدلالية، تسري عليه أحكامها، لأنه اندمج فيها نهائياً. أما ما اختل فيه واحدٌ من عناصر النظام الصوتي العربي فسيحكم عليه بأنه (دخيل)، يظل خارج حرم اللغة، لأنَّ من طبائع اللغات ألاَّ تقبل إلا ما ينسجم مع قواعدها وضوابطها.

إننا نرى أن تهدّينا إلى هذا النظام الصوتي العربي الذي هو الضابط الأساسي للمعرّب يمكن أن يُعَدَّ إضافة جدية إلى بحوث التعريب، لأنه يضع حدّاً فاصلاً بين المعرب والدخيل، الأمر الذي حام حوله الباحثون السابقون دون أن يقعوا عليه، وطالما غامت الحدود بين هذين النوعين من الكلم.

تتكون مرجعيتنا في تحديد هذا النظام الصوتي العربي من ثلاثة مصادر:

١ -الألفاظ المعربة في عصر الاحتجاج.

٢- أقوال اللغويين والصرفيِّين العرب، القدماء والمحدثين.

٣- المصطلحات المعرَّبة الحديثة التي كُتب لها الرواج والشياع.

وفي محاولة لمعرفة مدى تطابق المعربات الحديثة مع ثوابت النظام الصوتي العربي وعناصره عمَدْنا إلى عينة عشوائية مكوَّنة من مئة كلمة

مقترضة وردت في معاجم حديثة متخصصة. ثم عرَضْنا هذه الكلمات المقترضة على عناصرِ ثوابتِ هذا النظام الصوتي العربي، فوجدنا أن معظمَها قد تحققَّت فيه تلك العناصر، فحكمنا له بالتعريب، وأن القليل منها فاته عنصرٌ أو أكثر، فحكمنا عليه بالدخالة[1].

١- نقل الحروف والأصوات إلى العربية:

يقول (سيبويه) في باب اطراد الإبدال من الفارسية: (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (الجيم) لقربها منها. ولم يكن من إبدالها بدٌّ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو (الجُرْبز والآجر والجَورَب)، وربما أبدلوا (القاف) لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم (قُرْبز) وقالوا: كُرْبَق وقُرْبَق للحانوت.. ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء (الفاء)، نحو (الفِرِند والفندق)، وربما أبدلوا (الباء) لأنهما قريبتان جميعاً. قال بعضهم (البِرند) فالبدل مطردٌ في كل حرف ليس من حروفهم، يبدلون منه ما قرب منه من حروف الأعجمية)[2].

ويقول (السيوطي): «الحروف التي يكون فيها البدل في المعرّب عشرة: خمسة يطرد إبدالها وهي: (الكاف والجيم والقاف والباء والفاء)، وخمسة لا يطرد إبدالها، وهي: (السين والشين والعين واللام والزاي). فالبدل المطرد هو كل حرف ليس من حروفهم كقولهم (كُرْبَج)، الكاف فيه بدل من حرف الكاف والجيم، فأبدلوا منه الكاف والقاف (قُرْبَق)، أو الجيم نحو (جورب)، وكذا (فرند) وهو بين الباء والفاء، فمرة تبدل منه الباء، ومرة

(١) ينظر الملحق (قائمة الكلمات المقترضة). في آخر البحث.

(٢) سيبويه - الكتاب ٤: ٣٠٥- ٣٠٦ وعنه: الجواليقي - المعرب:٥٤- ٥٥.

تبدل منه الفاء. أما مالا يطّرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم (إسماعيل) أبدلوا السين من الشين، والعين من الهمزة وأصله (إشمائيل)[١]».

واضحٌ من هذا أن القدماء كانوا حريصين على ألا يدخلوا في حروف العربية ما ليس منها.

على أنهم اختلفوا في طريقة إبدال هذه الحروف، فلم يكن لهم طريقة واحدة في نقلها، كما رأينا في نصَّيْ سيبويه والسيوطي، وزاد الاختلاف بعد النقل من اللاتينية، إذ نقل الحرف اللاتيني (C) إلى الأحرف العربية (ق، ك، ج، س، ح، ن، ش). ونقل الحرف اللاتيني (V) إلى تسعة أحرف[٢].

ولكن مع ذلك فثمة حالة غالبة لنقل كل حرف عند القدماء وهي كما يلي:

j = ج	c = ق	T = ط	H =ء (همزة)
P = ب	K = ك	W = و	Z= ز
V = ب	Q = ق	X = ش[٣]	

ازدادت مشكلات المعرّبين المحدثين عند نقل الحروف والأصوات الأجنبية، وذلك في إطار محاولتهم تقعيد التعريب اللفظي، لازدياد اللغات التي يعرِّبون عنها، وتعدد حروفها وأصواتها.

وقد طغت على معظمهم فكرةٌ مفادها أن اللفظ الأعجمي المعرّب

---

(١) السيوطي – المزهر ١: ٢٧٤.

(٢) د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢٢١.

(٣) د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ٢٢١.

يجب أن يُنطق كما ينطق به أهل لغته. «فالقارئ لقرارات (الأعلام) التي أقرَّها المجمع يرى فيها معنى واحداً يجمعها وروحاً واحداً يسيطر عليها هو الحرصُ على أن ينطق أبناء العربية بالأعلام التي ينقلون إلى لغتهم بالحروف التي ينطق بها أهلوها، وقَسْرُ اللسان العربي على ارتضاخ كل لكنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب وتسجيل هذه الغرائب من الحروف برموزٍ اصطلاحية تدخل على الرسم العربي تزيّداً في الحروف وتكثراً»[1].

لكن هذه الفكرة أخذت بالتراجع والانحسار أولاً بأول، بتأثير من الوعي اللغوي العام، ولمنافاتها طبيعة اللسان العربي.

ولتبيان طريقة المحدثين في نقل الحروف والأصوات الأجنبية إلى العربية نعرض لثلاثة أساليب في نقلها: أسلوب مجمع اللغة العربية في القاهرة[2]، (د. محمد شرف)[3] صاحب أول معجم تخصصي حديث هو (معجم العلوم الطبية والطبيعية)، وأسلوب المجمعي (مصطفى الشهابي) الذي قصر نشاطه التعريبي على المصطلح العلمي والزراعي منه خاصة، جامعاً الممارسة العلمية إلى التقعيد اللغوي والنظري[4].

---

(١) أحمد محمد شاكر - مقدمة كتاب (المعرب) للجواليقي: ١٨ وينظر: ساطع الحصري، في اللغة والأدب: ١٣٥- ١٣٧ ود. محمد رشاد الحمزاوي - أعمال مجمع القاهرة: ٢١٣.

(٢) مجمع اللغة العربية: مقترحات لجنة المصطلحات، مجلة مجمع القاهرة ١٦: ٨٣ وينظر د. إبراهيم بن مراد - المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢١٩.

(٣) د. محمد شرف، معجم العلوم الطبية والطبيعية: ٢٥- ٣٠.

(٤) مصطفى الشهابي - المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ١٠٦- ١١٥ وينظر

- ٧ -

	الحرف اللاتيني أو الأجنبي	المقابل العربي عند: مجمع القاهرة	[illegible]	مصطفى الشهابي	الأمثلة
١	C	س، ك [illegible]	[illegible]	[illegible]	Secrete [illegible]; [illegible]; [illegible]
٢	D - δ (ذا)	د، ذ	د	د (الأعلام والمصطلحات)	
٣	F	ف	ف		
٤	G / γ (غا)	ج، غ	ج، غ	غ [illegible]	[illegible]
٥	H	هـ [illegible]	هـ	هـ [illegible]	[illegible]
٦	Ch	[illegible]	ك / خ	خ	[illegible]
٧	J	ي [illegible] / ج [illegible] / خ [illegible]	ج	ي	[illegible]
٨	[illegible]	ڤ	ڤ	[illegible]	[illegible]
٩	P - Ph	ف	—	[illegible]	

د. إبراهيم بن مراد - المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢١٤.

- ٨ -

	الحرف الإغريقي أو اللاتيني	المقابل الذي عند: مجمع القاهرة	د. محمد شرف	ادوار الياس	النموذج
١٠	K (كبا)	ك	ك، ه	ه	كلتيا leukaemia [illegible]
١١	Q	ك (سابقاً ق)	ق	ق	قونطس quintus
١٢	T	ت (سابقاً ط)	ط	ط	طيطس titus
١٣	TH - (θ ثيتا)	ث، ذ	-	ث	
١٤	S - (σ سيغما)	س، ش، ص، ز، ص	س، ش، ز، ص	س	[illegible]
١٥	V	ف	ف، و	و	[illegible]
١٦	W	و، ف	-	-	
١٧	X	كس، كز، خ	كس	[illegible]	[illegible]
١٨	Z (ζ زيتا)	ز، تز	-	ز	[illegible]
١٩	ψ	بس	...	-	

	الصوت اللاتيني أو الإغريقي	المقابل العربي عند: مجمع القاهرة	د. محمد شرف	[illegible] الشهابي	النموذج
٢٠	A (ألف)	ـَ فتحة	آ	آ - أ (المدّية)	ماسينيون Massignon - آرتي argile
٢١	U	يُ و	ضمة، يُ، يو	و، ـُ (وادي الفالي)	نيريا Haga ... - [illegible]
٢٢	I	ـِ (كسرة)	—	—	جب Gibb
٢٣	Â	آ	—	—	لالاند Lalande
٢٤	Û	و	—	—	لوفوا Louvois
٢٥	[illegible]	ي	ي، أي	[illegible]	[illegible] ascoli [illegible]
٢٦	O (الفتحة)	أ (الضمة مخففة)	—	[illegible] (الياء الثانية)	أكسفورد Oxford
٢٧	EI - AI	أي (بالإمالة)	—	أي [illegible] (AI)	فولتير Voltaire
٢٨	E [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] - [illegible]
٢٩	[illegible]	[illegible]	و، أي	[illegible]	[illegible]
٣٠	AE	—	أي	[illegible]	[illegible] ... مريم ... arcadium
٣١	E.U.	—	أو	[illegible]	[illegible] Pasteur
٣٢	[illegible]			[illegible]	[illegible] - Paradise
٣٣	[illegible]			[illegible]	
٣٤	AU - AW			[illegible]	
٣٥	[illegible]			[illegible]	

تمثل هذه المحاولات الثلاث مجمل آراء المحدثين في نقل الحروف والأصوات الأجنبية إلى العربية، وقد جمعت - برأينا - طالحاً إلى صالح، ففيها نظر، ولنا عليها أقوال.

إن أخطر مافي هذه المحاولات مما يجب دفعه أمران:

الأول: إدخال حرفين جديدين إلى العربية هما (الباء الفارسية) التي اقترح لها باء بثلاث نقاط (پ) لتقابل الحرف اللاتيني (P) (والفاء بثلاث نقاط: ڤ) لتقابل الحرفين اللاتينيين (W,V). وأولئك الذين قرروا إدخال هذين الحرفين أو غيرهما إلى لغتنا كانوا يهدفون إلى أن ننطق الكلمات الأجنبية وفق ما ينطقها أهلوها.

ولنا أن نتساءل عمّا ستكون عليه الأبجدية العربية وأصواتها بعد قرن من الزمان؟ فإذا أدخلْنا من اللاتينية وحدها ثلاثة أحرف أو أربعة[1] فكم يكون علينا أن ندخل من الحروف من لغاتٍ بدأنا بالتعريب عنها كالروسية واليابانية والأردية؟ إنه لن يطول الوقت - والحالة هذه - حتى تصبح أبجديتنا خليطاً من حروف شتى، لأن معظم تلك اللغات تحتوي حروفاً ليست من لغتنا، وأي مدرج صرتي سوف يتسع لكل تلك الحروف والأصوات على بعد ما بينها؟[2] وليس مفخرةً أن تطوّع حنجرة العربي لاستيعاب أصوات الآخرين فنضيّع -

(١) محمود السلاموني - دراسة تفصيلية حول كتابة الأعلام بحروف عربية - مجلة مجمع القاهرة ٢٩: ١٠٣.

(٢) د. أحمد مختار عمر. علم الدلالة: ٢٥٩.

حتى في حال نجاحنا - واحدة من أبرز خصائص لغتنا[١].

لقد ضاق المجمعي مصطفى الشهابي ذرعاً بأولئك الذين «لا ينطقون بالأسماء العلمية المعرّبة إلا كما ينطق بها في اللغات الأوربية، وتساءل منكراً: «فما الذي يجبرهم على التعاجم، ولماذا لا ينطقون بالحرف (o) واواً، وبالحرف (E) ياء، كما في (مكروب microbe)؟ ثم يعلل استنكاره قائلاً: «وعندما يقتبس الأوربيون من العربية كلماتٍ فيها أحرف خَلَت من لغاتهم لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة؛ فالفرنسيون مثلاً عندما فَرَنسوا كلمة (قُبّة) قالوا :(كبة Koubba) بالكاف، و لم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم»[٢].

أما من حيث الممارسة العلمية لنقل الحروف إلى العربية، فقد التزم معظم المعرّبين الحروفَ العربية، فمن مجموع مئة كلمة مقترَضة، أدخل المعربون في ثلاثٍ منها حرفين أجنبيين هما الفاء بثلاث نقاط في كلمة (ڤلا) والكاف الفارسية بمدة فوقها (گـ) في كلمتي (اديوگراف واديوگرام)[٣]، لمقابلة الحرف (G).

إن الذي نراه أن من غير المجدي وضع قواعد صارمة لنقل الحروف إلى العربية، والأسلم أن نقول: ينقل الحرف الأعجمي إلى أقرب الحروف العربية إليه، مع مراعاة طبيعة النطق المعاصرة لذلك الحرف في لغته، فإذا كان

(١) د. مصطفى جواد - المصطلحات العلمية والفنية، مجلة المجمع العراقي ٢: ٢١١.

(٢) مصطفى الشهابي. ملاحظات لغوية اصطلاحية - مجلة مجمع دمشق ٣٧/١: ١٠.

(٣) ينظر قائمة الكلمات المقترضة في الملحق: رقم ٦٤، ٦٥، ٩٦.

الحرف (j) ينطق (ياء) في الألمانية كما في (يينا = Jena)، فإنه ينطق (جيماً) في الفرنسية المعاصرة، و(خاء) في الإسبانية كما في (موخاكار Mojakar) كما أن الحرف (CH) ينطق شيناً في الفرنسية، و(تش) في الإنكليزية و(شيناً أو خاء) في الألمانية، وينطق (كافاً) في بعض اللغات[1]. وطالما أدى التقيد الشكلي بنقل الحروف إلى معربات أو دخيلاتٍ ثقيلة وغير مألوفة كنقل حروف كلمة (Kéléopatra) إلى (قَلاوْفِطْرة) بدل (كليوباترة)[2] ونقل (Lybie) إلى (لوبيا) بدل (ليبيا) ونقل حروف (Norwége) إلى (نورباغة) بدل (نروج)[3].

الأمر الثاني: الذي يجب دفعه، هو إدخال حركاتٍ أو أصوات جديدة إلى اللغة العربية. كأن «يرمز للإمالة إلى الكسر بألف صغيرة فوق الياء، وللإمالة إلى الضم بألف صغيرة فوق الواو كما هو مُتَّبع في رسم المصاحف. مثل (فوالتيرا)»[4].

فمن المعروف أن الحركات في العربية ثلاث هي الضمة والكسرة والفتحة، أما الإمالة فهي ليست حركة، وإنما هي «أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة والضمة، وبالألف نحو الواو والياء، كما في العين والألف من (عابد) والصاد واللام في (صلاة)[5]» وهي محكومة بعادات صوتية لهجية، وقد تكون متاركَ وآثاراً من اللغة القديمة الأم.

---

(١) مصطفى الشهابي. المصطلحات العلمية: ١٦٦- ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ١٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) مجمع القاهرة، مقترحات لجنة المصطلحات، مجلة مجمع القاهرة ١٦: ٨٣- ٨٥.

(٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١: ٥٠-٥٢- ابن عقيل، شرح الألفية ٢: ٤٢٧.

والغرض من وضع رموز لهذه الأصوات إدخال حرف(o) اللاتيني واستبداله بالواو العربية، وإدخال الحرف اللاتيني (é) إلى لغتنا. ولقائل أن يقول: لكننا ننطق فعلاً هذه الأصوات أحياناً في استعمالاتنا اليومية، هذا صحيحٌ، لكن استعمالها خارج القاعدة اللغوية لفترة زمنية محدَّدة شيء، وتقعيدها في العربية شيءٌ آخر، ومَثَلُها في ذلك مَثَلُ كثير من العادات الصوتية اللهجية في البلاد العربية من تفخيم أو ترقيق لبعض الحروف، فهي ظواهر صوتية قد تنتشر خارج إطار اللغة دون أن تقعَّد فتكتسَب الشرعية اللغوية، لأن فتح باب التفصيح لكل ظاهرة صوتية وتأصيلها، سوف يغيّر - على المدى الطويل- خصائص اللغة ويفسد من بنيتها.

ثمة ملاحظتان على هامش هذه القضية تجدر الإشارة إليهما:

١ - «إن مجموع هذه القرارات (قرارات نقل الأصوات الأعجمية إلى العربية) والتعديلات، هي من مبادرة المستشرق الإيطالي (نلّينو)[١] الذي كان - على ما نظن - يحاول تجسيد مقررات مؤتمر كوبنهاجن اللغوي سنة (١٩٢٥)» بوضع نظام دولي لرسم الأصوات ونقلها[٢]، ذلك المؤتمر الذي أوصى بصيغة غير مباشرة بتطبيق المقترحات الداعية إلى اعتماد الحروف اللاتينية ابتداء من ٢٤ يوليو ١٩٢٩ حروفاً دولية بتأييد خاص من المعهد الدولي للتعاون الفكري

(١) د. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع القاهرة: ٢١٦.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

المنبثق عن جمعية الأمم» [١]، وغني عن البيان أن تلك القرارات إنما وضعت لتخدم فكرة سيطرة اللغات الأوربية وأمِّها اللاتينية على ما سواها من اللغات الإنسانية وهي فكرة تخلو من الموضوعية والعلمية.

٢- إن تلك القرارات التي اتخذها مجمع القاهرة وغيره بإدخال حروف أو أصوات جديدة إلى العربية، لم تلق مقاومة من اللغويّين الأزهريين فحسب[٢] بل قد تجاهلها معظم الكتاب العرب، فلم نر من استعملها باطّراد، مما يؤكد عدم انسجامها مع البنية الصوتية العربية.

٢- الإيقاع الصرفي العربي:

اختلف اللغويون والمعرّبون المحدثون حول وجوب التزام الكلمة المعرّبة الوزن العربي أو عدمه، متابعين خلاف القدماء حول هذه المسألة.

إلا أن معظم اللغويين المحدثين لم يضعوا شرط الوزن العربي للمعرّب. فالمجمعي طاهر الجزائري لم يأتِ على ذكره عندما بيّن ما يجب مراعاته عند التعريب[٣] . أما مجمع القاهرة فقد نشر في مجلته مقالاً ضافياً لمحمد شوقي أمين بعنوان: (جواز التعريب على غير أوزان العرب)، يذهب فيه إلى جواز عدم التزام الوزن العربي. ويعزو مقولته هذه إلى ابن برّي وأبي

(١) المصدر السابق: ١٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

(٣) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٤٣- ٤٨.

حيان الأندلسي والشهاب الخفاجي وعبد القادر البغدادي[١]. وتحدث المجمعي العراقي طه الراوي عن إلحاق المعرّب بأوزان الكلم العربية فقال: «إن الجمهور من أهل اللغة لا يشترطون ردّ المعربات إلى أبنية اللغة العربية، ولكنهم يستحسنون ذلك إذا جاء بسهولة، لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة بأوزانها، ولذلك استعملوا (نيروز) أكثر من (نوروز)، لأن (نيروز) أدخل في كلامهم وأشبه به كقيصوم وعيثوم. وبهذا نعلم سُخف ما ذهب إليه بعض المعاصرين المتشدّدين من وجوب إلحاق المعرَّبات بأوزان العرب»[٢].

لكننا نرى أن في عرض المسألة بهذه الصيغة خطأً منهجياً، ذلك أن الكلمات الأعجمية لا توزن أصلاً، لأن الميزان الصرفي وسيلة صناعية خاصة بالعربية الغرض منها تمييز الأحرف الأصلية من الزائدة في الكلمة العربية. ولم يكن الغرض منها أبداً ضبط المعرّبات والتقعيد لها. يقول الشهاب الخفاجي: «إن الأسماء الأعجمية لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحقق في الأعجمية»[٣]. «ولذا اتفق جمهور اللغويين على أن حروف المعرَّب كلها أصول»[٤]، بالإضافة إلى ما ذكرنا فثمة أمور تقلّل من أهمية الميزان الصرفي شرطاً للتعريب أهمها:

---

(١) محمد شوقي أمين - جواز التعريب على غير أوزان العرب، مجلة مجمع القاهرة ١١: ٢٠٠.

(٢) د. أحمد مطلوب - حركة التعريب في العراق: ١٢٠.

(٣) الخفاجي - شفاء الغليل: ٢٣.

(٤) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٢٥٠.

أ - إن جلَّة اللغويين القدامى لم يستعملوا عبارة (موافقة الوزن العربي) بل (الإلحاق بوزن عربي). وثمة فرق بين أن تكون الكلمة على وزن عربي أو ملحقة به، فالإلحاق لا يعني المطابقة.

ب - إن مسألة الميزان الصرفي مسألة خلافية، حتى عند القدماء، فكثيراً ما اختلفوا حول وزن كلمة واحدة[1].

ج - لم تكن الأوزان العربية محدّدة، بل تركت أبوابها مفتوحة لكل كلمة جديدة ليصاغ لها وزن جديد، حتى لو كانت أعجمية. لقد ذكر سيبويه ثلاث مئة وثمانية أمثلة، وما زال من بعده يزيد على أوزانه حتى بلغت عند ابن القطاع ألفاً ومئتين وعشرة أمثلة.

د - إن مجموع الأوزان التي ذكرها الفارابي في كتابه (ديوان الأدب)، وهو معجم للأبنية العربية - لم تزد على (٢٨٨) وزناً منها (١٦٩) وزناً للثلاثي و(٨٠) للرباعي و(٣٩) للخماسي، وهي الأوزان الأكثر شيوعاً، ومن غير المعقول أن تفي هذه الأوزان بكل مستلزمات التعريب اللفظي.

هـ - إن قولهم عن وزن ما: (إنه ليس في كلام العرب) لا يعني أنه لا يجوز البناء عليه، بل يعني أنه لم يرد عن العرب كلمة علي هذا الوزن، ولو وردت لما كان ذلك منكَراً، وهذا ما يفسر تزايد الأوزان الصرفية جيلاً بعد جيل لدواعي ضبط المعرَّبات وتقريبها من الأبنية العربية.

وتأسيساً على ما سبق نرى أن استعمال مصطلح (الوزن الصرفي

(١) ينظر مثلاً: ابن منظور - لسان العرب: أهن. والسيوطي - المزهر ٢: ٣٧٠.

العربي) عند الحديث عن المعربات، ليس صحيحاً. لذلك فإننا نقترح مفهوماً آخر شرطاً من شروط التعريب اللفظي، وهو توفر (الإيقاع الصرفي العربي) للكلمة المعربة.

إن ما نعنيه بالإيقاع الصرفي للكلمة (هو نَسَق تَتَابُعِ حروفِها الساكنة والممدودة وفقَ نظائرها في العربية). ولتوضيح الفرق بين مدلولَيْ كل من المصطلحين: الوزن الصرفي والإيقاع الصرفي للكلمة نقول: إن الأبنية (مِفْعال - فِعْلال - تِفْعال) هي على إيقاع واحدٍ وليست على وزنٍ واحدٍ. لأن مصطلح (الإيقاع) يلغي مشكلة الحروف الزائدة والأصلية في الكلمات، ويبقي على جوهر المسألة، وهو ضرورة توافق المعرَّب والأنساق الصوتية العربية. وعملاً بمقولة (الإيقاع الصرفي) هذه، لا يصبح معنى لأن يقال:

إن سِرْداب ملحقة بِشمْراخ وزنها فِعْلال

وإن قِنْطار ملحقة بعنقاد وزنها فِنْعال

وإن سِرْوال ملحقة بِقرْوَاح وزنها فِعْوال

وإن دِرْياق ملحقة بشِريان ووزنها فِعْيال[1].

فلم لا تكون هذه الألفاظ كلها على إيقاع (فِعْلال)؟ «بل لعله من المنطقي أن تكون إلا كذلك لجهل الأصلي والزائد فيها»[2].

ومن الإيقاع الصرفي: أوزان الجموع، وأوزان الأفعال، ومقارباتها أو نظائرها. والدليل على جواز القياس على المقارِب والنظير ما جاء عن ابن جني حول تمثيل (أَيْمُن) - ويسمي ابن جني الوزن تمثيلاً - «لا يخلو أن

---

(١) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية: ١٢٤.

(٢) المصدر السابق نفسه (وإن كان المؤلف يستخدم مصطلح الوزن).

يكون (أَفْعُلا أو فَعْلُنا أو أَيْفُلا، أو فَيْعُلا) فيجوز هذا كلّه لأن بعضه له نظير، وبعضه قريب مما له نظير. ألا ترى أن (أَفْعُلا) كثير النظير كـأَكْلُب وأَفْرُع، وأن (أَيْفُلا). له نظير وهو (أَيْنُق).

وأن (فَعْلُنا) يقارب أمثلتهم، وذلك (فَعْلَن) نحو: خَلْبَن وعَلْجَن.. وأن (فَيْعُلا) أخت (فَيْعَل) كصَيْرَف، و(فَيْعِل) كسيد»[1]. وفي قول ابن جني ما يؤكد أن المهم في تمثيل البناء ليس الوزن بل (الإيقاع) الذي يجمع إلى الأوزان مقارباتِها ونظائرها.

بهذا المفهوم تستقيم أمور كثير من المعربات التي قيل إنها لم تجئ على أوزان العرب نحو: (قُرْبَق) فإن لم يكن في العربية (فُعْلَل)، فإن فيها وزن (مُفْعَل) اسم المفعول من (أفعل)، وهو على إيقاع صوتي واحد مع (فُعْلَل).

وبهذا المفهوم يفتح بابٌ واسع لتعريب الألفاظ دون أن تمس بنية اللغة العربية وثوابتها الصوتية. فما جاء من المقترض وفق الأنساق الصوتية للمفردات العربية كان لها نظائر في العربية وكان بالتالي على الإيقاع العربي - حكم له بالتعريب، وما لم يجئ على إيقاع عربي فَقَدَ شرطاً يبعده من التعريب اللفظي ويدخله في إطار الدخيل.

إن الذين رفضوا اشتراط الوزن في المعرَّبات لم يزيدوا على أن حلّوا نصف المشكلة، أما نصفها الآخر فهو اقتراح (البديل) عن هذا الوزن، إذ لا يصح ألاّ يكون ثمة ضابطٌ ما، ينظم نسَقَ الأصوات التي

(١) ابن جني - الخصائص ٣: ٦٨ - ٦٩.

تقبلها الأذن العربية أو ترفضها ليكون دليلاً لنا في قبول أو رفض كلمةٍ ما من المعربات.

ونتوصل إلى ضبط إيقاع المعربات باعتبار حروف الكلمة المعرّبة كلها أصولاً، فتقابَل الأحرف الثلاثة الساكنة الأول منها بالفاء والعين واللام، ويقابل الحرف الزائد بتكرير لام - كما هي الحال في وزن الكلمات العربية - وتترك أحرف المد على حالها، كما تترك الزوائد التي قد تلحق الكلمة العربية على حالها، كتاء التأنيث وياء النسبة، والياء المشددة مع الهاء الخاصة بالمصدر الصناعي. إن نسق تتابع الحروف الساكنة وحروف المد في هذه الشروط يعطي الإيقاع العربي للكلمة. قد يتطابق هذا الإيقاع مع الميزان الصرفي والأبنية العربية، وقد لا يتطابق، لكنه لايتعارض والبنية الصوتية العربية.

في ضوء هذا المفهوم نتساءل: إلى أي مدى التزم المعربون المحدثون ما سميناه بالإيقاع الصرفي العربي؟

بالعودة إلى (قائمة الكلمات المقترضة)، وجدنا أن ما التزم الإيقاع الصرفي العربي منها هو (ثلاث وسبعون) كلمة، عددْناها من المعربات مثل كلمة (كاثود) المعربة، إيقاعها الصوتي (فَاعُول) ونظيرها العربي (راقود) وكلمة (أَيُون) إيقاعها (فَعُول) ونظيرها صَبور، وكلمة (أكاديمية) إيقاعها الصرفي (فعاليلية) ونظيرها (خماسينية)[1].

٣- البنية الصوتية العربية:

---

(١) ينظر رقم ١٩، ٥٦، ٩٧ من قائمة الكلمات المقترضة في الملحق.

ما نعنيه بالبنية الصوتية العربية هو مجموعة الخصائص النطقية للغة العربية ولا يخفى تأثرنا - هنا - بمفهوم (الفارابي) ومصطلحه، إذْ يقول عن اللسان العربي. «فبني مباني باين فيها جميع اللغات من إعرابٍ أوجده الله له، وتأليف بين حركة وسكون حلاَّه به، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين متضادين، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطقُ بهما...»[1].

هذه البنية مرتبطة بطبيعة العادات الصوتية الفطرية لدى الإنسان العربي. ولذا لم نر في لغة الاحتجاج خروجاً عنها، ومدارُها كلها على الاستثقال والاستخفاف، لأن «العرب تميل عن الذي يلزم كلامَها الجفاء إلى ما يليّن حواشيه ويرقّها»[2]. وبهذه الصفة الفطرية يختلف مفهوم البنية الصوتية عن مفهوم الإيقاع أو الوزن العربيّين، اللذين هما وسيلتان صناعيتان لضبط حروف الكلمات العربية أصيلها وزائدها، أو لتقريب الكلمات غير العربية من العربية، وسلكها في عقدها بأكبر قدر ممكن من الانسجام. وطالما كانت هذه البنية من وسائل التفريق بين ما هو عربي وما هو أعجمي من الكلم. لقد كان لَحْظُ تنافرٍ بين حروف كلمة ما من أهم الدلائل على عجمتها بل أهمّه. قال (الجواليقي) في «باب ما يعرف من المعرّب بائتلاف الحروف: لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية، فمتى جاءتنا في كلمة فاعلم أنها معرّبة، من ذلك (جلويق وجرندق). ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، من ذلك (الجص والصنجة والصولجان، ونحو ذلك. وليس في

(١) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٢) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء نحو: نرجس، وليس في كلامهم زايّ بعد دال إلا دخيل، ومن ذلك: الهنداز والمهندز، أبدلوا الزاي سيناً، فقالوا: المهندس»[1].

إن ما ورد عن القدماء والمحدثين حول البنية الصوتية للكلام العربي، يجعلنا نحصرها في خمسة عناصر هي:

- عدّة حروف الكلمة العربية.
- ائتلاف حروفها.
- ائتلاف حركاتها.
- عدم جواز التقاء ساكنين فيها.
- بدؤها بحرف متحرك.

ومدار هذا كله على الخفة والثقل في النطق كما قدمنا.

إن تحديد البنية الصوتية للعربية هو من الأهمية بمكان، لأنه من الأدلة الهامة في الحكم على الكلمة المقترضة إن كانت معرّبة أو دخيلة، فما دخل تحت هذه البنية فهو معرّب، وما لم يدخل تحتها فهو دخيل على العربية.

سوف نعرض لكل عنصر من عناصرها بحسب مفهوم اللغويين له ثم نقفي بتبيان مدى التزام المعرّبين المحدثين به.

آ - عدّة الحروف في الكلمة العربية:

قال الخليل بن أحمد: «ليس للعرب بناء في الأسماء ولا الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم

---

(١) الجواليقي - المعرب: ٥٩، ولا يعني هذا أن أحكامه هذه كلها صحيحة.

فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة مثل: (قرعبلانة)، إنما أصل بنائها (قرعبل)، ومثل (عنكبوت)، إنما أصل بنائها (عنكب)[1].

واضحٌ من كلام الخليل أنه يعني به مجردات الكلم فحسب. أما سيبويه فقد حدّد عدد حروف الكلمة مجرّدها ومزيدها في (باب عدّة ما يكون عليه الكلم)، قال: «فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة، لا زيادة فيها ولا نقصان والخمسة أقل من الثلاثة في الكلام، فالثلاثة أكثر ما تبلغ بالزيادة سبعة أحرف، وهي أقصى الغاية والمجهود، وذلك نحو: (اشهيباب)، فهو يجري على ما بين الثلاثة والسبعة والأربعة تبلغ هذا نحو: (احرنجام)، ولا تبلغ السبعة إلا في هذين المصدرين. وأما بنات الخمسة فتبلغ بالزيادة ستة نحو: (عَضْرَفوط). ولا تبلغ سبعة كما بلغتها الثلاثة والأربعة، لأنها لا تكون في الفعل فيكون لها مصدر نحو هذا. فعلى هذا عدة حروف الكلم، فما قصر عن الثلاثة فمحذوف، وما جاوز الخمسة فمزيد فيه»[2]. ولابن خالويه استدراك ليس بشيء[3].

نخلص من هذه الأقوال إلى أن عدة حروف الكلمة العربية لا تقل عن ثلاثة ولا تزيد عن سبعة، فإن قلّت وجب زيادة حرف لتضعيف أحد حروفها، كما ذهب القدماء عند تعريب (صَكْ) الفارسية المؤلفة من حرفين - إلى (صكّ) بتضعيف الكاف[4].

(١) الخليل بن أحمد - العين ١: ٤٩.

(٢) سيبويه - الكتاب ٤: ٢٣٠.

(٣) ابن خالويه - ليس في كلام العرب: ٢٠ - ٢١.

(٤) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٤٨.

وإن زادت وجب حذف بعضها، ليصار بها إلى سبعة أحرف أقصى ما تبلغه الكلمة العربية.

ومن المناسب أن نؤكد مرة أخرى أن حروف المعربات كلها أصول، إذ ليس فيها مجرد ومزيد، وأن نُبَيِّن أن زيادة علامات التأنيث أو النسبة أو المصدر الصناعي أو الجموع، لا تعدّ من الزوائد المخلّة بعدة حروف الكلمة العربية لأنها زيادات عارضة فلا تعطى حكم الثابت من الحروف. إن كلمة مثل (استبداد) مؤلفة من سبعة، ولكنها قد تصبح عشرة في صيغة المصدر الصناعي (استبدادية)، وقد تصبح أحد عشر حرفاً في جمعه جمع سلامة (استبداديات)، مثلاً.. نُنَبه إلى هذا لأننا رأينا في الكلمات المقترضة معرّبات جاوزت سبعة أحرف، لكن هذه الزيادات لم تخرجها عن إيقاع الكلمات العربية و لم تجعلها دون نظائر في لغتنا.

ويُعَلِّل ابن جني هذه الخاصية بقوله: «وعُلِمَ أيضاً أن ما طال وأملّ بكثرة حروفه لا يمكن فيه التصرف ما أمكن في أعدلِ الأصول وأخفها وهو الثلاثي»[١]. وأشار ابن جني في موضع آخر إلى استكراه العرب «ذوات الخمسة لإفراط طولها فأَوْجَبَت الحالُ الإقلالَ منها، وقبضَ اللسان بها، إلا فيما قَلّ وندر»[٢]، لقد أظهر كلام ابن جني العلاقة بين عدد حروف الكلمة وقابليّتها للتصريف. وهي علاقة تناسب عكسي، إذ كلما قَلّت حروفها زادت تصريفاتها. وهذه ملاحظة يجب ألا تغيب عن أذهاننا عند التعريب.

---

(١) ابن جني - الخصائص ١: ٦٩.

(٢) المصدر السابق ١: ٦١ - ٦٢.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة وجدنا أن الكلمات التي جاوزت عدة حروف الكلمة العربية (اثنتان وعشرون) كلمة، مثل (أراكيدونيك، إيكولوجية، أسيلوغراف، أسكليروسكوب، أبستمولوجيا...»[١]، ولذا عدَدْناها دخيلةً في العربية. أما الكلمات التي التزمت عدة حروف الكلمة العربية مع زياداتها العارضة فهي (ثمان وسبعون) أي بنسبة ٧٨٪ مثل (تِنْس) لكرة المضرب، (أَبيرِيَه)، لنوع من شجر الزينة، (أرستقراطية، أطلس، أكتود،...)[٢].

وقد عددنا هذه الكلمات معربة ما لم يختل فيها عنصر من عناصر البنية الصوتية، لم نجد كلمة مقترضة قلت أحرفها عن ثلاثة.

ب - ائتلاف الحروف:

ائتلاف أحرف الكلمة العربية من أهم خصائص البنية الصوتية العربية.

كان بحث ائتلاف الحروف وتنافرها موضع دراسات للقدماء والمحدثين، بل قلّما خلا منه كتاب لغوي[٣].

إنَّ خلوَّ الكلمة من الحروف المتنافرة شرط من شروط فصاحتها وعروبتها، وهو من خصائص اللسان العربي «الذي لم يُلاقِ بين حرفين

(١) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة رقم: (٣، ١٣، ٢٦، ٣٥، ٥٨).

(٢) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة رقم: (٤٨، ٧٢، ٥٤، ٦٦، ٣٨، ٨٠).

(٣) ينظر مثلاً: الخليل بن أحمد - العين ١: ٥٧، وسيبويه - الكتاب ٤: ٤١٧ -٤٤٥ والجاحظ، البيان والتبيين ١: ٦٩، وعبد الله أمين - الاشتقاق: ٤٣١ وما بعدها.

لايأتلفان ولا يعذب النطق بهما، أو يشفع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع كالغين مع الخاء، وكالقاف مع الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق، مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخوات لها، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها، والياء الساكنة مع الضمة قبلها»[١].

وأهم أسباب ائتلاف الحروف هو تباعُد مخارج الحروف في الكلمة، إذ من المعروف أن مخارج الحروف هي أماكن تشكل الصوت في جهاز النطق لدى الإنسان، وهي تبدأ من أقصى جهاز النطق وهو الحلق، وتتدرج خارجة إلى الشفاه مارة بعدة مواضع، وكلما تباعدت مخارج حروف الكلمة كان نطقها أسهل، وكلما تقاربت كان نطقها أصعب وأشق[٢]، وفصَّل ابن جني الأمرَ في موضع آخر فقال: «فقد تحصَّل لنا أن الحروف في التأليف على ثلاثة أضرب: أحدها تأليف الحروف المتباعدة وهو الأحسن، والآخر تضعيف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحسن، والآخر تأليف الحروف المتجاورة وهو دون الاثنين الأولين، فإمّا رُفِض أو قَلَّ استعماله»[٣]. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الحروف تأتلف مع غيرها متقدِّمة عليه، وتتنافَرُ معه متأخرة عنه، فالدال مثلاً تتنافرُ مع الصاد متقدمة عليها، فلا يقال: (دص) في حين تَأتَلف معها متأخرةً عنها، فيقال (صد).

إن خاصية ائتلاف الحروف في الكلمة العربية، هي التطبيق العملي

---

(١) الفارابي – ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٢) ابن جني – سر صناعة الإعراب ١: ٦٥ والخصائص ٢: ٢٢٧.

(٣) ابن جني – سر صناعة الإعراب ٢: ٨١٦ .

لقانون الاقتصاد اللغوي لأن «توفير الجهد اللغوي لا يعني قلة حروف الكلمة، بل يعني قبل ذلك خلوَّها من التنافر»[١].

وثمة تنافر آخر بين الحروف يتأتى بالانتقال من الحروف المستعلية إلى الحروف المستفلة أو المنخفضة، وهو علة الإبدال الصرفي في العربية.

ومما يلحق بالتنافر الثقل ولو كان خفيفاً، فقد قال العرب (صِبْيَة وقِنْيَة) بالياء، وكان قياسها (صِبْوَة وقِنْوَة)[٢]، وما ذلك لِتنافرٍ، إذْ لا تنافرَ بين الباء والواو، ولا بين النون والواو، لكنهم أحسوا ثقلاً فاستحسنوا الهرب إلى الياء تخفيفاً، ومن الثقل التضعيف، ولهذا أبدلوا أحد حرفي المضعف ياء في قولهم (تَظَنَّيْت) وأصلها: (تَظَنَّنْتُ)، و(أَمْلَيْت) وأصلها: (أَمْلَلْت)[٣]. يقول سيبويه: «اعلم أن التضعيف يَثْقُل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفُّ عليهم من أن يكون من موضع واحد»[٤]، ومن الثقل أيضاً تكرارُ حرف واحدٍ في الكلمة، يقول ابن جني: «ألا ترى أنك لا تجد في الكلام نحو (فِفِعْل) ولا (فُعُعْل)، ولا شيئاً من هذا الضرب لم نذكره»[٥].

وثمة حالات تنافر خفية خاصة ببعض الحروف في بعض المواضع، كاللام في أول الصيغة الرباعية (فَعْلَل)، فهي تأتلف مع غيرها من حروف

(١) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية: ١٣٠.

(٢) ابن جني - الخصائص ١: ١٣٧.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٣١.

(٤) سيبويه - الكتاب ٤: ٤١٧.

(٥) ابن جني - الخصائص ٢: ٦٥.

الكلمة مكرَّرة، وتتنافر مع غيرها منفردة، ولـذا فهـي لم تـرد في الربـاعي إلا مكررة، نحو (لَمْلَم) ولعل هذا ما دفع القدماء إلى تعريب (لَشْكر) الأعجميـة إلى (عَسْكر)، و(لَنْكَر): مرساة السفينةإلى (أنجر)، لأن اللام لا توجـد هكـذا في مثلِه من الرباعي في نحو:(لَجْلَج)[١].

ونعرض فيما يلي جدولاً يبين الحروف المؤتلفـة والمتنـافرة في العربيـة، لخص فيه واضعه (إبراهيم بن محمد بن دنينير)المتوفى (٦٣٥)هـ، كل حالات تنافر الحروف، وهو يغني عن ذكر كل القواعد الفضيلية الأخرى حول هـذا الموضوع[٢].



(١) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٣٤.

(٢) الجدول عن: د. حسان طيان - تنافر الحروف ودورانها في نسج الكلمة العربيـة: ١٠٢.

= ٣٢ =

جدول ابن دريد (١)

الحرف							
ث لا تأتلف	ذ	ز	ص	ض	ظ	س	بتقديم ولا تأخير
ث لا تأتلف	ث	ز	[illegible]	ص	ض	س	بتقديم ولا تأخير
[illegible] لا تأتلف	ث	ذ	ص	ط	س		بتقديم ولا تأخير
ص لا تأتلف	ث	د	س	ط	ط	س، ض	بتقديم ولا تأخير
ض لا تأتلف	ث	ذ	ص	ط	ط	س، ش	بتقديم ولا تأخير
ط لا تأتلف	ث	ذ، ذ	ز	ط	ص	ص، ج، س	بتقديم ولا تأخير
خ لا تأتلف	ح	ع	ع				بتقديم ولا تأخير
ح لا تأتلف	خ	ع					بتقديم ولا تأخير
[illegible] لا تأتلف	ق	ك	ظ	ع			بتقديم ولا تأخير
ع لا تأتلف	ج	ح	ح	ع			بتقديم ولا تأخير

هذه الحروف لا تأتلف [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ذ	ش، خ	[illegible]	دغ، ذ شغ
ز	س، ض	[illegible]	[illegible]
ص	ج، ش	جص، شص، شصاع	صج، صش، جصش
ض	ق	قضيم	ضق
د	س	صد	دس
ط	ز	زط	[illegible]
د	ز، ض	زد، ضد	دز، دض
ط	ج، ق، ش، خ	جط، قط، شط	طج، طق، طش، طخ
[illegible]	ش	[illegible]	[illegible]
ظ	ج، غ	جظ، غظ	ظج، ظغ
ذ، ق	ع	[illegible]	قع، ذع
ث	ش	شث	ثش

ومما يتوارد إلى الذهن أن تنافر الحروف قد يكون مفروضاً في بعض الكلمات مادمنا نقرب من كلمات أجنبية ربما تفرض علينا حروفها بترتيبها في لغتها، لكننا نرى أنه لا شيء يمنع من تبديل حرفٍ من الحرفين المتنافرين من كلمة إلى أقرب الحروف غير المتنافرة، أو حذف أحدهما، إذْ لا شيء يلزم المعرب بالتزام جميع حروف الكلمة الأجنبية، وكان القدماء قد غَيَّروا (نوروز) إلى (نيروز)، طلباً للخفة، مع أنه لا تنافر بين حروف (نوروز)، «لأن (نيروز) أدخل في كلامهم وأشبه»[1]، على أن المعوَّل عليه في تنافر الحروف وائتلافها ليس هو الجذور العربية، بل الكلمة العربية المركَّبة، فقد لا نجد جذراً مؤلفاً من أحرف معينة، لكننا نجد كلمات مركبة جمعت بين تلك الأحرف، فمثلاً الأحرف (ر س ت) لم ترد في جذر عربي، إلا أنها وردت في كلمة مركبة مثل: (رست السفينة)، ومثلها (ج ر ت)[2].

وبالعودة إلى جدول الكلمات المقترضة وجدنا حالة واحدة من التنافر هي كلمة (ترانز ستور)[3]، إذْ من المعروف أن السين لا تعاقب الزاي بتقديم ولا تأخير، ويُفَضل في مثل هذه الكلمة حذف أحد الحرفين، لتجاوزها عدة حروف الكلمة العربية أيضاً، على أن فيها خروجاً عن البنية الصوتية العربية، ولم نجد من حذَفَ أو بدّل تخلصاً من حروف متنافرة، مع أن بعض المعربين أبدل مالا ضرر من عدم إبداله فقال: (سبودنك) بدل (سبوتنك

---

(١) السيوطي – المزهر ١: ٢٩١.

(٢) د. أحمد مختار عمر – الشريان واضع المنهجية للمعجم العربي – مجلة مجمع القاهرة ٥٥: ٩٠ عن (سر الليال للشدياق: ٥).

(٣) ينظر رقم (٢٢، ٥٠) من ملحق قائمة الكلمات المقترضة.

sputnic)[1]. وقلة حالات التنافر بين الحروف التي لم تزد نسبتها عن ١٪ من الكلمات المقترضة، تدل على أن تنافر الحروف قليل - أصلاً - في اللغات التي عرَّبنا عنها حتى الآن.

ج - ائتلاف الحركات:

الحركة جزء من بنية الكلمة العربية، وهي ذات قيمتين: تعبيرية وصوتية، فالقيمة التعبيرية التفريق بين المعاني، نحو (عَبَد، عُبِد)، والقيمة الصوتية تسهيل النطق بالأحرف الساكنة، إذْ يتعذر نطق حرفين ساكنين متصلين.

إلا أن هذه الحركات التي وجدت لتسهيل النطق وخفته قد تغدو أداة ثقل إذا تنافرت وهذا التنافر قد يكون بين الحركات نفسها أو بين الحركات والأحرف الصائتة، وحالات التنافر بين الحركات هي:

١. **الضمة قبل الواو في الاسم**: يقول ابن جني في (التصريف الملوكي): «ليس في كلام العرب اسم آخره واو قبلها ضمة، وإنما ذلك في الفعل نحو: (يدعو ويغزو)»[2].

٢. **الحركتان المتضادتان**: ونعني بهما الكسرة والضمة، إذ لم يرد الانتقال من الكسر إلى الضم في العربية لثقله، ولهذا انعدم بناء (فِعُل) في

---

(١) ينظر رقم (٢٢، ٥٠) من ملحق قائمة الكلمات المقترضة.

(٢) ابن جني - التصريف الملوكي: ٧٥ - ٧٦.

أبنية الثلاثي[١]، وحتى لو وجد حاجز بين الكسر والضم، فإن الثقل يظل بادياً كما في كلمة (زِئْبُر).

٣.الواو الساكنة المكسور ما قبلها، والياء الساكنة المضموم ما قبلها: يقول الفارابي عن خصائص اللسان العربي: «فلم يجمع بين الواو الساكنة مع الكسرة قبلها، ولا الياء الساكنة مع الضمة قبلها»[٢]، وقريبٌ من هذا في الثقل تحريك الواو والياء وقبلهما الفتحة، إذْ هو مكروه إلا عند الضرورة، يقول سيبويه: «هذا باب ما بني على (أَفْعِلاء)، وأصله (فُعَلاء).. وذلك سَرِي وأَسْرِياء، وأَغنياء وأشقياء.. وإنما حرفوها عن سُرَوَاء وغُنَيَاء ولأنهم يكرهون تحريك الياء والواو وقبلهما الفتحة إلا أن يخافوا التباساً في: رعيا وغزوا ونحوهما»[٣].

٤.اجتماع أربعة متحركات: يقول سيبويه: «ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحرك كلمة»[٤]، وإذا وجدنا فإن ذلك يعني أن ثمة حرفاً محذوفاً كما في (عُلَبِط)، فإن أصلها (عُلاَبط)[٥]، وهو قطيعُ الغنم، وقال الفارابي: «والشيء الذي تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكن بعضها»[٦]، جاء في (كتاب ليس) لابن خالويه: «ليس في

---

(١) سيبويه - الكتاب ٤: ١٧٣.

(٢) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٣) سيبويه - الكتاب ٤: ٣٩٢.

(٤) المصدر السابق: ١٩٢ .

(٥) المصدر السابق: ٤: ٢٨٩.

(٦) السيوطي - المزهر ١: ٣٤٢.

كلام العرب اسم على (فَعَلَل) إلا حرف واحد (عَرَتَن)، نبات، وذلك أنه لايجمع أربع متحركات في اسم واحد استثقالاً، حتى يحجز بين المتحركات بالسكون»[١].

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة وجدنا أربع كلمات وقع فيها تنافر في: الحركات مما ذكرناه عن المتقدمين، وكانت كلها من النوع الأول من التنافر، أي ورود واوٍ مضموم ما قبلها في آخر الكلمة، وهي (الهِيبُّو - أكَاجو - ألُّو - كازينو)[٢]. ولعل الشهابي أحس هذا التنافر في كلمة (أكاجو)، فوضع لها تعريباً آخر هو (أكاجة) لكلمة (acajau). وقد أخرج هذا التنافر تلك الكلمات الأربع من دائرة المعرَّب إلى دائرة الدخيل.

٥. **منع التقاء الساكنين في الكلمة**: من خصائص اللسان العربي أنه لم يجمع فيه بين ساكنين[٣]، وللتخلص من التقاء الساكنين أوجد العرب ما يسمى بالحركة غير اللازمة أحدهما - ولو كانا في كلمتين نحو: (قُمِ الليل)، إذ هرب من سكوني الميم وأل التعريف، بكسر الميم[٤]. لكنْ ثمة حالتان يمكن فيهما التقاء الساكنين في العربية وهما:

- إذا كان الساكن الأول حرفَ عِلَّةٍ والثاني صحيحاً مدغماً نحو شابَّة ودابَّة «لأن الإدغام أنبى اللسان عن المثلَيْن نبوة واحدة، فصارا لذلك

(١) ابن خالويه - ليس في كلام العرب: ٢٨.

(٢) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة: رقم ٣١، ٧٠، ٧٦، ١٠٠.

(٣) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٤) ابن جني - الخصائص ٢: ٣٣٢.



كالحرف الواحد، فإن تقدَّم الصحيح على المعتل لم يلتقيا حشواً نحو: ضروُبْ وضريْبْ»(١).

- إذا جاء الساكنان في آخر الكلمة، «وذلك لأن آخر الكلمة أَحْمَلُ لهذا النحو من حشوها، ألا تَراكَ تجمع بين الساكنين وهماْ صحيحان في نحو: بَكْرْ وحِجْرْ وحِلْسْ»(٢).

وقد التزم المتقدِّمون من المعرِّبين مَنْعَ الجمع بين ساكنين يقول الجزائري: «ومن ثم قالوا (أَبْزَن) تعريب (آبْ زن) (وهو الحوض).

والمتأخرون منهم لم يلتزموا ذلك، ومن ثم قالوا (راهْنَا مَج) في تعريب (راه نامه) [لدليل الطرق في البحر]. ولا ريبَ في أن التخلُّص من الساكنين إذا تيسر فهو أولى وأليق بلسانِ العرب»(٣). لكننا نرى أن التخلص من الساكنَيْن ليس مسألة لياقةٍ بقدر ما هو ضرورةٌ لمراعاة خاصية من خواص العربية، وآيتُنا في ذلك أننا لم نجد كلماتٍ عربية جُمِع فيها بين ساكنين سوى ما قدَّمنا من تينك الحالتين. ثم إن الجمع بين ساكنين في كلمة واحدة مما يُخْرِج تلك الكلمة عن الإيقاع العربي تماماً، لأننا لن نجد لها نظائرَ في لغتنا في الأسماء أو الأفعال.

وتبدو هذه القضية مهمة في العصر الحاضر لأننا نقترض من لغاتٍ يقبل نظامُها الصوتي مثلَ هذا الجمع. وقد تسلَّلت كلماتٌ جُمِع فيها بين

(١) المصدر السابق ٢: ٤٩٦، أي قد يلتقيان آخراً عند الوقف.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٢٥.

ساكنين، إلى مصطلحاتِ جهاتٍ لغوية رصينة، فقد علّق مصطفى الشهابي على تعريب مجمع القاهرة لكلمتَيْ (لالانْد وأكسفورْد) فتساءل كالمُسْتنكِر إنْ كان المجمع قد أقرَّ التقاءَ الساكنين؛ وفضَّل تعريبَها إلى (لالَنْد وأكسفُرد) تجنُّباً لذلك[1]. وكانت هذه المسألةُ مدارَ جدلٍ في المجمع نفسه، حيث أفتى المجمعي محمد علي النجار «بأن العرب كانوا يتساهلون في مثلِ هذا ويَسْمحون بالتقاء الساكنَيْن، ولكنْ من المستحسن تركُ هذا، وإنْ كان لا حرجَ فيه»[2].

على أنه يمكن التخلُّص من هذه الحالة بإحدى وسيلتَيْن:

- بحذفِ حروفِ المدِّ من الكلمة الأجنبية عند تعريبها واستبدال الحركات بها كما فعل الشهابي في الكلمتين السابقتين إذْ حذف الألف من الأولى والواو من الثانية وعَوّض كلاًّ منها بحركة مناسبة.

- بالتعريبِ عن لغةٍ أقربَ إلى العربية. فثمةَ كلماتٌ أجنبية في اللغات الأوربية رسمُها واحد لكنَّ نطقَها مختلف مثل: (Fibrine و micron) اللتين تُنْطَقان (فايْبْرين، مايْكْرون) في الإنكليزية بالتقاء الساكنين، و(فِبْرين ومِكْرون) في الفرنسية دونه[3]، ولعلَّ التعريب عن الفرنسية في مثل هذه الحالة يخلِّصنا من مشكلة التقاء الساكنين، وكان الشهابي اقترح على المجمع

(١) مصطفى الشهابي - كتابة الأعلام الأجنبية - مجلة مجمع دمشق ٣٩/٣: ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ٣١/ ٣: ٥١٤.

(٣) مصطفى الشهابي - ملاحظات على رسم بعض المعربات - مجلة مجمع دمشق ٣١/٣: ٥١٤.

«ترجيحَ النُّطقِ السهلِ وهو الفرنسي فيما تماثَل من الألفاظ»[١]، وإنْ كان المجمع لم يتخذ قراراً في هذا الشأن. وقريبٌ من هذا قولُ المجمعي الدكتور هيثم الخياط: «والذي نراه أنَّ من الخير اختيارَ اللفظ الأسهل بين مختلف اللغاتِ الأجنبية لنقله إلى العربية بأخفِّ ما يمكن على اللسان العربي، فنقول مثلاً في مصطلح الكيمياء (هِدْرُكْسيد) لا (هَايْدْروكسيد)»[٢] .

ومن الغريب أن بعضهم عرَّب (بَزْمُوث) إلى (بِزْمَث)[٣]، مع أنه لا داعي لتغييرها، في حين تُركت كلمة مثل (هايدروكسيد) على حالها.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة تبين لنا أن نسبة الكلمات التي لم يُراعَ فيها تجنُّب التقاء الساكنين بلغت (٢٦٪) وهي أعلى نسبةِ خَرْقٍ للبنية الصوتية العربية. ومنها (أسكورْبيك، بيروقْراطية، دايْنود، أبوسْتْروف، تكنولوجْيا، دينا تْرون..)[٤]. وليس يصعب أبداً التخلص من هذا المحظور بالوسيلة التي ذكرنا كأن نقول (بيرُقْراطيَّة) بحذف الواو. وقد وجدنا في قائمة الكلمات المقترضة كلمة لجأ فيها المعرِّب إلى حذف الحرف الصائت تجنُّباً لالتقاء الساكنين وهي كلمة (كِشْك) تعريباً لكلمة (Kiosque)[٤].

---

(١) مصطفى الشهابي – المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ١٥٠.

(٢) د. هيثم الخياط – المصطلحات ونظرية الضرورة – الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ينظر الأرقام (٤، ١١، ٢٤، ٦٢، ١٥، ٢٣، ٩٩) من قائمة الكلمات المقترضة.

هـ - البدء بمتحرك:

من القواعد الصوتية للعربية أنَّ «الحرف الذي يُبدَأ به لا يكون إلا متحركاً»[1].

يقول ابن جني في باب الساكن والمتحرك: «... فإنَّ أول الكلمة لا يكون إلا متحركاً، وينبغي لآخرها أن يكون ساكناً»[2]. وكان أستاذُه أبو علي الفارسي قد تشدَّد في إفساد إجازة ابتداءِ العرب بالساكن، مع أنه لم يَسْتوحش منه في كلامِ العجم. وحجَّةُ أبي علي في ذلك «أن العرب قد امتنعت من الابتداء بما يُقارِب حالَ الساكن، وإن كان في الحقيقة متحركاً، يعني همزةَ بينَ بينَ، قال: فإذا كان بعضُ المتحرِّك لمضارعته الساكن لا يمكن الابتداءُ به، فما الظنُّ بالساكن نفسِه؟»[3]. ومن المعروف أيضاً أن اللسان العربي قد وضع همزة الوصل للتخلص من الابتداء بالساكن كما في الأسماءِ العشرة (ابن - اثنان..) وأمرِ الثلاثي وماضي الخماسي والسداسي وأمرِهما ومصدرِهما.

وبناء على هذا قال معظم اللغويين المحدثين بمراعاةِ تجنُّبِ البدء بالساكن، إمَّا بزيادةِ همزةٍ في أول الكلمة الأجنبية المبدوءة بساكن، أو بتحريكِ الحرف الأول منها. وكان القدماء استعملوا هاتين الوسيلتَيْن فقالوا في (Grec): إغريق، وفي (Spain): إسبان وإسبانيا، وقالوا في (Granada):

---

(١) السيوطي - المزهر ١: ٣٤٣.

(٢) ابن جني - الخصائص ٢: ٣٣١.

(٣) ابن جني - الخصائص ١: ٩١- ٩٢.

غَرْناطة، وفي (Ptolomy): بَطْليموس[١].

يقول طاهر الجزائري: «إذا وقَعَ في الكلمة الأعجمية الابتداءُ بساكنٍ، وجب على المعرب إزالةُ ذلك بتحريكِ ذلك الساكن في أوله بزيادة همزةٍ قبله. ولا يجوز إبقاؤه على حاله لأنَّ اللغة العربية لا تحتمل ذلك»[٢].

وقد لاحظنا أن الهمزة التي تزاد في المعربات كانت همزةَ قطعٍ بدليلِ نطقها سواءٌ أوردَتْ في أول الكلام أم في دَرْجه؛ وهي بهذا تختلف عن همزة الوصل، كما لاحظنا أنَّ تحريك الحرف الأول الساكن كان إلى حركة مجانسةٍ للحرفِ الثاني من الكلمة غالباً.

لكننا وجدنا من المعربين المحدثين من حاول تسويغَ خرقِ هذه القاعدة الصوتية والبدء بالساكن، إذ يقترح الدكتور أحمد شفيق الخطيب جوازَ الابتداء به قائلاً: «وهو أمرٌ ليس بالغريب على اللهجات العربية قديماً وحديثاً. إن الابتداء بالساكن في كثيرٍ من الألفاظ المعرَّبة يحتمه ضبطُ تأديةِ المسمَّيات كما يلفظُها الناس في معظم أنحاء العالم فنقول: كْلورات وكْروم وغْرافيت وبْراون.

أما إضافةُ حرف الألف عند تعريبِ الألفاظ الإفرنجية التي تبدأ بساكن أو تحريكُ الحرفِ الساكن نفسه فهما تحريفُ لا مسوِّغَ له يُبعد منطوقَ اللفظ عن صورته وبيئته الأصلية فـ (Brown) هو بْراون لا إِبْراون ولا

(١) د. محمد شرف – معجم العلوم الطبية والطبيعية: ٣١.

(٢) طاهر الجزائري – التقريب لأصول التعريب: ٢٥ وينظر د. أحمد مطلوب – حركة التعريب في العراق: ١٢٠.

بَرَاون..[١]» ولعلَّ في إشارتِه إلى اللّهجات القديمة التي تجيز البدء بالساكن تأثُّراً بما قدَّره بعضُ الباحثين المحدثين من أن العربية مرَّت بمرحلةٍ كانت تبدأ فيها بالساكن وتقف على المتحرك[٢].

على أن هذا الذي أنكره الخطيبُ هو الذي تُقُبِّل لدى المحدثين فقد عرَّب - مثلاً - رفاعة الطهطاوي (١٨٧٣م) اسم العلم (Brésil) إلى (أَبْرزيل)[٣]، بزيادة همزة للتخلص من الساكن أولاً، وإنْ كان لم يَرُجْ هذا التعريب فقد راج الشكلُ الآخر لتعريبها وهو (بَرازيل)، بتحريك الحرف الأول. وهذان الشكلان لا يخرجان عن طريقةِ العرب للتخلُّص من البدء بالساكن عند التعريب.

وللدكتور هيثم الخياط رأيٌ وسط، فهو «لا يرى حاجةً لبدء بعضِ الكلمات المعربة بألفٍ تفادياً للبدء بساكن، بل يكتفي بالاختلاس في نطق هذا الحرف الساكن»[٤]، وهو رأي يذكِّرنا بظاهرة (الرَّوْم) في العربية، ولا نتوقع له قَبولاً.

صحيحٌ أن البدء بالساكن ليس مِمَّا يتأبَّى على النطق العربي، مَثَلُه في ذلك مَثَلُ التقاء الساكنين، لكنَّه مِما ينأى بالكلمة من خصائص البنية

(١) د. أحمد شفيق الخطيب - معجم المصطلحات العلمية: ٧٤٧.

(٢) عبد الله العلايلي - مقدمة لدرس لغة العرب: ١٦٠.

(٣) د. إبراهيم بن مراد - المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ١٩.

(٤) د. هيثم الخياط - المصطلحات ونظرية الضرورة - الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٩.

الصوتية العربية والإيقاع الصوتي لها، ويجعلها بالتالي خارجَ إطار العربية، ولا يرشِّحُها للاندماجِ مستقبلاً في تضاعيف اللغة، لتصبحَ وسيلةً من وسائلِ تكثيرها وازديادها.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضَة وجدنا أن الابتداء بالحرف الساكن قد وقع في ثماني كلمات – من مجموع أربع عشرة كلمة أجنبية بُدِئت بحرفين ساكنين – وهي: غْرافيت، جْرافيت، بْلاجيوكاز، تْرانزستور، بْراكسيس (بمعنى عَمَل أو ممارسة)، بْراغماتية، سْبودنك[1].

مجمل القول: لقد كان التزامُ تلك الثوابتِ الثلاثة: الحرفِ العربي والإيقاعِ الصرفيّ العربي والبنية الصوتية العربية بعناصرها الخمسة والتي سمَّيناها معاً (النظام الصوتي العربي) هو الركنُ الأساسي الذي قامت عليه طريقةُ المحدثين في التعريب. ولقد تبيَّن لنا من قائمة الكلمات المقترضة أن اثنتين وستين كلمةً من مجموع مئة الكلمة قد التزَمت هذه الثوابت فعددناها معربة، في حين خالفت ثمان وثلاثون كلمة منها بعضَ تلك الثوابت أو عناصرِها فعدَدْناها دخيلة.

وبعد: فإننا نُرجح أن ما عنيناه بالنظام الصوتي العربي هو ما عناه المتقدمون بعبارة (مِنْهاج العرب في الكلام) عندما حَدُّوا التعريبَ بقولهم: «هو أن تَتَفَوَّه العربُ بالكلمةِ الأعجمية على مِنْهاجها»[2]. لكن أخذاً لم

(١) ينظر الأرقام: ٢٢، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠ من قائمة الكلمات المقترضة.

(٢) الجوهري – الصحاح: عرب.

يبيِّن بالضبط ماذا يعنون بكلمة (منهاجها) التي ظلت تُتناقَل على غموضها، مِمَّا دعانا إلى محاولةِ تقديرِ ما كانوا يعنون بعبارتهم العامَّة اللاَّمحدودة تلك، فقادَنا التقديرُ إلى أنَّ ذلك المنهاج ما هو إلا هذا النظامُ الصوتي للعربية بثوابته الثلاثة. وهي محاولةٌ أردنا لها أن تكون موضوعيةً توخِّياً لصحةِ نتائجها. فإن لم تكن كذلك في بعضِ جوانبها، فلعلَّها تفتح باب البحث الجدِّي في المسألة.



- ٣٢ -

جدول ٥: قائمة الكلمات المقترضة

مسلسل	الكلمة المقترضة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	شدة بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
١	أسيتيل	Acetyle	.	.	.	.	.	.	فَعِيلِيل	مُعرّب	المعجم الطبي الموحد
٢	أميني (حمض)	Aminé	.	.	.	.	.	.	فَعْلِلي	معرب	
٣	أراكيدونيك	Arachidonique	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٤	أسكوربيك	Ascorbique	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٥	أسبرتيك	Aspartique	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلِّيل	معرب	
٦	بنزويك	Benzoique	.	.	.	.	.	.	فَعْلَوِيل	معرب	
٧	بوريك	Borique	.	.	.	.	.	.	فُوعِيل	معرب	
٨	كبريك	Caprique	.	.	.	.	.	.	فَعْلِيل	معرب	
٩	كبرويك	Caproique	.	.	.	.	.	.	فَعْلُويل	معرب	
١٠	كربونيك	Carbonique	.	.	.	.	.	.	فَعْلُوليل	معرب	
١١	بيروقراطية	Bureaucratie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية
١٢	ورشة	Workshop	.	.	.	.	.	.	فعلة	معرب	
١٣	إيكولوجية	Ecologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
١٤	مورفولوجية	Morphologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	

تسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
١٥	تكنولوجيا	Technologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
١٦	ديمقراطية	Democratic	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرّب	
١٧	إلكترون	Electron	.	.	.	.	.	.	إفعلّول	معرب	مجموعة المصطلحات التي أقرها مجمع القاهرة جزء (٨)
١٨	بطّارية	Batterie	.	.	.	.	.	.	فعّالية	معرب	
١٩	كاثود	cathode	.	.	.	.	.	.	فاعول	معرب	
٢٠	إلكترود	Electrode	.	.	.	.	.	.	إفعلّول	معرب	
٢١	أنود	Anode	.	.	.	.	.	.	فُعُول	معرب	
٢٢	ترانزستور	Transistor	×	×	.	×	×	.	-	دخيل	
٢٣	ديناترون	Dynatron	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٢٤	داينود	Dynode	.	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٢٥	غاز	Gas	.	.	.	.	.	.	فَعَل	معرب	
٢٦	أسيلوغراف	Oscilographe	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	

- ٣٤ -

تسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٢٧	أسيا	Empième	.	.	.	.	.	.	فعليلى	معرب	الألفاظ المعربة والموضوعة في السنوات العشر الرابعة في مجمع دمشق
٢٨	أعكثيا	Ataxie	.	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٢٩	أتربيا	Athrepsie	.	.	.	.	.	.	فعلليا	معرب	
٣٠	أرقطيون	Arctium	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلِيُول	معرب	
٣١	اختبار الهيبتو	Hypo-test	.	.	×	.	.	.	فَعْلُو	دخيل	المعجم العسكري الموحد
٣٢	أريجتر	Aréometre	.	.	.	.	.	.	فُعْيُولل	معرب	
٣٣	أزيدات	Azides	.	.	.	.	.	.	فعيلات	معرب	
٣٤	أسبستس	Aspestos	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلُول	معرب	
٣٥	إسكليروسكب	Scleroscope	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	

• ٣٥ •

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٣٦	إسكلروميتر	Sclé metre	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٣٧	أسيل	Acyle	.	.	.	.	.	.	فُعيل	معرب	
٣٨	أكتيد	Actide	.	.	.	.	.	.	فُعلول	معرب	
٣٩	إكثيول	Ichthyole	.	.	.	.	.	.	فِعلُول	معرب	
٤٠	إلكتروفور	Electrophorus	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٤١	ألكلة	Alkylation	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	المصطلحات العلمية -
٤٢	سيتين	cetane	.	.	.	.	.	.	فعليل	معرب	مصطلحات النفط -
٤٣	سيليكا	Silica	.	.	.	.	.	.	فِعيلا	معرب	المجمع العراقي
٤٤	الراتون	Raton	.	.	.	.	.	.	فاعُول	معرب	
٤٥	السلفتة	Sulphitation	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	
٤٦	البراص	Brass	.	.	.	.	.	.	فُعال	معرب	
٤٧	البرشة	Brushe	.	.	.	.	.	.	فُعْلَة	معرب	
٤٨	التنس	Tennis	.	.	.	.	.	.	فِعْل	معرب	
٤٩	نترتة [الأولى ترجمة]	Nitrification	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	

- ٣٦ -

تسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نتيجتها	المصدر
٥٠	سبوتنك	Spütnik	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٥١	إبستمولوجيا	Epistémologie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	المعجم الفلسفي
٥٢	إثنوغرافيا	Ethnographie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	لجميل صليبا
٥٣	إثنولوجيا	Ethnologie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٥٤	أرستقراطية	Aristocratie	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٥٥	أكاديميا	Académie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٥٦	أيون	Eon	.	.	.	.	.	.	فُعُول	معرب	
٥٧	برغماتية	Pragmatisme	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٥٨	برجوازية	Bourgeoisie	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٥٩	براكسيس	Praxis	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٦٠	بيرونية	Pyrrhonisme	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٦١	إِبْسِيم	Episemème	.	.	.	.	.	.	فُعْلِيلِيل	معرب	معجم مصطلحات
٦٢	أبوسْتروف	Apostrophe	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	علم اللغة الحديث
٦٣	إدْيُفون	Idiophone	.	.	.	.	.	.	فعيلول	معرب	
٦٤	إدْيُوكْراف	Ideographe	×	.	.	×	.	×	–	دخيل	
٦٥	إدْيُوكْرام	Ideogram	×	.	.	×	.	×	–	دخيل	
٦٦	الأطلس	Atlas	.	.	.	.	.	.	فَعْلَل	معرب	
٦٧	أكْرُفُونِيا	Acrophony	.	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٦٨	أكُوسْتِي	Acostic	.	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٦٩	أكُوسْما	Acousme	.	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٧٠	أَلُّو	Allo	.	.	×	.	.	.	فُعْلُو	دخيل	
٧١	أَلِيلِيَة	Alélie	.	.	.	.	.	.	فُعيلة	معرب	معجم الالفاظ
٧٢	أبيرِيَة	Aleria	.	.	.	.	.	.	فعيلة	معرب	الزراعية - مصطفى
٧٣	قاقاليا	Cacalia	.	.	.	.	.	.	فَعاليا	معرب	الشهابي

• ٣٨ •

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٧٤	خَلْقيدونِيّ	Calcedonia	.	.	.	.	.	.	تَفْعَلُولِي	معرب	
٧٥	مُرْنَطَة	Marnata	.	.	.	.	.	.	فُعَلْلَة	معرب	
٧٦	أكاجو – أكاجة	Acajou	.	.	×	.	.	.	فَعالو – فُعالة	دخيل – معرب	
٧٧	مَرْتِينِيَة	Martynia	.	.	.	.	.	.	فَعْلِيلَة	معرب	
٧٨	بَلانِيرة	Planère	.	.	.	.	.	.	فَعالِيلَة	معرب	
٧٩	بطارولوبيون	Pterolobie	×	.	.	.	.	.	–	دخيل	
٨٠	إستيفية	Stevie	.	.	.	.	.	.	تِفْعِيلِيَة	معرب	
٨١	بازَلْت	Basalt	.	.	.	.	.	.	فاعِل	معرب	المعجم الموحد للمصطلحات العلمية – قسم الجيولوجيا
٨٢	بَلَنْد	Blend	.	.	.	.	.	.	فَعَل	معرب	
٨٣	ألكليمتر	Alkalimètre	×	.	.	.	.	.	–	دخيل	
٨٤	مَلْغَم	Amalgam	.	.	.	.	.	.	فَعْلَل	معرب	
٨٥	كَتْيُون	Cation	.	.	.	.	.	.	فَعْلُول	معرب	
٨٦	غرانيت	Granite	.	.	.	.	×	.	–	دخيل	

مسلسل	الكلمة المترسة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٨٧	جرانيت	Granite	.	.	.	-	×	.	-	دخيل	
٨٨	بلاجيوكلاز	Plagioclase	×	.	.	×	×	.	-	دخيل	
٨٩	إسفنج	Sponge	.	.	.	.	.	.	فَعْلَل	معرب	
٩٠	ستبنيت	Stibnite	.	.	.	.	×	.	-	دخيل	
٩١	باروكة	Perruque	.	.	.	.	.	.	فاعيلة	معرب	معجم ألفاظ الحضارة
٩٢	موضة	Mode	.	.	.	.	.	.	فَعْلة	معرب	ومصطلحات الفنون
٩٣	باركيه	Parquet	.	.	.	×	.	.	-	دخيل	مجمع القاهرة
٩٤	ترّاس	Terras	.	.	.	.	.	.	فُعْلول	معرب	
٩٥	الدُّش	Douche	.	.	.	.	-	.	فُعْل	معرب	
٩٦	الفِلّا	Villa	.	.	.	.	.	×	فِعْلا	دخيل	
٩٧	أكاديمية	Academie	.	.	.	-	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٩٨	البرلمان	Parlement	.	.	.	.	.	.	فُعْلُلان	معرب	
٩٩	الكشك	Kiosque	.	.	.	.	-	.	فِعْل	معرب	
١٠٠	كازينو	Casino	.	.	×	.	.	.	فاعِلو	دخيل	

التعريب والمصطلح

شحادة الخوري

المقدمة :

ما زال موضوعُ التعريبِ، على كثرةِ ما كُتِبَ فيه من بحوثٍ ودراسات، وما بُذِلَ لإنجاحِه من مساعٍ وجهود، وما اتخذ من أجله من توصياتٍ وقرارات، موضوعاً تتضاربُ فيه الآراء وتتباينُ النزعات، وبالتالي فهو بحاجةٍ مستمرة إلى معالجاتٍ جادَّة تساعدُ على الوصول إلى حلٍ ناجع يردُّ الأمورَ إلى مسارِها الصحيح.

آ- قضية التعريب:

إن اللغة العربية التي هي وعاءُ ثقافتِنا العربيةِ في الماضي والحاضرِ لَمِنْ أَهَمِ مقوماتِ أمتِنا العربية، وعنوانُ هويتها القومية، وسِمَةُ حضارتِها الإنسانية. ومن طبيعةِ الأمور أن تكونَ هذه اللغة، لغتُنا الأُم، أداةَ التفكيرِ والتعبير لنا في مختلفِ مجالاتِ الحياة الاجتماعيةِ والثقافية، وعلى الأخص أن تكونَ لغةَ التعليم والتعَلم، في كل درجاتِه وأنواعِه. ولكنَّ ظروفاً معينة جعلتِ اللغةَ الأجنبيةَ تحلُّ محلّها في بعض مجالات التعليم وفي بعض المجالاتِ الأخرى في بعض الأقطار العربية مثلِ الإدارة والثقافةِ والإعلام والقضاءِ والشركاتِ والمصارفِ بل امتدت إلى كثيرٍ من النتاجِ الفكري والأدبي في

بعض أنحاء الوطنِ العربي، ونجدها أحياناً لغة التخاطب والحوار، فإذا بنا أمام ظاهرةِ تغريبٍ شاذة لا تقوَّمُ إلا بالعودةِ إلى الأصل، بالقيام بِعمليةِ تعريبٍ واسعة.

إن هذه الظاهرةَ التي ندعوها «الثنائيةَ اللغوية» لم تنشأ مصادفةً بل فرضها وجودُ سلطةٍ أجنبيةٍ في عدد من الأقطارِ العربية، خلالَ مدةِ قرنٍ كامل أو أكثر من منتصفِ القرن الماضي حتى منتصفِ هذا القرن، على وجه التقريب، تُملِي إرادتَها على المواطنينَ العربِ وتملكُ إصدارَ القوانين والأنظمة التي تخدم مصالحها، وتعتمدُ على القوةِ الغاشمة فسعت جاهدةً لبسطِ هيمنتِها الثقافيةِ واللغوية على أبناءِ أمتّنا، دعماً وتثبيتاً لسيطرتِها العسكريةِ والسياسيةِ والاقتصادية مستغلةً حالة الركودِ والتخلفِ والفُرقة التي كانت تمرُّ بها أمَّتُنا العربية.

ولكن المؤسفَ أن هذه الظاهرةَ قد استمرت بعد زوالِ مسبباتها، لسهولةٍ يَجِدُها من أتموا دراستَهم بلغةٍ أجنبيةٍ في استخدام هذه اللغةِ في نطاق التعليمِ وفي المجالات الأخرى، وبدافع التوهمِ بأن التقدمَ العلمي يلازمُ لغةً أو لغاتٍ بعينِها دونَ غيرها، والجهلِ بخصائصِ اللغةِ العربيةِ الفريدة وقدرتِها على النماءِ المستمر وبغنى تراثِها العلمي والأدبي.

ولعل من المفيد هنا أن نوضحَ المقصودَ بالتعريب بسببِ تعدُّد معانيه. إنه قد يعني اقتراضَ لفظةٍ أجنبية ونطقَها في صيغةٍ عربية أو وزن عربي، أو يعني ترجمةَ نصٍ إلى العربية...

ولكن المقصودَ هنا، هو جعلُ العربيةِ أداةً للتفكيرِ والتعبير، في كلِ مجالٍ من مجالات الحياةِ لدى العرب جميعاً في الوطنِ العربي، شرقِه وغَربِه.

إن هذا الهدفَ ليس شأناً لغوياً محضاً، بل هو شأنٌ يتصل بأهمِ ملامحِ وجودِنا أمةً على هذه الأرض، وجوداً حضارياً ممتداً عَبْرَ الزمن.

أن يستخدمَ عربيّ لغةً غيرَ لغتِه، وفي وطنِه وعلى أرضِه، هو اتهامٌ للغتِه بالقصور، وإنكارٌ لما تحمله من تراثٍ نفيس، ويأسٌ من أن تكونَ لغةَ علمٍ وتقانةٍ في هذا العصر، وتعالٍ على جمهور شعبه الذي يستخدمُ العربيةَ ويتمسكُ بها، وانصياعٌ إلى تبعيةٍ لغويةٍ تنتقصُ من هويتِه الثقافيةِ والقومية.

١- قدرة اللغة العربية:

إن السؤالَ الكبيرَ الذي نطرحُه: هل لغتُنا العربية قادرةٌ على أن تكونَ لغةً معاصرة؟.

مَنْ أمْعَن النظرَ في اللغةِ العربية، وقارنها باللغاتِ الأخرى، تملَّكه العَجَبُ من فصاحةِ مفرداتِها وعذوبةِ ألفاظِها وجزالةِ تراكيبها ورقةِ عباراتها، وقدرتِها على التعبيرِ والتوليدِ وقابليتِها للنماءِ والتطور، وحسبُها أن تكونَ لغةَ القرآن الكريم بجلالِ معانيه وبلاغةِ بيانه، وهو الذي زادها غنىً، ووسعَ لها في الأرض امتداداً وفي الزمن بقاءً، ثم استطاعت أن تكونَ وعاءَ المعرفةِ البشرية قروناً متطاولة، ولا يشك مُنْصِفٌ في أنها قادرةٌ على أن تكونَ لغةَ المستقبل، بعلومِهِ وآدابِهِ وفنونِهِ، محتفظةً بعالميتِها التي اكتسبتها مُنْذُ خمسةَ عشرَ قرناً، إلى آخرِ الزمان.

أليس من الباعثِ على الدهشةِ والأسى، بعد هذا، أن نجدَ شعوباً أقلَّ من أمتِنا تعداداً وأصغرَ رقعةَ أرض، وأضألَ تراثاً، وأفقرَ مالاً، قد جعلت لغاتِها لغاتِ علمٍ وتعليم وأوجدت لها مصطلحاتٍ علميةً ودرَّست بها في

جامعاتِها ووضعتْ موسوعاتِها، ونحن مازالَ بين ظهرانينا من يناقشُ في التعريبِ ويشكُّ في جدواه!.

إنه لشرفٌ عظيم لجيلنا أن يبذلَ السعيَ ويحملَ الدعوةَ وينهضَ بالمهمة أو لنقلْ بهذه الرسالةِ القومية الإنسانية، متابعةً لما بذله أبناءُ الأجيالِ السابقةِ من العرب من جهودٍ للحفاظِ على ذاتِهم الثقافيةِ في عصور الظلمةِ والاستبداد، وسعياً لاستعادة مكانتِنا المرموقةِ في موكب الأسرة البشريةِ الصاعد والمتقدمِ باستمرار.

ونتساءل: أَلَمْ يكن ثمة مساعٍ لإعطاءِ العربية دورَها الحق؟.

٢- مساعي التعريب:

لقد تنبَّهتِ الطلائعُ العربية من رجالِ الفكرِ والثقافةِ ودعاةِ التقدمِ والإصلاح في القرنِ الماضي إلى الخطرِ الداهم، فدعت إلى حركةٍ إحياءٍ حضاريٍ هي ما نسميه النهضةَ العربية، تكونُ اللغةُ العربيةُ أداتَها وعمادَها. وبُذِلَتِ الجهودُ المخلصةُ خلال ما يزيدُ على قرنٍ من الزمن للعنايةِ باللغةِ الفصيحة ودفعِ العامية والتأليفِ في علومِ اللغةِ العربيةِ، ووضعِ المصطلحاتِ الحضاريةِ والعلمية، وترجمةِ الكتبِ والمؤلفاتِ العلميةِ والأدبيةِ من اللغاتِ الأجنبيةِ ولاسيما الفرنسيةِ والإنكليزيةِ إلى اللغةِ العربيةِ، في مصرَ ولبنانَ وبلادِ الشام والوطنِ العربي عامة. قام بذلك رُوَّاد أفذاذٌ بجهودٍ فرديةٍ أو من خلال مؤسساتٍ تعليميةٍ وثقافية.

وفي منتصفِ هذا القرن أثارَ اهتمامَ الطلائع العربيةِ خطرُ التشتتِ العربي والاختراقِ اللغوي والثقافي الذي حصل، فتجلت إرادةُ التحرر

اللغوي والتقدم العلمي والوحدة الثقافية في نص ميثاق جامعة الدول العربيةِ عام (١٩٤٥) الذي مثل الحدَّ الأدنى للطموح العربي، وفي المعاهدةِ الثقافيــة، في العامِ نفسِه، وهي أولُ معاهدةٍ وقّعتها الدولُ العربية، وفي « ميثاق الوحدة الثقافية» الـذي أقره مجلسُ جامعـةِ الـدولِ العربيـة عـام (١٩٦٤) ودستورِ المنظمةِ العربيةِ للتربية والثقافة والعلوم الذي أقرَّه في العام نفسه.

جاء في ميثـاقِ الوحـدةِ الثقافيـةِ بالمادة العاشـرة: «أن الـدول العربيـة الأعضاء توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليـم والدراسـات والبحـث في مراحل التعليم كلها» وبالمادةِ السابعةَ عشـرةَ: «أن الـدول العربيـة توافـق علـى السعيِ لتوحيـدِ المصطلحـاتِ العلميـةِ والحضاريـةِ، ومسـاعدةِ حركـة التعريب بما يحققُ إغناءَ اللغة العربية مع المحافظةِ على مقوماتها».

وتجلت إرادةُ الحفاظِ على اللغةِ العربية، لغةً رسميةً وشاملةً، في دسـاتيرِ الدولِ العربية التي وُضِعَـت عنـد استقلالها، وفي مقـرراتِ المؤتمـراتِ العربيـةِ الوزاريةِ وغيرِ الوزارية ولا سـيما مؤتمـراتِ وزراءِ التربيـة والتعليـم والـوزراءِ المسؤولينَ عن الشؤونِ الثقافية والوزراءِ المسؤولين عن التعليمِ العالي والبحثِ العلمـي، وقـراراتِ وتوصيـات النـدواتِ والاجتماعـاتِ الثقافيــةِ والتربويـة والعلمية التي عقدت في النصف الثاني من القرن الحالي...

وكذلك تجلتْ في نصوصِ اسـتراتيجية تطويـر التربيـة العربيـة والخطـةِ الشاملة للثقافة العربية واستراتيجيةِ العلوم والتقانة، هذه الاسـتراتيجيات الـتي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمشاركةِ المئـات مـن المفكريـنَ والعلماءِ والمثقفينَ والأدباءِ العرب، وأقرتها المؤتمراتُ الوزاريةُ المختصة.

وأقام جهابذةُ اللغةِ ورجالُ الفكر والعلم مجامعَ أربعةً للمحافظـةِ علـى

سلامةِ اللغة العربية وجعلِها تفي بمتطلباتِ العلومِ والفنـون هـي: مجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق (١٩١٩) ومجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة (١٩٣٢) والمجمع العلمي العراقي (١٩٤٧) ومجمع اللغة العربية الأردني (١٩٧٦).

وقد أقامتْ هذه المجامعُ فيما بينها اتحاداً ينسِّق جهودَها ويجمع ما بـينَ نشاطاتِها المختلفة.

هذا وثمة عددٌ من المجامعِ اللغوية قد أنشـئت أو هـي في طـورِ الإنشـاءِ والتشـكيل، في بعـضِ الأقطـارِ العربيـة: السـعودية والسـودان وفلسـطين والجزائـر.

وخطـتِ الهيئـاتُ والمراجـعُ العربيـة خطـواتٍ عمليـةً فسـعتْ لتـأمينِ مستلزماتِ التعريب وأحدثتِ الأجهزةَ القـادرةَ علـى ذلـك: مكتـبَ تنسيق التعريب بالرباط (١٩٦١) والمركزَ العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق (١٩٩٠) اللذين يتبعان المنظمةَ العربيةَ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم لتوفـيرِ المصطلحِ الموحَّد والكتابِ المنهجي والمرجعِ بالتعاون مـع الجهـات المختصـة، والمركزَ العربيَّ للمطبوعاتِ والوثائق الصحية بالكويت الـذي يعمـل برعايـة مؤتمر وزراء الصحة العرب في خدمةِ تعريبِ العلوم الطبيـة.

وفي العام المنصرم (١٩٩٦) وضعـتِ المنظمـةُ العربيـةُ للتربيـةِ والثقافـةِ والعلـوم مـا دعتـه «الخطـة العامـة للتعريـب - الأهـداف والاحتياجـات والوسائل» بمساعدةِ عددٍ من الخبراء، واعتمـاداً علـى دراسـاتٍ مفصلـةٍ عـن احتياجات التعريب ولاسيما في مجالاتِ التربية والتعليم، كما وضعتِ الخطـةَ القوميةَ المحدَّثةَ للترجمةِ بجهود خبراءَ متخصصين.

ولعل سائلاً يسأل: لِمَ تأخَّرَ حسـمُ موضـوع التعريـب، وقـد انقضـى

على استقلال البلدان العربية ما يقربُ من نصفِ قرن، أُحدثت خلاله مئاتُ المعاهدِ والجامعاتِ واتسع التعليمُ ما قبلَ الجامعي، ووضعتْ تشريعاتٌ لصالحه وأحدثتْ مؤسساتٌ وأجهزة؟.

الحقيقةُ أن العادةَ تبطِلُ أو تبلّدُ الشعورَ بالخطأ، وأن ثمةَ مصالحَ خاصةً تعطلُ العملَ أو تعوقُه، ومع ذلك فإن الجهدَ لم يذهبْ هباءً... فقد ازدادَ الوعيُ بضرورة التعريب، وتشكّلَ رأيٌ عامٌ ضاغطٌ انعكست صورتُه فيما اتخذته المؤتمراتُ الحكومية والمنظماتُ العربيةُ والهيئاتُ الأهليةُ من قراراتٍ بشأنه. والأهمُّ من ذلك أن بعضَ الأقطار قد شرعتْ فعلاً بتعريبِ العلوم في جامعاتها كلياً أو جزئياً وهي العراق واليمن وليبيا والسودان، وأصدرت الجزائرُ قانوناً بتاريخ ١٩٩٦/١٢/١٧ بشأن استخدام اللغة العربية يوجبُ إنجازَ التعريبِ في الجامعات عام ٢٠٠٢.

ولكن هذه الخطوات على الرغم من أهميتها ليست كافيةً البتة، ومازال الخللُ قائماً والمسيرةُ طويلة.

٣- مقدار الخلل:

ولكن ما هو حجمُ الخللِ القائمِ في استخدامِ اللغةِ العربية؟.

لقد دلّتْ دراسةٌ تحليليةٌ أجرتها المنظمةُ العربيةُ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم في العامِ الماضي وشملت خمسةَ عشرَ قطراً عربياً، وكانت أساسَ الخطةِ التي أشرت إليها، على ما يلي:

في مجالِ التعليمِ ما قبل الجامعي:

تُعَلَّمُ الموادُّ العلميةُ والاجتماعيةُ في المرحلتينِ الابتدائيةِ والإعداديةِ

باللغة الأجنبية في مدارسَ خاصةٍ وتجريبيةٍ في قطرين، وتعلم المـوادُّ العلميـةُ في المرحلةِ الثانويةِ والموادُ الفنيةُ والمهنيةُ باللغةِ الأجنبية في ثلاثةِ أقطار.

وفي مجال التعليم العالي:

تدرس باللغة الأجنبية العلومُ الأساسيةُ كلياً في سـتةِ أقطـار وجزئيـاً في خمسةِ أقطار، والعلومُ الطبيةُ كلياً في سبعةِ أقطار وجزئيـاً في أربعـة، والعلـومُ الهندسـيةُ كليـاً في عشـرةِ أقطـار وجزئيـاً في ثلاثـة، والعلـومُ الاجتماعيـةُ والإنسانيةُ تدرَّسُ باللغةِ العربيةِ كلياً في ستةِ أقطار وجزئياً في ستةٍ أخرى.

وهكذا يتبينُ أن الأرجحيةَ في تدريـسِ العلـومِ الأساسـيةِ: الرياضيـاتِ والفيزياءِ والكيميـاءِ والجيولوجيـا والبيولوجيـا وعلـمِ النبـات وعلـمِ الحيـوان والعلومِ التطبيقيـة أي الطـبِ وطـبِ الأسنان والصيدلـةِ والتمريـضِ والعلـومِ الهندسية بكل فروعِها هـي للغـةِ الأجنبيـة، وتلحـق بذلـك الدراسـاتُ العليـا والبحوثُ العلميةُ التي هي امتدادٌ للتعليم الجامعي.

كذلك تحتلُّ اللغةُ الأجنبيةُ مِسَاحةً هامةً في بعـضِ الأقطـار العربيـة في مجالات الثقافةِ والإعـلامِ والإدارةِ والقضـاءِ والمصـارفِ والمـال، ولاسـيما في الأقطار التالية: المغربِ والجزائرِ وتونسَ وموريتانيـا وبلـدانِ القـرن الإفريقـي الصومال وجيبوتي.

أما القطرُ الذي يتفرَّدُ بالتعريبِ الشاملِ في كل مجالٍ فهو القطر العربي السوري.

٤- دواعي التعريب:

إن تعريبَ التعليمِ العلمي وبالأخص في مرحلةِ التعليم العالي في المعاهدِ

والكلياتِ الجامعية تستدعيهِ عواملُ عديدة وتحُثُّ عليه: عاملٌ نفسيٌ تربوي لأن لغتَنا العربيةَ جزءٌ من كيانِنا النفسي، ويكون الفهمُ والاستيعابُ والتمثُّلُ بها أفضلَ مما يكونُ باللغةِ الأجنبيةِ مهما أتقنها المتعلم، وعاملٌ اجتماعيٌ مِهْنِيٌ لأن اللغةَ هي أداةُ تفاهمٍ بينَ أصحابِ الاختصاص مع أفراد المجتمع، وعاملٌ ثقافيٌ قوميٌ لأن اللغةَ العربيةَ هي سمةُ انتمائِنا القومي وركيزةُ ذاتِنا الثقافية وعاملٌ روحيٌ حضاريٌ لأنها لغةُ العقيدةِ والتراث.

ولن يكون التعريبُ بأية حال ابتداعاً أو افتعالاً، إذ هو الأصل وليس خروجاً على الأصل، كما لن يكونَ ابتداءً أو استثناءً، فقد دَرَّسَتْ كلياتُ الطبِ والهندسةِ والعلومِ بمصر باللغة العربية واحداً وستين عاماً (١٨٢٦-١٨٨٧) والكليةُ الإنجيليةُ السوريةُ ببيروت ثمانيةَ عشرَ عاماً (١٨٦٦-١٨٨٤). وأما دمشق فشرعت بتعليمِ الطبِ والحقوق بدايةً من عام (١٩١٩) بالعربية ثم علّمت بها سائرَ العلوم الأساسيةِ والتطبيقيةِ والاجتماعيةِ والإنسانية حتى اليوم وتبعتها في ذلك جامعاتُ حلبَ وتشرينَ باللاذقيةِ والبعثِ في حمص، وبنجاحٍ كبير.

ولكن بماذا يتذرعُ المترددونَ في إقرارِ التعريبِ وتنفيذهِ؟.

٥- تأمين احتياجات التعريب:

يخشى المترددونَ في هذا الموضوع أن يؤدِّيَ التعريبُ إلى عزلةِ المتعلمِ العربي عن مصادرِ المعرفة العلمية، وأن ينخفضَ مستوى التعليمِ الجامعي في البلدان العربية.

ودرءاً لمثل هذا الاحتمال تؤيدُ خططُ التعريبِ القطريةُ والقوميةُ تعلمَ

الطالبِ العربي الجامعي لغةً أجنبية أو أكثر، تمكّنه من الرجوع إلى مصادرِ المعرفةِ العلميةِ بواسطتها في المراحل العليا من دراستِه سواءٌ أتمّتْ في بلدِهِ أو في بلدٍ أجنبي كذلك تلحظ أن للتعريب احتياجاتٍ ينبغي تأمينُها، وعلى رأسِها المصطلحاتُ العلميةُ اللازمةُ والكتبُ المقررةُ والمرجعيةُ مؤلفةً أو مترجمةً عن اللغاتِ الأخرى، ذلك أن التعريب انفتاحٌ لا انغلاق، وارتفاعٌ بمستوى التعليمِ العالي لا انخفاضٌ وتراجع. ومن هنا كان على حركةِ التعريب أن تترافقَ وتتزامنَ مع حركةِ ترجمةٍ ناشطةٍ وجهدٍ مصطلحي سليم.

والسؤال الآن: هل تنجحُ المنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم في تنفيذ خطة التعريب التي وضعتها؟ وهل ثمة ضرورةٌ لتشريعاتٍ ملزمة مثلِ القانونِ الذي صدرَ في الجزائر؟ وهل ثمة حاجةٌ لقرار تصدره أعلى سلطةٍ سياسية في الوطن العربي، وهي مؤتمر القمة، مؤتمر الملوك والرؤساء بإلزاميةِ التعريب واستخدامِ العربية مثلما طالبت به ندوةُ تعريبِ الطب التي انعقدت بدمشق في أواخر عام (١٩٨٨)؟.

قد يكون كل ذلك مفيداً، ولكنني أعتقد أن عملاً جماعياً تنهض به القياداتُ السياسيةُ والاجتماعيةُ والفكريةُ في الوطن العربي، عملاً يخطَّطُ له بعنايةٍ ويموَّل كفايةً هو القادرُ على تحقيقِ هذا الانعطافِ التاريخي الكبير.

ونتطرقُ بصورةٍ خاصة إلى المصطلحِ ودورِهِ وأهميتِهِ وضرورة توحيده، بوصفه ركناً من أركانِ هذه الحركة.

ب - قضية المصطلح:

إنّ النصَّ العلمي يشتملُ على مفرداتٍ عامة ومفرداتٍ متخصصةٍ

بحقلٍ معرفي، وهذه المفرداتُ الأخيرة هي التي ندعوها المصطلحات.

والمصطلح لغةً هو ما اصْطُلِحَ عليه أي ما اتفقتْ عليه طائفةٌ مخصوصة. جاء في الوسيط: المصطلح هو اتفاق طائفةٍ على شيءٍ مخصوص، ولكلِ علمٍ اصطلاحاته.

هذا وليس ضرورياً أن يسبقَ التعريبُ وضع المصطلح أو العكس بل يمكنُ أن يسيرا في خطينِ متوازيين، وبالتزامن، مع ملاحظةِ أن لكلٍ منهما تأثيراً في الآخر، فالتعريب يحثُّ على وضع المصطلح، والمصطلحُ يُيَسِّرُ أعمالَ التدريسِ والترجمةِ والتأليفِ التي لا يتمُّ التعريبُ إلا بها.

وإنه لحريٌّ بنا، في حديثِنا عن المصطلح أن نذكرَ بإيجازٍ شيئاً عن طرائقِ وضعهِ ومنهجيةِ اختيارهِ وأسلوبِ توحيدِه.

١- طرائق وضع المصطلح:

أما طرائقُ وضعِه فقد ذكرَ العلامةُ مصطفى الشهابي في كتابه المصطلحاتُ العلميةُ في اللغةِ العربيةِ في القديمِ والحديث: «أن العربيةَ قد نمت بالاشتقاقِ والمجازِ والنحتِ والتعريب، وهي الوسائلُ التي رجعَ العلماءُ والنقلة إليها عندما وضعوا آلافَ المصطلحات في صدرِ الإسلام سواءٌ في العلومِ الفقهيةِ واللغوية أو في علومِ فارسَ ويونان والهند وغيرِها من الأمم» ثم يضيف: «وهذه الوسائلُ هي التي نتخذُها في زمنِنا هذا لنقلِ العلوم الحديثة إلى لغتِنا الضادية».

لقد شعرَ العربُ بالحاجةِ إلى المصطلح عندما قاموا بنقلِ العلومِ والمعارفِ من لغاتِ من سبقهم كاليونانية والفارسية والهندية إلى لغتِهم،

فوضعَ التراجمةُ ثم المؤلفون بعد ذلك آلافاً من الألفاظِ العربيةِ لمقابلةِ المصطلحاتِ الوافدة من تلك اللغاتِ كما اقتبسوا منها ألفاظاً عَرَّبوها وأدخلوها لغتهم، وذلك وفقاً للطرائق أو الوسائلِ التي أتينا على ذكرها.

ولم يكن هذا الأمرُ هيناً يسيراً، ودليلُ ذلك أن بعضَ الكتبِ قد ترجمت أكثرَ من مرة، وعُدِلَ في كل مرة عن بعضِ ما استخدم في المرةِ السابقة من مصطلحاتٍ التماساً للأفضلِ والأصلح.

وفي العصرِ الحديث رافقَ النهضةَ العلميةَ والثقافية سعيٌّ حثيثٌ لإيجادِ المصطلحات، قام بذلك العملِ رجالٌ أفذاذٌ جدُّوا في مضمارِ الترجمةِ والتأليفِ ووضعِ المصطلح ثم قامت به مجامعُ اللغة العربية والجامعاتُ وهيئاتٌ أخرى وطنيةٌ وقوميةٌ وأجنبيةٌ فنمتِ اللغةُ العربية على أيديهم إلى حدٍ كبير.

لقد جُمِعَتِ المصطلحاتُ في معاجمَ متخصصةٍ أو قوائمَ أو مساردَ أحصاها بعضهم فبلغ عددُها نحوَ ستمئةِ عملٍ معجمي منها (٥٣) في الطب و(١٦) في الفيزياء و(٢٦) في الاقتصاد... إلخ.

إن هذا العملَ الكبيرَ لم يتوقفْ ولا ينبغي أن يتوقفَ لأنه عملٌ يستدعيه ويحتِّمُه التطورُ العلميُّ والتقدمُ المعرفيُّ المستمرانِ في العالم.

٢- منهجية اختيار المصطلح:

أما منهجيةُ اختيارِ المصطلح فقد تنبَّهَ علماءُ ولغويونَ كثيرونَ قديماً وحديثاً إلى ضرورةِ اصطناعِ قواعدَ تضبطُ اختيارَ المصطلح وتعينُ على وضعِهِ وفقاً للطرائقِ السابق ذكرها.

ونجدُ مثلَ هذه القواعد قديماً لدى أبي الريحانِ البيروني وابنِ البيطار،

ونجدُها في العصر الحديث لدى رفاعة الطهطاوي ود. محمد شرف والعلامـة الأمير مصطفى الشهابي وغيرهم.

فقد ذكـر الشـهابي في نهايـةِ معجمـه «الألفـاظ الزراعيـة» نهجَـه أو منهجَه في اختيارِ المصطلح نثبت منه ما يلي:

تحري لفظٍ عربيٍ يؤدي معنى اللفظِ الأعجمي.

إذا كان اللفظُ الأعجمي جديداً، أي ليس له مقابلٌ في لساننا، تُرْجِـمَ بمعناه كلمـا كـان قـابلاً للترجمـة أو اشـتُقَّ لـه لفـظٌ عربـي مقـاربٌ بوسـائلِ الاشتقاق والمجاز والنحت.

وإذا تعذرَ وضعُ لفظٍ عربي بالوسائلِ المذكورة عُمِدَ إلى التعريـب مـع مراعاةِ قواعدِه على قَدْرِ المستطاع.

وَضَعْتُ بالاشتقاق والمجاز كلماتٍ عديـدة، وبـالنحتِ كلمـاتٍ قليلـة مسترشداً بالقرارات، أو قُلِ القواعد القياسية التي اتخذها مجمعُ اللغةِ العربيةِ في القاهرة.

عَرَّبْتُ أسماءَ الأجسامِ والموادِ الكيميائية، بسيطةً كانت أو مركبـةً، إلا التي لها أسماءُ عربية كالذهبِ والكبريتِ والحديدِ والنحاس.

وجاء في مقدمـةِ «المعجـم الطبي الموحـد» الـذي يمثل عمـلاً جماعيـاً مؤسسياً لا فردياً ما يلي:

استعملت كلمةٌ عربيـةٌ واحـدةٌ مقـابل التعبـير الأجنـبي، و لم تسـتعملِ المترادفاتُ إلا فيما ندر.

استعملتِ الكلمـاتُ العربيـةُ المتداولـة الـتي اسـتعملها الأطبـاءُ العـرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي... وتركتِ الكلماتُ الدخيلـة الـتي

وجد ما يقابلها في العربية.

استبعدتِ الكلماتُ الدخيلةُ إلا إذا كانت اسماً لشخصٍ أو مشتقةً من اسمه، أو كانت مستعملةً في لغاتٍ متعددة.

ابتعدتِ اللجنة عن الألفاظِ الوعرة ما أمكن.

لم تلجأ اللجنـةُ إلى النحتِ أو التركيبِ المزجي إلا فيما ندر كأن تكون الكلمةُ قد شاعَ استعمالها...

وقَدَّمَ مجمعُ اللغةِ العربيـة بالقاهرة خدمـةً جليلـةً للغة العربيـة باتخاذه قراراتٍ مهمةً تصلحُ قاعدةً لمنهجية موسعةٍ كاملة لاختيار المصطلح، نذكر منها:

يؤخذ بمبدأِ القياسِ في اللغة.

يجوز النحتُ عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية: شِبْغَرَوِيّ (شبه غروي).

ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة: صُوَرِي، دُوَلِي، جَمَاهِيري.

يجوز جمعُ المصدر عندما تختلف أنواعه: إشعاعات، تمديدات.

يجوز إدخالُ الـ على حرف النفي المتصل بالاسم: اللاهوائي، اللاسلكي.

يجوز الاشتقاقُ من الجامد للضرورة في لغة العلم: مُهَدْرَج، مُكَبْرَت...

وأخيراً، نظم مكتب تنسيق التعريب بالرباط عام ١٩٨١ ندوة لتوحيد منهجياتِ وضعِ المصطلحاتِ العلمية الجديدة، فأقرت مبادئ أساسيةً صاغتها في ثماني عشرةَ مادةً نذكرُ منها:

- ضرورة وجودِ مناسبةٍ أو مشاركةٍ أو مشابهةٍ بين مدلولِ المصطلح

اللغوي ومدلولِه الاصطلاحي، ولا يشترطُ في المصطلح أن يستوعبَ كل معناه العلمي.

• وضعُ مصطلحٍ واحدٍ للمفهومِ العلمي الواحدِ ذي المضمون الواحد في الحقلِ الواحد.

• استقراءُ التراثِ العربي، ولا سيما ما استقر منه من مصطلحاتٍ تصلحُ للاستعمال الحديث...

ومن الحق الجمعُ بينَ هذه القواعدِ جميعِها وتنسيقُها وصبُّها في منهجيةٍ واحدةٍ لاختيار المصطلح تُجْعَلُ في متناولِ أيدي الدارسينَ والمدرسينَ والمؤلفينَ والمترجمين، وليس من جهةٍ أقدرَ على ذلك من اتحادِ مجامعِ اللغة العربية.

٣- توحيد المصطلح:

لقد تعددت أحياناً المقابلاتُ العربيةُ للمصطلح الأجنبي لأسبابٍ عدة منها: تعددُ الجهاتِ الواضعةِ للمصطلح، وتعددُ منهجياتِ التعريب وتعددُ مصادرِ المصطلح والتأخرُ الزمني في قيام جهةٍ قادرةٍ على وضع المصطلح الملائم في الوقت الملائم. ومثال على ذلك أن وُضِعَ مقابلَ المصطلح الفرنسي Frein المقابلات: مكبح وكابحة وماسك ولجام وفرملة وفران، ومقابل لفظة جهاز Computer بالإنكليزية: حاسب وحاسب آلي وحاسبة وحاسوب وعقل إلكتروني ولفظة Ordinateur الفرنسية التي تدل على الجهاز نفسه لفظة نظّامة وناظمة ورتّابة. هذا في وقت يدخل ساحةَ المعرفة في العالم ما يربو على (٧٣٠٠) مصطلح جديد سنوياً أي بمعدل (٢٠) مصطلحاً كل

يوم، وأما المقابلاتُ العربية التي توضع فلا يتجاوز عددها سنوياً (٢٥٠٠) مصطلح على وجه التقريب.

ومن هنا كان السَّعْيُ لتنسيقِ الجهود في وضعِ المصطلحات وتوحيدِها خشيةَ أن يتسعَ البَوْن فتنشأُ لغاتٌ عربيةٌ علمية بدلاً عن لغةٍ عربيةٍ علمية واحدة. ومن هذا المنطلق أنشئ عام ١٩٦١ جهاز قومي مختص دعي «مكتب تنسيق التعريب» بالرباط في المملكة المغربية، بناء على توصية مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد في المدينة المذكورة في العام نفسه، بصفة هيئة مستقلة إدارياً ومالياً، ثم احتضنته جامعة الدول العربية من عام ١٩٦٩-١٩٧٢ إذ قامتِ المنظمةُ العربيةُ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم فتحوَّل جهازاً من أجهزتها.

ومهمةُ هذا المركز جَمْعُ المصطلحاتِ المستخدمةِ في البلدان العربية، في كلِ مجالٍ من مجالاتِ المعرفةِ والعلم وتنسيقُها وتكليفُ خبراءَ بوضعِ مصطلحاتِ كلِ علمٍ في معجمٍ متخصص ثم عَرْضُ ذلك على الهيئاتِ اللغويةِ والعلميةِ في البلدان العربية، وتقديمُها بعدَ ذلك إلى مؤتمرِ التعريبِ الذي ينعقد دورياً كلَّ ثلاثِ سنوات لدراستِها والتصديق عليها.

لقد أقر مؤتمر التعريب الثاني (الجزائر ١٩٧٣) (٦) معاجم للتعليم العام، والثالث (طرابلس ١٩٧٧) (٨) معاجم للتعليم العام أيضاً والرابع (طنجة ١٩٨١) (١٠) معاجم للتعليم التقني والمهني والعالي، والخامس (عمان ١٩٨٥) (١٠) معاجم للتعليم العالي، والسادس (الرباط ١٩٨٨) (٥) معاجم، والسابع (الخرطوم ١٩٩٤) (٤) معاجم، فيكون المجموع (٤٣) معجماً، وثمة (٥) معاجم في الإعداد.

ونظراً للتجانس في المعجماتِ المخصصةِ للتعليمِ العام والمخصصةِ للتعليمِ العالي ودرءاً للتكرار جُمِعَتِ المعجماتُ المصدقة حتى المؤتمر السادس وعددُها (٣٤) معجماً في (١١) معجماً تضمُّ (١١٢٥٦٠) مصطلحاً هُيِّئتْ للطبع، وصدر منها حتى الآن ثمانيةُ معجمات.

إن جهوداً كبيرةً بذلت وما تزالُ تبذَل لوضعِ المصطلحاتِ العلمية وتوحيدِها، ولكن الجهودَ التي تبذل متأخرةً لا تعطي ثمارَها كاملة، فما زال ثَمَّةَ مصطلحاتٌ في مجالاتِ العلم موضعَ اختلافٍ ويقدِّرُها بعضُهم بنسبة ٦٪ من مجموع المصطلحاتِ المستخدمةِ في التدريس والترجمةِ والتأليف. إنه شأن عسيرٌ ومثيرٌ ولكنه لا يدعو إلى التشاؤم، فالتعديل ممكن دوماً والبقاء للمصطلح الأصلح، علماً بأن اللغاتِ الأخرى تعاني ما تعانيه العربية، وفي أوربا تعقد المؤتمرات لتوحيد المصطلحات.

وفي رأيي، وتداركاً لهذا الخلل في المواكبةِ والتزامن بين المصطلح الأجنبي ومقابله العربي، ودرْءاً لتعددِ المقابلات العربية للمصطلح الواحد، أن يُطَوِّرَ مكتبُ تنسيق التعريب عملَه بوصفه جهازَ التنسيق القومي، فيتتبعُ ما يستجدُ من مصطلحاتٍ في العالم في مختلفِ فروعِ العلم عن طريقِ مراجعةِ المعجمات التي تصدرُ باللغاتِ الأجنبية، ولا سيما تلك التي تكونُ اللغةُ الإنكليزيةُ أساساً لها، والكتبِ والدوريات، ويجمعُه في قوائمَ يعرضها على المجامعِ اللغويةِ والعلميةِ والجامعاتِ والمراكزِ العلمية مشفوعةً باقتراحات خبرائه، كيما تقول رأيها فيها، ثم ينسقُ المكتبُ بين هذه الآراء ويقدمُها إلى مؤتمراتِ التعريب لإقرارها، وكذلك يقوم بمراجعة المعجمات التي تمَّ إقرارُها وطبعها، مرة كل خمس سنوات لتعديل ما يجب تعديله وإغنائها بالجديد

وعرضها محدثة على مؤتمرات التعريب للتصديق عليها.

وإنني لأعتقد أنه قد حانَ الوقتُ لتعديلِ الأسلوبِ المتبعِ في وضعِ المصطلح وتنسيقِهِ وتوحيدِهِ، ورسمِ خطةٍ جديدةٍ للعملِ المصطلحي، يكون من أسسها:

تولي اتحادِ مجامعِ اللغة العربية قيادةَ العملية برمتها، بحكم اختصاصه ويغدو مكتب تنسيق التعريب جهازاً منفذاً للمشروعاتِ التي يرسمها الاتحاد.

دعوةُ المنظماتِ والاتحاداتِ النوعية العربية (كالمنظمة العربية للتنمية الصناعية واتحاد المهندسين واتحاد الكيميائيين) إلى المشاركة في هذا الجهد بالخبراتِ والمال، على مثال ما قام به اتحادُ الأطباءِ عندَ وضعِه معجمَه (المعجم الطبي الموحد).

بذلُ الجهودِ العاجلةِ والجادّةِ لِمكننةِ العمل في هذا المكتب للاستفادةِ من الآليةِ المتطورةِ وقدراتها الهائلة على الخزنِ والاسترجاعِ والمعالجة.

إنشاءُ بنكٍ للمصطلحاتِ العلمية وإحداثُ مركزِ إعلامٍ مصطلحي في نطاق مكتب تنسيق التعريب بالرباط أو المركزِ العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق والعنايةُ بتدريسِ علم المصطلح، وتوحيدُ منهجياتِ وضع المصطلحِ وَفْقَ قواعدَ واضحةٍ متفقٍ عليها.

الربطُ المحكمُ والمستمرُ بين وضعِ المصطلح وتوحيدِه من جهة وبين استخدامِه في الترجمةِ والتأليفِ والتدريس والبحث العلمي، واعتبارُ العملية برمتها جزءاً من حركةِ التقدمِ العلمي والتقاني والنهضة الحضارية في الوطن العربي.

الخاتمـة:

وخاتمة القول: إن قضيةَ التعريبِ والمصطلح والسيرَ بها نحو الأفضل ليست قضيةً لغويةً فحسب، بل هي قضيةُ امتلاك هويتِنا الثقافيةِ والمحافظةِ عليها، قضيةُ اللحاقِ بالتقدمِ العلمي والتقاني في العالم، قضيةُ التقدمِ الحضاري من موقعِ الذاتِ العربيةِ الفاعلةِ البعيدةِ عن التبعيةِ والاستلاب، قضيةُ بلوغِ القدرةِ على استئناف دورِنا في رفدِ الحضارةِ الإنسانيةِ والمشاركةِ في صنع المستقبل.

المراجع

كتاب «**المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**» للأمير مصطفى الشهابي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، طبعة ثانية منقحة ومزيدة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م.

كتاب «**اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة**» تأليف الدكتور كارم السيد غنيم عضو كلية العلوم بجامعة الأزهر - مطبوعات مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٨٩م.

كتاب «**الأسس اللغوية لعلم المصطلح**» تأليف الدكتور محمود فهمي حجازي. مطبوعات مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٩٣م.

كتاب «**التعريب والتنمية اللغوية**» تأليف الدكتور ممدوح خسارة مطبوعات دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، ١٩٩٤م.

محاضرة «**التعريب والمصطلح العربي الموحد**» للدكتور محي الدين صابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ألقيت في

ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً بتونس من ٧- ١٠ تموز ١٩٨٦.

محاضرة «**قضية المصطلح العلمي في نطاق تعريب التعليم العالي**» للدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، ألقيت في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية التي عقدت في رحاب جامعة الجزائر من ٧- ٩ نيسان ١٩٨٤.

كتاب «**دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**» تأليف شحادة الخوري، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط ٢/ ١٩٩٢.

كتاب «**الترجمة قديماً وحديثاً**» تأليف شحادة الخوري. إصدار دار المعارف بسوسة/ تونس ١٩٨٨.

محاضرة «**التعريب والمصطلح**» للأستاذ شحادة الخوري ألقيت في ندوة «التعريب وصلته بشخصيتنا الوطنية والقومية» التي أقامتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية - في جامعة تشرين باللاذقية من ٩- ١١ نيسان ١٩٩٦.

كلمة

حول جهود أكاديمية المملكة المغربية

في السهر على حسن استعمال اللغة العربية في المغرب

د. محمد بن شريفة

السادة المجمعيون والمنتدون:

ندبني الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بربيش أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية وزملائي أعضاء الأكاديمية إلى شهود هذه الندوة التي يقيمها المجمع الرائد مجمع اللغة العربية بدمشق وكنت تلقيت قبل هذا دعوة كريمة من معالي رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام للمشاركة في الندوة، ولهذا فإن سعادتي عميقة واعتزازي كبير بأن أحضرَ بالسفر إليكم والاستفادة من ندوتكم.

وقد حملني زملائي في الأكاديمية أمانة الإعراب عن أطيب تحياتهم وأصدق تمنّياتهم لحضراتكم، وهم يعتزّون أيّما اعتزازٍ بجهودكم الدائمة وأعمالكم الخالدة في نصرة لغة الضاد ورفعة شأنها ويحيّون معالي رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي سعدنا به في الأكاديمية زميلاً جليلاً.

وأرجو أن تسمحوا لي ـ وقد جئت ممثلاً لأكاديمية المملكة المغربية في

هذه الندوة - أن أقدم عرضاً موجزاً عن نشاط لجنة اللغة العربية التي هي إحدى اللجان العاملة في الأكاديمية وهو نشاط يتصل بموضوع الندوة ويتعلق بمحاورها.

إننا في لجنة اللغة العربية بالأكاديمية أصبحنا على صلة مباشرة بمجامع اللغة العربية بعد انتماء أكاديميتنا إلى اتحاد المجامع اللغوية، ونحن نحاول أن نسعى كسعيكم ونعمل مثل عملكم في الدفاع عن اللغة العربية والحفاظ على سلامتها ومكانتها تطبيقاً منا لهدف من الأهداف المنصوص عليها في ديباجة الظهير التأسيسي للأكاديمية وهو «السهر - بتعاون مع الهيئات المختصة - على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب، وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع».

ومنذ تكونت لجنة اللغة العربية في الأكاديمية وهي تنظر في واقع اللغة العربية وأوضاعها بالمغرب معتبرة ومقتدية بالتراث النحوي واللغوي الكبير الذي أسهم به المغاربة في خدمة اللغة العربية وعلومها من شروح سيبويه إلى متون الجزولي وابن مالك وابن اجروم ومن معاجم القالي والزّبيدي وابن سيدة إلى حواشي ابن الطيب الفاسي والتادلي.

وقد اتجهت أنظارنا في أول الأمر إلى حال اللغة العربية في وسائل الإعلام، وأخذنا في رصد كيفية أدائها وطريقة استعمالها في الإذاعة والتلفزة والصِّحافة، وأنجزنا مسرداً ببعض ما يقع فيها من خطأ نحوي أو لغوي، وبلّغنا نتيجة عملنا إلى الجهات المسؤولة عن الإعلام مع حرصنا على متابعة الموضوع ومراقبة التنفيذ.

وقد كان لهذا المجهود أثره الطيب في تحسن الأداء وتجنّب الأخطاء، ثم تطور عمل لجنتنا في هذا السبيل إلى تنظيم اجتماعات دورية مع ممثلي

وسائل الإعلام، وكان من نتائج هذه الاجتماعات جملة من الاقتراحات وقع الالتزام بتطبيقها:

- تطبيق اقتراح مشرفين لغويين للقيام بمهمة تصحيح الأخطاء.
- تنظيم دورات للتدريب على النطق السليم وحسن الإلقاء.
- توفير معاجم ميسرة في المصطلحات الإعلامية والألفاظ الشائعة في ميادين العلم والتكنولوجيا والحضارة.
- توفير معجم يضبط أسماء الأعلام والأماكن المختلفة.
- الرجوع إلى لجنة اللغة العربية في الأكاديمية واستشارتها في قضايا اللغة العربية كلما اقتضى الأمر ذلك.

هكذا أحسسنا في لجنة اللغة العربية بالأكاديمية أن علاج الأداء في هذا المستوى من استعمال اللغة العربية أمر ضروري عندنا في المغرب وإن كان هو - فيما نحسب - شيئاً مفروغاً منه في المشرق العربي.

وقد تبين لنا ونحن ندرس موضوع الأداء اللغوي في وسائل الإعلام أن من أسبابه ضعف مستوى التعليم العام ونقص التكوين في اللغة العربية بالمعهد العالي للصِّحافة عندنا، وهو الذي يتخرج منه جل الإعلاميين، ولهذا وقع تنبيه الجهات المسؤولة التي شرعت في تدارك الأمر بتقوية ما كان ضعيفاً وتتميم ما كان ناقصاً.

وقد اشتغل أعضاء لجنة اللغة العربية في الأكاديمية كذلك زمناً غير قصير بمراجعة مجموعة من الكتب والمعاجم المدرسية المستعملة في المرحلة الابتدائية وأبدوا فيها آراءهم التي وجهت إلى جهات الإشراف والتنفيذ لتوزّعها على لجان التأليف المدرسي، ومن المعروف أن مؤلفي الكتب

المدرسية في الأزمنة الأخيرة نحوا فيها منحى مغرقاً في البساطة والسذاجة وسأقتبس هنا فقرة من بحث للأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي عضو هذاالمجمع الموقر قال:

«فلا حاجة مثلاً لأن نكتب لأطفالنا الصغار في كتب القراءة الابتدائية: زرع فريد فولاً وقطف ملفوفاً. إن ذلك يزرع التفاهة ويقطف الركاكة، ويُعتاد فيه الكسل والتراخي. أتذكر أنا - يقول الدكتور - كنا في الصف الرابع الابتدائي نعتمد كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي للقراءة .. وما أظن - يقول الدكتور - إن متخرجاً في كلية الآداب يستطيع أن يقرأ بسهولة هذا الكتاب ..».

لقد جاءت هذه الفقرة في آخر كلام لأستاذنا المجمعي أبدى فيه رأياً صريحاً نميل إليه ونحبذه، قال: «وأحب أن أبدي رأيي في مجال تعليم اللغة العربية وهو أن محاولة تيسير اللغة العربية وتسهيل أصولها من نحو وصرف محاولة مخفقة لأنها تؤدي إلى التردّي والتراخي والتفاهة والركاكة. نحن نؤثر الصعوبة والعقبات لأنها تشحذ العزائم وتشد الانتباه وتتحدى الإرادة المتوثبة ولا بد في ذلك من اعتماد التراث العربي الأصيل».

إن اشتغالنا باللغة المستعملة في وسائل الإعلام والكتب المدرسية إنما هو جزء من برنامج واسع يتناول قضايا اللغة العربية ومشكلاتها المختلفة كقضايا التعريب والترجمة والمصطلح والتيسير وغيرها وقررنا أن ندرس كل قضية على حدة في ندوة خاصة بها، وقد أقمنا ثلاث ندوات هي ندوة الحرف العربي والتكنولوجيا في سنة ١٩٨٨ وندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب في سنة ١٩٩٣ وندوة الترجمة العلمية في سنة ١٩٩٥، وأعمال هذه الندوات ووقائعها منشورة وقد شارك فيها أعلام من المشرق

والمغرب وهي مَلفات يرجع إليها في بابها وليس في الإمكان الآن تلخيص أبحاثها، ولكنني سأشير إلى بعضها، فقد وضع الأستاذ أحمد الأخضر غزال بين أيدي المنتدين مَلفاً حَرَص فيه - كما يقول - «على أن يكون شاملاً لجميع الوثائق الضرورية للإلمام بقضية الحرف العربي والتكنولوجيا إلماماً يجعل من الذي يدرسه ويتمعن فيه قادراً على الكلام فيه عن دراية وعلم. وفي اعتقادي - يقول الأستاذ الأخضر - إنه لو توفرت هذه الوثائق والمعلومات للهيئات العربية التي اشتغلت بهذا الموضوع من قبل لكنا قد فرغنا من هذا المشكل من زمن بعيد ولكنّا مكرِّسين جهودنا اليوم لخدمة اللغة فقط بكيفية طافرة نحو بناء مستقبلنا الزاهر بإذن الله وحوله». وقد كان هذا الملف موضوع نقاش من بعض المشاركين الخبراء في الموضوع ولكن جميع المشاركين نوهوا بالطريقة المعيارية ومزاياها وللاستاذ الاخضر كتابات متعددة في شرح هذه الطريقة والدفاع عنها، ويبدو لنا أن اجتهادات الأستاذ الأخضر وتجاربه العديدة وخبراته الطويلة حرية بأن يستفاد منها.

وأما ندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب فقد كانت ندوة كبرى شارك فيها مجمعيون من المجامع العربية فتحولت من قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب إلى دراسة قضايا اللغة العربية وطرح مشكلاتها العامة وهي تقع في سفر ضخم وأحسب أن الباحث في قضايا اللغة العربية لا يستغني عن الرجوع إليه.

وقد كانت ندوة الترجمة العلمية ندوة ممتازة أيضاً حضرها خبراء من سوريا ومصر والأردن وتونس، وقدم فيها خبراء من المغرب أبحاثاً جيدة حول الترجمة العلمية في الرياضيات والعلوم الطبيعية، وقد لاح من خلال العروض والمناقشات أمل في الوصول إلى تدريس الطب والعلوم باللغة

العربية كما هو الواقع في هذا البلد الحبيب ومما ورد في هذه العروض أن إتقان الترجمة العلمية وترجمة المراجع العلمية المعتمدة إلى اللغة العربية من الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأمل المنشود إن شاء الله.

إن محاور هذه الندوة التي دعا إليها مجمع اللغة العربية بدمشق مشكوراً تثار دائماً ونحن في حاجة إلى أن تثار باستمرار حتى يتم البت فيها والاتفاق على رأي موحد حولها، وأرى - بكل تواضع - أن نهاية هذا القرن الميلادي الوشيكة تصلح أن تكون مناسبة لوقفة يتم فيها مراجعة الكم الكبير الذي قيل وكتب منذ قرن أو قرن ونصف في مشكلات اللغة العربية على أن يستخلص من هذه المراجعة ما يؤدي إلى إنهاء الجدل حول هذا الموضوع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الإعلان

وتأثيره في اللغة العربية

الدكتور عصام نور الدين

يُروى أن تاجراً عراقياً قدم إلى مدينة رسول الله، بِعِدل من الخُمُر، فباعها كلها إلا السود، فلم يجد لها طالباً، فكسدت عليه، وضاق صدره، فقيل له: ما ينفّقها لك إلا مسكينُ الدَّراميُّ، وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة. فقصده فوجده قد تزهّد وانقطع في المسجد، فأتاه وقصَّ عليه القصة، فقال له: وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟

فقال له التاجر: أنا رجل غريب، وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل، وتضرَّعَ إليه.

فخرج الدَّارميُّ من المسجد، وعمد إلى ثياب نسكه فألقاها عنه، وأعاد لباسه الأول، وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعراً، ورفعه إلى صديق له من المغنّين، فغنّى به، وكان الشعر:

قل للمليحة في الخِمار الأسودِ	ماذا فعلت بزاهدٍ مُتَعَبِّدِ
قد كان شمَّرَ للصلاة ثيابه	حتّى خطرت له بباب المسجدِ
ردّي عليه صلاتَه وصيامه	لا تقتليه بحقِّ دين محمدِ

فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدَّارميّ وتعشق صاحبةَ الخِمار الأسود. فلم تبق مليحةٌ بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود، وباع التاجر جميع ما كان معه. فجعل إخوان الدّارميّ من النساك يَلقَون الدّارميَّ، فيقولون له: ماذا صنعت؟

فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين.

فلما أنفد العراقيُّ ما كان معه رجع الدَّارميُّ إلى نسكه ولبس ثيابه[1].

تُبرز هذه القصة:

أولاً: دورَ «الإعلان» الخطير في تقريب البعيد، وإقناع الفتيات بشراء ما كُنَّ قد أعرضن عن شرائه، أو كُنَّ قد رفضنه، فما كان البارحة سيئاً أصبح اليوم جيداً.

ثانياً: سماتِ «الإعلان» في ذلك الوقت، واعتماده:

١ـ على قائل مرموق (شاعر مجيد متهتك ـ مغنٍ متقن).

٢ـ وعلى ممثلٍ بارعٍ، أحسن لعب دوره، فألقى ثياب نسكه وزهده عنه، ولبس ثيابه الأولى؛ ثياب العزِّ والشرف والتهتك والمجون، وأوهم

(١) ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد)، **العقد الفريد**، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٦٨هـ ـ١٩٤٩م)، ص: ٦/ ١٨ ـ ١٩. وانظر كتاب ابن خِلِّكان، **وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة (د.ت)، ص: ٤/ ١٦١.

العذارى أنه قد عاد إلى مثل شأنه الأول... إلى سيرته الأولى... موحياً إليهنّ بشراء الخُمُر السود، التي تُبرز جمالهنَّ المؤثر الفاتن.

٣ـ وعلى كلام شعري تبوح كلماته وتراكيبه بموسيقى داخلية محببة، تبرز جرس الأصوات العربية وتناغمها وتآلفها؛ لأن صاحب النّص كان يعرف تأثير الموسيقى في العذارى، ويعلم سرعة تأثرهنّ بالكلمة الخفيفة الموحية.

٤ـ وعلى لحن خفيف يسير بين الناس سيراً لطيفاً مقبولاً ومطلوباً، فيدخل عقول العذارى وقلوبهنَّ دخول الهواء رئاتهنَّ؛ أي من دون أن يشعرنَ به، بل من دون أن يقاومن دخوله نتيجة ذلك الخدر النفسي المحبب إلى نفوسهنّ وأجسادهنّ المتعبة... والمتشوقة، في الوقت نفسه، إلى اللذة الهادئة أو الصارخة... وإن كان هذا الشوق مستوراً بعادات اجتماعية تكتمه إلى حين، وتخفيه في الظاهر، من دون أن تستطيع قتله، أو اجتثاثه من نفوسهنَّ التي تختزن سرّ الحياة والتكاثر والنموّ.

٥ـ وعلى التكرار غير المملِّ من جهة، والمداومة على نشر «الإعلان» بين الفتيات من جهة ثانية؛ لأن نصَّ الدَّارميَّ لم يُغنَّ مرة واحدة، في مكان واحد، بل اعتمد التكرار... والغناء في أماكن متفرقة، وفي أوقات مختلفة، ليوصل «إعلانه» إلى أوسع شريحة من شرائح المجتمع في «المدينة».

٦ـ وعلى هدف خلفي أُخفِيَ بلباقة ومكرٍ، وهو هنا تعلق الغانيات بمسكين الدَّارميِّ، أو بمن يشبهه من الشباب، أو بما يمثله الدَّارميُّ من شباب، وتوقد، وحركة، وحياة، ورجولة، وشاعرية، ومركز اجتماعي... إلخ،

وطمع كل واحدة منهن بأن تكون صاحبة الخمار الأسود التي تتصدّى للناسك المتعبد فتردّه عن صلاته وصيامه، وتجعله يخلع ثياب الزهد والتعبد والوقار من أجل جمالها، والظفر بحبها ووصلها.

فالإعلان، في هذه القصة الجميلة الممتعة، عبارة عن رسالة أو مرسلة MESSAGE - كما نقول في علم اللغة الحديث ـ تشدُّ المستمع أو المتلقي (RECEPTEUR)، فيقرأ القصيدة، أو يسمعها مغناةً وكأنه يستمع إلى قطعة موسيقية خالدة، أو كأنه يشاهد لوحةً جميلةً؛ فيفهمها ككلٍّ أولاً، ويحدد جيداً علاقات كل عنصر بالعناصر الأخرى ثانياً[1] ؛ أي أن أهمية هذا النص الشعري الإعلاني الجميل لم تبرز بذاتها ولذاتها ومن أجل ذاتها فقط... بل برزت نتيجة العلاقات القائمة بينها؛ العلاقات بين الأجزاء والكل، بين اللون والشكل، بين الكلمة وجرسها الداخلي وموسيقى المغني الخارجية وصوته الجميل، بين تطلع الغواني في المدينة إلى الظفر بحب الدَّارميِّ - أو بمن يشبهه - ولفت انتباهه، والسيطرة عليه، وحرفه عن صلاته وصومه وتنسكه وعبادته؛ أي أن العلاقات القائمة بين الدال Signifiant والمدلول Signifié [2] قد نجحت في قصيدة الدارميّ؛ لأن صاحبها قد راعى العلاقة بين الشكل

(١) -Dora Vallier. Dans le vif de L avant – garde. in Jakoboson. arc Paris. Librairie Duponchelle, ١٩٩٠,١٠ - ١٢ p.

(٢) راجع في نظرية الدليل اللغوي وجزأيه؛ الدال والمدلول كتاب «فردينان دي سوسير»

Ferdinandde saussure, Coursdelinguistique generale, paris, Edition – Payo theque, ١٩٨٠

والمضمون والهدف، ولَحَظَ السياق الاجتماعي للبث أو الإرسال أو الإنشاد أو الكلام، وتنبَّه إلى أهداف المتكلم أو الباثّ أو المرسل، ووضع نصب عينيه الأوضاع النفسية، والذاتية الشخصية، والاجتماعية، والثقافية، والطبقية، والاقتصادية للمتلقين... أو للمتلقيات.

لقد حاول الدَّارميُّ - وهو المرسل أو الباثُّ أو المتكلم - حين تكلم إلى متلقٍ أو مستمع جديد - وبنات «المدينة» هنّ المتلقيات المستمعات في نصّ الدّارميّ - حاول إرادياً أو لا إرادياً - أن يوظف ألفاظاً مشتركة بينه وبين بنات المدينة لإثارة إعجابهن بخُمُر التاجر العراقي، ولإفهامهن أن تلك الخُمُر جيدة، وتضفي عليهن الروعة، والجمال، والجاذبية، وقوة السحر الأنثوي، والإغراء، والإغواء، فساعدهن في شعره على التخلص من لامبالاتهن ومن إعراضهن عن خُمُر العراقي السود... ودفعهنّ دفعاً لطيفاً إلى شرائها والتمتع بوضعها على وجوههنّ؛ لأن كلّ واحدة منهنّ ظنت أنها هي الفطنة اللبقة المكتشفة، وأنها هي السابقة... الغاوية المغرية.

ولا يظنن أحد أن الدَّارميَّ كان حراً حرية مطلقة في اختيار ألفاظه وتعابيره وتراكيبه وأبنيته النحوية، وفي توظيفها في نصّه «الإعلاني» هذا، بل كان خاضعاً - أو مراعياً - لعدد من العوامل والاختيارات التي حددتها عبقرية اللغة العربية، وخصائصها، وسننها، إضافة إلى الظروف والخصائص التي تنبه إليها، والتي لحظتها الألسنية، وحاولت حصرها في:

١- الظروف الحسية للتواصل.

٢- الخصائص الموضوعية (Thématique) - أو الرابط الموضوعي بين

الجمل، ويكون موضوع المرسلة هو الجامع الموضوعي[١] - والبلاغية التي يمتاز بها الخطاب؛ ويسمى هذا النوع بـ«عالم الخطاب»، أو «قرائن الحديث»، أو «إطار الحديث» [٢] L,univers du discours ، وهو الإطار أو الموضوع الذي يقع تحته الحديث - سواء أكان فكاهة أم رواية أم خطبة أم شعراً أم أي مرسلة أخرى - ولكل إطار سمات تميزه من بقية الأطر، وتؤثر لغوياً في الموضوع، وفي اختيار الكلمات وضروب الاستعمال وطول التراكيب اللغوية أو قصرها، ويشمل الإطار اللغوي، أيضاً، «تموقع الخطاب» أو المرسلة، إضافة إلى العوائق الأسلوبية - الموضوعية.

وقد أدخلت الألسنية عناصر أخرى على هذا التحديد الذي توصلت إليه، وهي:

١- التحديدات النفسية والتحليلية - النفسية، وتلعب دوراً مهماً في بناء المرسلة وفي فك رموزها.

٢- الكفاءة الثقافية والأيديولوجية لكل من المرسل أو الباثّ أو المتكلم

---

(١) بعلبكي (رمزي منير، الدكتور)، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى (١٩٩٠ م)، ص: ٥٠٢.

(٢) مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات، تونس (١٩٨٩م)، ص: ١٤٩. وانظر:

بركة (بسام، الدكتور)، معجم اللسانية، طرابلس: جروس - برس، الطبعة الأولى (١٩٨٥م)، ص: ٢٠٨.

مبارك (مبارك، الدكتور)، معجم المصطلحات اللسانية، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى (١٩٩٥م)، ص: ٢٩٦.

من جهة، والمتلقي، أو المرسل إليه، أو المستمع، أو القــارئ مـن جهـة ثانيـة، وهي تقيم مع الكفاءة اللغوية Compétence علاقات متينة وغامضة.

ونستطيع الاستعانة بالرسـم البيـاني التـالي الـذي رسمتـه Orecchioni لبيان عملية التواصـل سـواء أكـانت في قصيـدة أم في مقطوعـة نثريـة، أم في «إعلان»، أم في «بيان»، أم في أي مرسلة[1] :

الكفاءات اللغوية وغير اللغوية — الكفاءات اللغوية وغير اللغوية

مرسل إليه — **المرجع** — **مرسل**

بناء ـ مرسلة ـ فك رموز

قناة الاتصال

الكفاءات الأيديولوجية والثقافية — الكفاءات الأيديولوجية والثقافية

التحديدات النفسية — التحديدات النفسية

عوائق الحديث — عوائق الحديث

طريقة الإنتاج — طريقة الشرح

فالإعلان، كما يستنتج من قصة الدَّارميِّ وحركتـه التمثيليـة ونصـه الشعري الجميل، فنٌّ مركب، «**يضع العالم بين يديك**»[2] ، أو بـين يـدي المتلقي أو المستمع، ويقنعه ـ أو يوهمه ـ بأنه قد حصل على أفكـار جديـدة،

(١) Dora Vallier, Dans le vif de L, avant- garde, P.١٠ - ١٢

(٢) عبارة وردت في إعلان نشرته مجلة «الوسيط»، العـدد ٤٢، في١٣/١٠/ ١٩٩٧، ص: ٢٣ .

أو بضاعة جديدة هو بحاجة إليها ولكنها **«لم تصنع من قبل»**[١].

ويتكون الإعلان من أفكارٍ واضحة هادفة، ويعتمد وسائل اتصال متنوعة متناغمة، ويهدف إلى إقناع المتلقي برسالته ـ بعد دراسة نفسيته، وثقافته، وحالته الاجتماعية والاقتصادية، وتاريخه، وانتمائه القومي والديني والجغرافي... واللغوي ـ ويدفعه دفعاً لطيفاً إلى تنفيذ غايته الظاهرة ـ أو العميقة ـ فيتبنى الفكرة، ويناقش فيها، معتبراً أنه هو صاحبها... أو يشتري السلعة ويظن أنه هو مخترعها أو مكتشفها أو مصنّعها... أو أنها لم تصنع إلاّ من أجل سعادته ورفاهيته... ويقلّد الآخرين في استعمالها وفي التماهي معها من دون أن يدري أنه يقلد، ومن دون أن يدري أن تأثره بهذا الإعلان قد يغير نفسيته وسلوكه وثقافته وعاداته وتقاليده... وقد يقضي أحياناً على وجوده المعنوي والحضاري والتاريخي... بتخطيط دقيق وذكي من المعلن أحياناً، أو من دون أن يكون في نية المعلن إلاّ نشر اسم السلعة وطريقة استعمالها لقاء أجر معين، كما بدا في قصة الدّارميّ، وفي حواره مع التاجر العراقي، حين قال له[٢]:

- **«ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة قد تبيعها كلها على حكمك؟»**.
- **فأجابه التاجر العراقي: «ما شئت»**.

«غير شخصية لتقديم الأفكار أو السلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة

---

(١) عبارة وردت في إعلان يقول: «اسألوا عن أفكار جديدة لم تصنع من قبل».

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: ٦/ ١٨.

ومقابل أجر مدفوع»[١] .

فالإعلان، إذاً، متنوع الأشكال والأهداف، فقد يوجه إلى إنسان فردٍ، أو إلى فئة، أو جماعة، أو حزب، أو أمة... وقد يكون علمياً، أو ثقافياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو صناعياً، أو زراعياً... وقد يعتمد المعلن في نشره على:

١ـ **الكلمة المسموعة**: من الإذاعات أو المحاضرات أو الندوات والخطب... وهي أقدم وسيلة إعلان عرفها الإنسان، وتنتقل من أفواه الناس إلى آذانهم مباشرة، أو تبث من وسائل الإعلام المسموعة... ونقل «المعلومات» من إنسان إلى آخر أو إلى آخرين يدّعي، في الأغلب الأعم، البراءة والسذاجة والعفوية... ويخفي وراءه التخطيط والدراسة والأهداف.

٢ـ **الكلمة المكتوبة**، في الصحف، والمجلات، والكتب، والنشرات، والتقارير، وعلى جدران الكهوف، أو المدينة، أو القرية وساحاتها ولوحاتها الإعلانية، سواء أكانت ثابتة أم متحركة.

٣ـ **الكلمة المسموعة المكتوبة**، مصحوبة بالصورة المتحركة والمنظر الخلفي الموحي والموسيقى المعبرة، ويكون ذلك في التلفاز والسينما، وفي الأفلام المسجلة.

---

(١)Report of committee of Definitions: American Marketing Association: the journal of Marketing, Vol ١٩٤٨ P. ٢٠٥

بالاقتباس من كتاب الدكتور أحمد عادل راشد، الإعلان، بيروت: دار

٤ـ **الحركة** سواءٌ أكانت منفردة أم مقرونة بالكلمة والصورة والموسيقى واللون... ويصاحبها الإغراء والإغواء والتشويق وإثارة الخيال[1].

النهضةالعربية (١٩٨١م)، ص: ٣٥.

(١) صنف Cantrel «هادلي كانترل» و«البرت» وسائل الاتصال وفقاً لدرجة انتباه الأفراد إليها على النحو التالي:

١ـ الحوار أو الحديث وجهاً لوجه بين شخصين.

٢ـ المناقشة أو الحديث وجهاً لوجه بين أفراد جماعة.

٣ـ الاتصال بين أفراد هيئة أو جمعية تجتمع بشكل ودي لا رسمي.

٤ـ الاتصال الهاتفي.

٥ـ الاتصال بين أفراد هيئة في جلسات رسمية.

٦ـ السينما الناطقة.

٧ـ التلفاز.

٨ـ المذياع.

٩ـ التلغراف.

١٠ـ الرسائل والخطابات الشخصية.

١١ـ الخطابات الرسمية.

١٢ـ الصحف.

١٣ـ لوحات الإعلانات.

١٤ـ المجلات.

١٥ـ الكتب.

ويلاحظ أن منزلة وسائل الاتصال الإعلانية المنتشرة اليوم تأتي في المراتب المتدنية. راجع:

- عيسوي (عبد الرحمن، الدكتور)، **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون**

فيستجيب المتلقي استجابة مباشرة أو غير مباشرة، فيشتري السلعة، أو يتمنى شراءها، أو يحفظ اسمها وينتظر الوقت المناسب... أو يعرض عن هذه السلعة أو تلك لأنه «لمس» أن هذه السلعة أو تلك الفكرة «أفضل» من سلع الآخرين وأفكارهم...

فالإعلان، كما لاحظ غير واحد من المهتمين به، يغطي«مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإعلانية المرئية أو المسموعة على الجمهور لغرض حثه على شراء سلع أو خدمات، أو من أجل سياقه من أجل التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها»[1].

وطبيعيٌّ أن لا نغوص كثيراً في أهمية الإعلان التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، ولا في مفهوم الإعلان ووظائفه، ولا في إدارة الإعلان، ولا في الكلام على الإعلان والسلوك الاجتماعي، ولا في الكلام على العوامل المؤثرة في الإعلان، ولا في فن الإعلان وتكوينه وتصميمه ووسائل نشره، ولا في بحوث الإعلان وتخطيطه وتقويم حملته الإعلانية... فإن هذه المباحث

العربي، بيروت: دار النهضة العربية(١٩٨٤م)، ص: ١١ .

- مُشَيِّخ (محمد حيدر)، **صناعة التلفزيون في القرن العشرين**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٤م)، ص: ٩٧.

(١) عساف (محمود، الدكتور)، **أصول الإعلان وتطبيقاته في المجتمع الاشتراكي**، القاهرة: دار الناشر العربي (١٩٦٩م)، ص: ٢٩... وواضح أننا أخذنا هذا النص من خبير إعلاني من دون الالتفات إلى سلامته اللغوية أو متانة تراكيبه وجمله.

وأمثالها مطروحة في كتب الإعلان المنشورة [1] ، ويعرفها المهتمون بها، ولكننا نسعى، في هذه الدراسة، إلى الانطلاق من الكلام على الإعلان إلى الكلام على تأثير الإعلان في لغة المتلقين، بعدما بيّنا قوة الإعلان في تغيير آراء الناس وأمزجتهم ومواقفهم... نتيجة تأثير الإعلان التعليمي، والإرشادي، والإخباري، والتذكيري، والإعلامي، ونتيجة التكرار والمداومة... ونتيجة استناده إلى الدراسات النفسية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية والحضارية والدينية والثقافية والجغرافية واللغوية والطبقية والاقتصادية للمتلقي المستهلك.

ويلاحظ المرء اليوم أن الإعلانات، التي تواجهه وتتحداه وتؤثر في نفسيته وسلوكه، مطروحة على جدران الطرقات، ولوحات الإعلانات، ووسائل النقل، والصحف والمجلات ـ وأحياناً في الكتب ـ وفي الإذاعات

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر:

• خير الدين (حسن محمد، الدكتور)، **دراسات في أصول الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٣م).

• عجر (عبد الرحمن عبد الباقي، الدكتور)، **دراسات عن الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٦م).

• الأنصاري (علي رفاعة، الدكتور)، **الإعلان: نظريات وتطبيق**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٩).

• رشتي (جيهان أحمد، الدكتور)، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، القاهرة: دار الفكر العربي (١٩٧١م).

• برجين (فرانسيس ج.)، الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٥م).

المسموعة، وفي التلفاز...

* فماذا يرى الإنسان؟
* وماذا يقرأ؟
* وماذا يسمع؟
* وما تأثير ما يراه وما يقرؤه وما يسمعه في لغته؟

أولاً: الإعلان المكتوب

أشرنا، قبل قليل، إلى أن الإعلانات تُنشرُ مطبوعةً؛ أي مرئية، أو مسموعةً، أو مسموعة مرئية.

فالإعلان المطبوع صمِّمَ ليُنقل إلى المتلقي بالعين وحدها. وقد يُنشرُ في صحيفة يومية، أو في مجلة، أو في دورية، أو في ملصقة، أو في لافتة منقوشة أو مضيئة، أو في مرسلة بريدية، أو في كتاب متخصص... إلخ.

ولغة الإعلان المطبوع، في لبنان، هي ـ في الأغلب الأعمّ ـ اللغة العربية الفصحى، المدروسة جيداً، والمعتمدة على نوع من التقطيع، والتسجيع الخفيف، الذي يحببها إلى القارئ، ويقربها منه... ويبعدها عن العاميات والسوقيات وما تحمله من ألفاظ مبتذلة أو مشوهة أو أجنبية.

وتكاد الصحافة اللبنانية ـ إلا في القليل النادر ـ تلتزم بالعربية الفصحى في إعلاناتها المبوبة الثابتة ذات الصفة التجارية، مثل: «عقارات وشقق للبيع أو للإيجار»، «تبديل سيارات أو عقارات أو أثاث أو كتب أو طوابع»، «خدمات فنية»، «طلبات توظيف»، «أحكام قضائية» يفرض القانون نشرها... إلخ.

ويلاحظ الدارس، أيضاً، أن العربية الفصحى هي لغة إعلانات

«الأدلة»، مثل «صحتك سيدتي»، و«أحوال الجو»، و«الأفلام السينمائية»، و«الإعلانات الاجتماعية» من خطوبة وزواج ومواليد وتهان... ووفاة وتعزية وذكرى أسبوع المتوفى... إلخ.

والفصحى، أيضاً، هي لغة الدعوات؛ دعوات المحاضرات واللقاءات والاجتماعات، ودعوات الاحتفالات، ودعوات العشاء... إلخ.

ويلاحظ قارئ هذه الإعلانات حرص أصحابها على سلامة لغتها، واختصارها، وقصر جملها، وسلاسة أسلوبها، وصراحتها، ووضوحها، وإيجازها، وواقعيتها، وانضباطها، وتهذيب أفكارها، وإنجازها إنجازاً فنياً تاماً... مما يسمح لأصحابها بالاتصال مع المتلقي القارئ والتواصل معه... وكيف لا تكون كذلك، وهي موجهة إلى المتعلمين القادرين، فنياً، على القراءة والفهم من جهة، وعلى النقد المحبب إلى نفوسهم من جهة ثانية؟.

إن قراء الإعلانات والدعوات والبطاقات يتساءلون في أنفسهم لحظة رؤية الإعلان عن موضوعه... وهذا ما يدفع بالمعلنين إلى جذب انتباه المتلقي أو القارئ واهتمامه، فيضعون لإعلانهم عنواناً مثيراً لافتاً... وقد يكون مصحوباً بصورة توضيحية جاذبة.

إن قارئ الإعلان في الصحيفة أو المجلة أو اللافتة أو الملصقة حرٌّ في أن يقرأ الإعلان أو في أن يهمله... وحرٌّ في قراءة جزء من الإعلان والإعراض عن الجزء الآخر... وحرٌّ في تأجيل القراءة إلى أي وقت يريد، وقادر على التفكير في الإعلان ومضمونه وفي إيجابياته وسلبياته.

إن هذه الحرية تفرض على المعلن أن يعتمد في إعلانه أسلوباً سليماً، يثير انتباه المتلقي القارئ، ويدفعه دفعاً لطيفاً إلى قراءته وعدم إهماله... أو إلى

متابعة قراءته... ولا يستطيع المعلن استغلال المتلقي ووقته إلا إذا ضمن لإعلانه شروطاً فنية ولغوية عدة، أهمها: الوحدة، والترابط، والقوة.

فالوحدة هي وحدة الإعلان كله؛ ووحدة جمله واستقلالها، ووحدة فقره.

والجملة، في الإعلان، بسيطة وقصيرة، وموجزة، وواضحة، وقوية، وتحمل فكرة رئيسية واضحة مستقلة، ولكنها تمهّد طبيعياً للفكرة التي تتلوها؛ أي أن الجمل المستقلة المباشرة الواضحة يأخذ بعضها برقاب بعضها الآخر... وكلما كانت الجملة بسيطة وقصيرة كان الإعلان جيداً ومؤثراً.

إن الكلام على الجمل البسيطة القصيرة لا يعني أن تكون جمل الإعلان كلها قصيرة ومتساوية في التقطيع، بل الأفضل أن تكون مختلفة الطول والقصر حتى لا يصاب القارئ بالسأم والملل والضجر... فالتنويع في جمل الإعلان وعباراته وتراكيبه لا يحصل إذا كانت معظم جمله قصيرة، بل الأفضل أن تكون مطعمة بجمل متوسطة وطويلة مّما يبعد الإعلان عن التصنع، ويعطيه الحياة والتأثير، ويدفع القارئ إلى التهامه بعينيه التهاماً سريعاً لا تضيع معه الفكرة الرئيسية ولو لحظة واحدة، كما يلاحظ القارئ في شعر **مسكين الدّارميّ**، المتنقل برشاقة بين:

١ـ **الطلب**؛ «قل للمليحة» في الخِمار الأسود.

٢ـ **الاستفهام**؛ «ماذا فعلت بزاهدٍ متعبد؟».

٣ـ **الخبر**؛ «قد كان شمّر للصلاة ثيابه». «حتى وقفت له بباب المسجد».

٤ـ **التأكيد**؛ «قد كان شمر».

٥ـ **مخاطبة المليحة، ورجاؤها**؛ «ردي عليه صلاته وصيامه» «لا تقتليه».

٦ـ **القسم**؛ «لا تقتليه ـ بحق دين محمد».

٧ـ **الالتفات**؛ مما سمح للشاعر بالتنقل من المخاطب إلى الغائب إلى المخاطبة.

إن هذا الأسلوب الغني بتنويع جمله، وتماوجها، ووحدتها، ووحدة موضوعها، سمح للمعلن أن يؤمن وحدة الفقر وترابطها؛ خدمةً لوحدة الفكرة الأساسية وإيضاحها، وتسويقها.

إن **وحدة الفقر واستقلالها** بجملها القصيرة الواضحة من جهة وارتباطها بفقر الإعلان الأخرى ـ في إعلان الدّارمي ـ من جهة ثانية شرط أساسيٌ لترابط الفقر، وإبراز سحرها وتأثيرها في المتلقي... ولا يتأتى للمعلن ذلك إلا إذا استقلت كل جملة بفكرة رئيسية، ترتبط بالجمل التالية لها ـ والمستقلة بدورها ـ وتشكل معها، في الوقت نفسه، جملاً متوحدة في فقرة، تتوحد بدورها مع الفقر الأخرى من جهة ومع فكرة الإعلان الرئيسية من جهة ثانية، كما يلاحظ في نصّ الدَّارميّ، ذي الأبعاد:

فالفقرة الأولى تمثّل الدّارميّ وقد وقف أمام متلقٍ آخر، سيتحول إلى ناقل للرسالة، أو إلى باث جديد؛ «قل للمليحة». لكن على أيّ مليحة يتكلم الشاعر؟ إنه يتكلم على «المليحة في الخمار الأسود»... وهذا هو عنوان الإعلان وأساسه وغايته.

الفقرة الثانية تتكلم على سحر المليحة «في الخمار الأسود»، الذي جعل سحرها ينتقل إلى الناسك الزاهد المتعبد، الذي قد كان همّ بالصلاة

مبتدئاً بتشمير ثيابه، فإذا بها تخطر بباب المسجد، وليس بباب أي مكان آخر دلالة على استغراق الناسك بصلاته.

الفقرة الثالثة الموجودة في النص هي مخاطبة هذه المليحة في خمارها الأسود، ورجاؤها أن تردّ على الناسك صلاته وصيامه... وهنا إشارة إلى فقرة غائبة عن المستوى السطحي للنص، ولكنها موجودة بقوة صارخة في عمقه، وهي أثر المليحة وخمارها في الرجال الطبيعيين، بل في الرجال المتزهدين الناسكين العاكفين في المساجد، والحالة النفسية والجسدية والروحية التي نقلته إليها المليحة بخمارها الأسود الذي يبرز جمالها الآسر الأخّاذ.

إن كتابة الإعلان بلغة واضحة، وبجمل مستقلة ومترابطة في الوقت نفسه، تؤمن للإعلان وحدته الكلية من جهة وتمنع ازدواج المعنى والغموض من جهة ثانية؛ لأن همَّ المعلن يتجسد في إقناع المتلقي بفكرته أو بسلعته، كما أقنع **مسكين الدّارميّ** عذارى المدينة ونساءها ومليحاتها بخمر العراقي السود... فتهافتن على شرائها كما تتهافت الفراشات على الضوء، فيحرقن أنفسهن ابتغاء الدخول في التجربة أو التلاشي فيها، فتصبح الفراشات المحترقات جزءاً من النار والنور، فإذا هي النار والنور... تؤثر بدورها بكل من يراها أو تمسّه أو يمسّها.

لذلك فإن صاحب الإعلان، في أيامنا هذه، يطرح على نفسه عدة أسئلة قبل أن يرسل إعلانه في الناس؛ لأنه مجبر على أن يرسل نقوده إلى وسيلة الإعلام أو الإعلان قبل إرسال الإعلان؛ ومن هذه الأسئلة:

- هل سيثير هذا الإعلان اهتمام المتلقي أو القارئ؟.

• وإذا أثار الإعلان اهتمام القارئ فهل سيقرؤه؟.

• وإذا قرأ المتلقي الإعلان فهل سيفهمه مباشرة بسهولة ويسر ومتعة؟.

• وإذا فهم المتلقي الإعلان فهل سيحركه لتبني فكرة الإعلان والدفاع عنها كأنها فكرته الشخصية البكر؟ أو هل سيحركه لشراء السلعة والترويج لها باعتبارها متدنية الثمن، جيدة المواصفات، كثيرة المنافع، ولا يستغني الناس عنها؟.

• وهل سيتحول المتلقي إلى باث جديد للإعلان كما تحولت مليحات المدينة ونساؤها، بل ورجالها أيضاً، حتى ظُنّ أن شعر **الدّارميّ** قد سبق التاجر العراقي في الانتقال من المدينة إلى العراق؟.

* * *

إن هذه الصورة المشرقة للإعلان في الصحف اللبنانية قد تختفي من وقت إلى آخر، نتيجة عدم التزام بعض المعلنين باللغة العربية الفصحى، إذ قد يعمد بعضهم ــ عن حسن نية أو عن جهل، أو عن سوء نية ــ إلى أن يستبدلوا بالعربية الفصحى عامية سوقية، يظنون ـ مخطئين ـ أنهم يستطيعون بها مخاطبة الجمهور كله، بغض النظر عن ثقافة المتلقي ومستواه العلمي أو الاجتماعي.

ويستطيع الباحث أن يردّ عامية بعض الإعلانات إلى اللغة العربية الفصحى، ويستطيع، في بعضها الآخر، أن يتكلم على بعض أساليب العربية من حذف وترخيم وإدغام واقتصاد صوتي يلجأ إليه كل أبناء اللغات... ولكنه لا يستطيع ترك الأمور بأيدي هؤلاء النفر من الناس الذين قد تكون

دوافعهم اقتصادية، أو سياسية خبيثة، فيصيبون عصفورين بحجر إعلاني واحد؛ فهم يروجون لبضائعهم وسلعهم وأفكارهم من جهة، ويعملون على هدم اللغة العربية الفصحى وتدميرها وإبعادها عن الحياة وحاجات البشر المتجددة باستمرار من جهة ثانية.

لاحظ هذا الإعلان الذي يبدأ بداية جميلة؛ فهو يقول بأنه «**يضع العالم بين يديك**»؛ لأنه «**العجيب للمناطق البعيدة والصعبة**»... ثم ينحدر فجأة ليقول إنه «**بيجيب**» كذا وكذا، و«**بسعر رخيص كمان**» و«**ما عنا دشات شغل هون وهون**» و«**منعرف أسعار السوق... وعنّا أرخص**»[1].

ولاحظ إعلان هذا المصرف الذي يبدأ بلازمة: «**تعا... روح، تعا... روح، تعا... روح**»، «**مارح ناخذك ونجيبك على الفاضي**» **ثم يقول**: «**عم بتفكر تشتري بيت العمر؟ بدل ما تأضي وقتك رايح وجايي... بيعطيك الجواب من الأول**»[2].

أرأيت إلى هذا الإسفاف اللغوي والذوقي والجمالي الذي يفقأ عين الإنسان الغيور على لغته وأمته وكرامته وحاضره ومستقبله، ويدمِّر الملكة اللغوية، بل ويسلب المتلقي لغته الجميلة، ويشوه سليقته اللغوية، ويقضي على أمل كل من يقرؤه من دون أن يؤمن له قرضاً لشراء بيت المستقبل إلا برهن حاضره ومستقبله ولغته؟.

(١) ملحق رقم (١)، وهو إعلان منشور في مجلة **الوسيط** البيروتية، العدد ٤٢، في ١٣/١٠/١٩٩٧، ص: ٢٣.

(٢) ملحق رقم (٢)، وهو إعلان منشور في جريدة **النهار** البيروتية، في ١٣/١٠/١٩٩٧، ص: ٤.

ولاحظ هذا الإعلان الذي لا يكلف كاتبه وباثه إلا القليل ليصبح عربياً فصيحاً:

«**أحسنلك... أضمنلك... أقربلك**»[١].

- لله أبوهم، ألم يكن إعلانهم أجمل وأحسن وأضمن وأقرب لو كتبوا:

«**أحسن لك... وأضمن لك... وأقرب إليك**»؟.

ثم لاحظ هذا الإعلان عن برنامج تلفازي[٢]:

- «**هل الطلاق هو الحل؟**» ... ... **وهو تعبير فصيح سليم.**

- **وهل** «**التسامح هو الحل؟**» ... ... **وهو تعبير فصيح سليم أيضاً.**

وهل «**التضحية كرمال الأولاد هي الحل؟ ... استعمل كلمة «كرمال» اللبنانية بدل كلمة «كرمى» العربية الفصيحة.**

ثم لاحظ كيف تزداد نسبة الانحدار إلى العامية في تتمة الإعلان نفسه:

- «**يمكن عم بتصير ببيتك**» (**أي الخيانة الزوجية**)...

- «**بس رح تسمع عنها...**».

- «**تعددت الطرق بس شو هي الأسباب؟**».

إن هذه الأمثلة القليلة التي سقتها لا تلغي ملاحظتنا بأن الاتجاه العام

---

(١) ملحق رقم (٣)، وهو إعلان منشور في جريدة **السفير** البيروتية في ١٧/٩/١٩٩٧، ص:٢ .

(٢) ملحق رقم (٤)، وهو إعلان نشر في جريدة **السفير** البيروتية، في ١/١٠/١٩٩٧، ص:٥- ٦- ٧.

في الإعلانات المكتوبة هو الميل إلى اللغة العربية الفصحى؛ لأن قارئ هذه الإعلانات:

ـ هو الإنسان المتعلم المثقف في الأغلب الأعم.

ـ وهو قد لا يحسن قراءة الإعلان المنشور باللهجات السوقية العامية؛ لأنه غير مدرب على ذلك.

ـ وهو قد يُعرض عن قراءة الإعلان إذا كان مكتوباً بلهجة سوقية.

إن الإعلان الجيد، المتمتع بالصفات التي تكلمنا عليها، ينتشر بين الناس بسهولة ويسر، فيحفظه الناس، ويردده الكبار والصغار، بمناسبة أو من دون مناسبة، مما يدفع باللغويين والسياسيين إلى التفكير باستغلال الإعلان استغلالاً لغوياً، يؤمن استعمال صيغ الفصحى وتعابيرها وتراكيبها استعمالاً دائماً مرتبطاً بالحياة اليومية ومتطلباتها. وقد سمعت الناس، يرددون في غير مناسبة ومكان، تعابير إعلانية وتلفازية وسينمائية عدة، منها العربي الفصيح، ومنها العامي السوقي، ومنها الأجنبي، ومنها الهجين المشوّه، بل إنني أشهد بأن كثيراً من الأولاد لا يكتفون بحفظ العبارات المسموعة وترديدها، بل إنهم يقولون، على منوال ما يحفظون، جملاً وتعابير وتراكيب لم يسبق لهم أن قالوها، ولم يسبق لهم أن سمعوا من يقولها هي حرفياً... كما أن الأولاد الآخرين كانوا يفهمون هذه التعابير وتلك التراكيب والجمل فهماً طبيعياً مع أنهم لم يسمعوها من قبلُ، فيتجاوبون معها سلباً أو إيجاباً حسب مقتضيات السياق اللغوي أو الموقف اللغوي الذي فرضته المناسبة بكل ما فيها من تعقيدات أو تنوع[1].

---

(١) راجع نظرية «نعوم تشومسكي» Noam Chomesky التوليدية

ثانياً: إعلانات التلفاز والإذاعات

معروف أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم حسب تعريف ابن جني[١]، وأن النحو هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم؛ وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها[٢].

فاللغة الأصوات؛

التحويلية، في:

Structure xyntaxiques, Traduction de Michel Braudeau, ١٩٦٩ Paris. Editions du Seuil.

Aspects de la theorie svntaxique, traduction de Jean – Claude Milner, Paris. Editions du Seuil ١٩٧١.

La linguistique cartesienne – suivi de – La nature formelle du langage, traduction de E. Delannoe et D. Sperber, Paris. Edition du Seuil ١٩٦٩.

Le langage et la pensee, Traduit de Louis- Jean Calvet, Paris, Edition Payot ١٩٨٠.

Questions de semantique, traduit de Bernard Cerquiglini, Paris, Edition du Seuil K ١٩٧٥. ..

(١) ابن جني (أبو الفتح، عثمان)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (د.ت)، ص: ١/٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١/٣٤.

* تؤخذ، إذاً، **اعتياداً**؛ كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغةَ عنهم على **مرِّ الأوقات**.

*وتؤخذ **تلقُّناً** من ملقن،

وتؤخذ **سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة**، ويتقى المظنون[١] ؛ لأن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال «**إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتّعنيت**»[٢]، **لذلك قال ابن فارس**: «**فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة**[٣] . إن نصّ ابن فارس يفتح أمام الباحث الكلام على الإذاعات المسموعة والإذاعات المسموعة ـ المرئية، اللتين تسبقان بتأثيرهما وسائل النشر التقليدية؛ فالتلفاز جاء في تصنيف «هادلي كانترل Cantrel في المرتبة السابعة، والإذاعة المسموعة في المرتبة الثامنة، بينما جاءت الصحف في المرتبة الثانية عشرة، ولوحات الإعلانات في المرتبة الثالثة عشرة، والمجلات في المرتبة الرابعة عشرة، والكتب في المرتبة الأخيرة وهي الخامسة عشرة[٤] .

فالتلفاز أكثر تأثيراً في الجمهور من الإذاعة المسموعة، ومن وسائل النشر المكتوبة، مثل الصحف، ولوحات الإعلانات، والمجلات، والكتب، بل

---

(١) ابن فارس (أبو الحسين، أحمد)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر (١٩٦٣م)، ص:٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٣.

(٤) راجع هامش (١) في الصفحة ٨٣٤.

هو أحد أهم الوسائل التعليمية والتربوية واللغوية في حياة الأطفال الذين يكونون قد أمضوا أكثر من أربع سنوات في مشاهدة التلفاز عند دخولهم المدرسة في السنة الابتدائية الأولى حسب دراسة الباحثين الأمريكيين «فولز» و«هورنر» من مكتب برامج الأطفال[1]؛ أي أن الطفل يكون قد جلس أمام التلفاز مدة تفوق المدة التي جالس فيها أبويه، وأقاربه، وأصدقاءه... فأصبح التلفاز، إذاً، هو مربي الأطفال المفضل لديهم، وأصبح هو الرفيق الذي يستمتع الأطفال برفقته، وبسماعه، وبرؤية أبطاله؛ لأنه ـ حسب دراسة الباحث «ميتاكلينوس» ـ يحتوي على ثلاث ركائز قوية؛

١ـ فهو صورة مرئية،

٢ـ وهو كلمة مسموعة،

٣ـ وهو حركة متتابعة.

ونستطيع أن نضيف الإيحاءات الناجمة عن الموسيقى الخفيفة المساعدة، والمناظر الخلفية المؤثرة، وحبّ الأطفال ـ والكبار ـ لشخصيات معينة تستطيع التأثير فيهم، وتعديل سلوكهم، وزيادة معلوماتهم، وتحسين لغتهم أو تشويهها؛ لأن التلفاز ـ حسب قول الباحثة «شايون Chayon» «هو أقصر الطرق في الوصول إلى عالم الكبار، إنه الشرفة التي يطل منها الطفل على عالم الكبار، وهو الباب الخلفي السريع لذلك... إذ لم يحدث قط أن كان التلفاز مشغولاً عن الحديث مع أطفالنا، ولم يحدث أن تركهم لأنه مضطر أن يعدَ الطعام... بل نراه يلعب معهم ويشاركهم العمل، لأنه يريد لفت انتباههم والحصول عليه لأنه يحتاجه دائماً، ولذلك فهو يفعل كل شيء

(١) مشيخ، صناعة التلفزيون في القرن العشرين، ص: ٩٠.

في سبيل الحصول على هذا الانتباه»[1]، فهو من أدوات التنشئة الاجتماعية، وهو أداة مثيرة ومؤثرة في سلوك الطفل، وفي نفسيته، وفي معلوماته، وفي ثقافته، وفي لغته... لأن مهارات الطفل اللغوية Aptitude linguistique تتأثر بالعوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وكثرة عدد أفراد أسرة الطفل وأقاربه وذويه ومعارفه، وأساتذته، ورفاقه، وأبناء حيه...إلخ، الذين يستمع إليهم أقل من استماعه إلى التلفاز... وهذا يعني أن التلفاز يؤدي، في الأغلب الأعم، وظيفة أبوي الطفل وبيئته اللغوية، فيؤثر في لغة الأطفال ـ والكبار بنسبة أقل ـ تأثيرات إيجابية إذا كانت لغة التلفاز هي العربية الفصحى، ويقلل ـ في هذه الحالة ـ من الفروق اللهجية الضيقة، ويوحد التراكيب والاستعمالات إلى حد بعيد، ويغني معجم الطفل اللغوي إغناء كبيراً تزداد نسبته عند الأطفال المتحدرين من بيوت لا يتمتع أصحابها بالثقافة ولا يقرؤون أو يكتبون أو يتكلمون باللغة العربية الفصحى...

وقد لاحظت أن أبنائي ورفاقهم كانوا منذ الصغر يحفظون كلمات وجملاً وتراكيب لغوية عدة، بل ويحفظون حوارات كاملة لإعلانات محببة إلى نفوسهم، أو إعلانات شدت انتباههم، ولفتتهم إلى ما فيها من جمال وقوة تأثير... كما لاحظت أن الكبار يحفظون عبارات بطلات الأفلام

---

(١) Johnson, R.C. and Medinnus, G.R> Child Psychology, Behaviour and ١٩٦٩ N.y Wiley and Sons, ...
Development, Hohn بالاقتباس من كتاب الدكتور عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص:٣٤، ٣٥.

وإعلانات الحسناوات إذا أدين أدوارهن أداءً طبيعياً بعيداً عن التكلف، والسماجة، والتصنع الصوتي، وإذا التزمن النطق الواضح السليم الذي يراعي مخارج الأصوات، في جمل قصيرة إجمالاً... وفي تراكيب متوسطة الطول... وهذا يعني أنهم قد حفظوا عبارات الغنج والدلال والتحبب والتودد والتقرب التي كن يتلفظن بها... وما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء المتلقيات أيضاً. ولا يكتفي الصغار والكبار بالحفظ، وبترديد ما حفظوا، بل سمعت الأولاد يستعملون استعمالاً لغوياً صحيحاً عبارات سبق أن حفظوها - أو حفظوا مثلها - في مواقف لغوية جديدة، وكانوا ينسجون، أحياناً كثيرة، على منوال ما حفظوا، فيبتكرون جملاً عربية صحيحة، وجميلة في قصرها، وفي تعبيرها عن الموقف اللغوي تعبيراً دقيقاً.

إن الناس قد يعجبون بعدد كبير من الإعلانات الناجحة، التي يمثلها البارعون المتقنون من الممثلين والممثلات، والتي تجتمع فيها صفات الإعلان الناجح من إتقان الفكرة وتحديدها، ومن جودة الإخراج الفني وبراعته وعبقريته، ومن تمازج الصوت والصورة والحركة واللحن الخفيف والمنظر الخلفي، والجمل القصيرة الصحيحة المعبرة تعبيراً جميلاً عن الفكرة الرئيسية في الإعلان، والتي تراعي نفسية المشاهدين، وخلفياتهم الثقافية والتاريخية والسياسية والدينية والقومية والوطنية...إلخ، فيؤدي تكرار إذاعة الإعلان والمداومة على إعلانه في أوقات مختلفة إلى أن يتعلق الناس به فيحفظونه عن ظهر قلب، ويرددونه في عفوية تثير الشفقة أحياناً، وتثير، في أحيان أخرى، الإعجاب بقوة الإعلان الآسرة التي تستولي على عقولهم وقلوبهم ونفوسهم ودراهمهم، والتي تؤثر في سلوكهم الاستهلاكي والشخصي والثقافي

والعلمي، فإذا الناس ينقادون، بقوة الإعلان وسحره، إلى حيث يريد لهم المعلن أن يصلوا.

- فكيف يكون الأمر إذا سيطرت على وسائل الإعلان والإعلام قوى محبة - أو عدوة بثياب الأهل - تعرف ما تريد، وتعرف إلى أين تريد للمشاهد المستهلك أن يصل؟.

- وكيف يكون الأمر إذا لم يكن بيع السلع وترويج استعمالها هو الهدف الحقيقي للمعلنين؟.

- وما النتيجة التي قد يصل إليها المجتمع إذا كان المعلن لا يريد إلا بيع سلعته، فيفوض أمره إلى شركات الإعلان، التي قد تكون محايدة لا تعمل إلا على خدمة عملائها المعلنين، وقد تكون وطنية قومية، وقد تكون عدوة متسربة إلى وسائل التأثير في الجماهير وتسييرها؟.

إننا لن نتعرض في هذه الدراسة للإعلانات التي تحرف أطفالنا وتؤثر فيهم تأثيرات سيئة قد تدفع بهم إلى الموت حين يرون «سوبر مان»، فيتأثرون به، ويحاولون الطيران مثله... كما حدث غير مرة في غير مكان، ولا للإعلانات التي كانت تروج لشكولاه أدخلت فيها بعض أنواع المخدرات، ولا للإعلانات التي كانت تروج لأنواع من اللبان أو «العلكة» التي تثير الصبيان والبنات جنسياً، ولا للإعلانات التي تروج لمواد مضرة أو فاسدة قد انتهت مدة استعمالها... ولا للإعلانات التي تروج لاستعمال الكحول والسجائر وتستعمل في ذلك أخبث أنواع الإعلانات وأكثرها تأثيراً في أبنائنا، ولا للإعلانات الجنسية الفاضحة وأحياناً الشاذة... إنما نريد

أن نتعرض لتأثير الإعلان الجيد في إخراجه وصوره وحركته وموسيقاه وممثليه ولغته ـ بغض النظر عن السلعة التي يريد أن يعلن عنها ـ وتأثير هذا الإعلان في لغة أبنائنا وعاداتهم النطقية من جهة، وفي دور الحكومات العربية في حماية أبنائنا لغوياً وثقافياً وعلمياً وتاريخياً وفنياً وذوقياً واقتصادياً وجسدياً من تأثيرات الإعلانات التجارية وغير التجارية التي تغتصب المستمع المشاهد الذي يكون، في الأغلب الأعم، مسترخياً بين أفراد أسرته، فتتسلل هذه الإعلانات إليه وإلى جميع أفراد أسرته... فتدخل قلبه وعقله من دون مقاومة، وبدون إرادة منه، وتؤثر في سلوكه الفردي والاجتماعي واللغوي.

ـ فماذا فعلنا من أجل استصدار القرار السياسي الذي يفرض على المعلنين ـ في التلفاز والإذاعة، والصحف والمجلات ولوحات الإعلانات والكتب ـ أن تكون إعلاناتهم باللغة العربية الفصحى، وأن تلفظ كلمات الإعلان وجمله وتراكيبه مراعية خصائص اللغة العربية وسننها وعبقريتها فلا تحول «الثاء» «ساء»، مثلاً ـ كقولهم: معجون الأسنان هذا يقوي (اللسة) بدل قولهم «اللثة»؟.

إن التلفاز جهاز ذو تأثير كبير في الصغار والكبار، في الذكور والإناث، في المتعلمين وفي الأميين، وفي الطلاب والفلاحين والعمال وأصحاب الحرف والصناعات، وهو كما تدل الملاحظة والمشاهدة يقوم بدور الأبوين العربيين اللذين يسمعان ابنهما أصوات اللغة، وكلماتها، وتعابيرها، وتراكيبها، وأساليبها، والتعبير بها عن كل حاجاتهم المادية والمعنوية والروحية... ويقوم التلفاز، أيضاً، بدور الملقن الدائم على مرّ الأوقات... ويلعب فيه المذيعون والمذيعات، والممثلون والممثلات، ومقدمو

البرامج والمقدمات، دور الرواة الذين يجب أن تحولهم الدولة والمؤسسات الأهلية والشعبية والحزبية والثقافية والاجتماعية...إلخ، إلى رواة ثقات ذوي صدق وأمانة، كما تقوم المدارس والجامعات بتحويل هؤلاء الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة إلى رواة نحارير، متقنين، لا يُدخلون على كلام العرب ما ليس منه... كما تلعب وسائل الإعلان والإعلام ـ المرئية والمسموعة والمكتوبة ـ دور الأستاذ الدائم لكل من يظهر على شاشة التلفاز ويتفوه ببنت شفة.

يجب أن لا يترك الأمر كما هو الآن في عدد من التلفازات والإذاعات العربية التي لا يحسن مذيعوها ومذيعاتها النطق بأصوات كلمة واحدة نطقاً عربياً قويماً... بل يسمعونك التأتأة، والفأفأة، وتبديل مخارج الأصوات والحروف تبديلاً يبدل المعنى في كثير من الأوقات، فتتحول كلمة «الثقيل» ـ في اللهجة اللبنانية ـ إلى «سقيل أو صقيل»، وكلمة «ثنايا» إلى «سنايا»، وكلمة «نظافة» إلى «نضافة» وكلمة «بيض» إلى «بيظ»...إلخ، بل يسمعونك المرفوع منصوباً، والمنصوب مرفوعاً، ولا يميزون فعلاً من فَاعل أو مَن مفعول أو من مجرور... ولا يميزون الاسم من الفعل من الحرف... ولا يعرفون أن العرب تبدأ بالمتحرك وتقف على الساكن... ويتفاخرون بالأخطاء الشنيعة التي يرتكبونها ويسممون بها أسماع أطفالنا وأولادنا وشبابنا... بل ويتفاصحون، أحياناً، فيدخلون بسماجة ممجوجة ألفاظاً أجنبية على كلامهم، فيقولون لك مثلاً: «إن هذه المسألة» «دي جا» «بحثت» وما إلى ذلك مما يخدش أذن العربي الغيور من جهة، ويذهب بلغة الغرّ اليافع إلى غير رجعة من جهة ثانية...

التلفاز هو الذي يسيطر على عقول أبنائنا اليوم... فتأمل ما آلت إليه برامجه في معظم الدول العربية إن لم يكن في كل الدول العربية...

إن التلفاز يفسد اللغة العربية الفصحى باستعمالها استعمالاً سيئاً من جهة، ويستبدل بها العاميات والسوقيات والأجنبيات من جهة ثانية...

إن التلفاز العربي يهدم بسرعة مذهلة اللغة العربية الفصحى التي ثبتت الصحافة العربية استعمالها في القرن الماضي... إنه يشجع العاميات والسوقيات في معظم برامجه وأغانيه ولقاءاته وحواراته... إنه كفيل إذا تركناه، كما هو اليوم، بإزالة اللغة العربية الفصحى وما تمثله من قيمة إنسانية وقومية ودينية وحضارية وتاريخية وأدبية...

إن التلفاز، كما هو اليوم، يعمل باستمرار على منع استعمال اللغة العربية الفصحى في الحاسوب ـ الكومبيوتر ـ الذي يعتبر اليوم ثورة معرفية وتقنية قد تغير سلوك الجنس البشري كله، وقد تسهم في تغيير الخط العربي وتطويره بما يتناسب مع تقنيته الحديثة... بل إنه يعمل على منع استعمال اللغة العربية الفصحى في برامج «الإنترنت» Internet الذي يعتبر ثورةً في الثورة، والذي بدأ تأثيره السلبي والإيجابي في كل مجالات النشاط الإنساني... وحوّل الكرة الأرضية إلى غرفة صغيرة جداً، لا يخفى فيها شيء على القادرين المتنبهين إلى ما يدور حولهم.

إن ترك التلفاز أداة فاعلة بأيدي التجار، وبأيدي الذين لا يعنيهم من أمر الإنسان العربي إلا تحويله إلى حيوان مستهلك لأفكارهم ولسلعهم ولبضائعهم، وبأيدي الأمين حيناً، وبأيدي المشبوهين سياسياً وثقافياً حيناً

آخر، جعل هذه الآلة الرهيبة تزرع في عقولنا وقلوبنا وأفئدتنا ما ليس منا... فترى فيه، وتسمع منه، الإعلانات بالعاميات والسوقيات، فتؤثر في لغة النحارير والأدباء على الرغم من مقاومتهم الدائمة لها... وتنشر سلوكاً اجتماعياً وثقافياً غريباً عن مجتمعنا العربي والإسلامي... مما يفرض على حكومات الأمة العربية المختلفة الألوان والمناهل والنزعات أن تبادر فوراً إلى السيطرة على هذه الآلة وترويضها لخدمة الإنسان العربي والمجتمع العربي قبل أن تدمره هذه الآلة وتحول إنسانه إلى آلة صمّاء يحركها الآخرون بجهاز التحكم من بعد خدمة لأغراضهم.

إن التلفاز العربي يسهم كل لحظة في جعل أبنائنا غرباء عنا... ويعلمهم كيف يتطاولون على ذويهم، وكيف يحتقرون أنفسهم وشخصيتهم العربية، وثقافتهم، وتاريخهم، وأبطالهم، فترى فيه، وتسمع منه، من يعتدي على أولاده جنسياً وجسدياً... وترى من يضرب والديه... وترى من يسفه دينه... وترى من يحتقر نفسه ولغته، فيرطن بلغة أجنبية قد لا يتقن منها إلا بعض الأصوات إتقاناً سيئاً...وترى من يخلع ثيابه العادية ليرتدي الثياب الممزقة القذرة التي تبرز حقارته ونذالته... وترى من الذكور من يثقب أذنه أو أذنيه ليضع فيها أو فيهما الأقراط أو «الحلق» ليعبر عن شذوذه وغربته عن مجتمعه... وترى من يظن أنه يستطيع أن يشتري أي أنثى بحبة لبان أو «علكة» أو بسيجارة أميركية الصنع والنكهة، أو بكأس من الويسكي أو النبيذ...أو حتى بكأس من الكوكا كولا أو البيبسي كولا... كما ترى من تتخلع وتغنج لتجرّ أي ذكر في الدنيا بسيجارة أو بقارورة عطر، أو بتسريحة شعر، أو بحمالة نهد، أو بجوارب فاضحة، أو بثياب داخلية قد لا تظهر بها

المرأة العربية إلا أمام زوجها في الظلام...

إن أبناءنا وبناتنا يرون ذلك ويسمعونه ممزوجاً بالموسيقى الخفيفة الناعمة، وبالحركات الجنسية المثيرة من ممثلات جميلات... يرون ذلك ويسمعونه غير مرة كل يوم... فقد يقاومونه مرة أو مرتين... وقد يرفضونه في البداية... ولكنه سرعان ما يتسرب إلى عقولهم وقلوبهم وأفئدتهم... فإذا هم أسرى هذه الإعلانات وتلك الأفلام والمسلسلات... وإذا هم كالببغاوات أو أسوأ حالاً...

- أو ليس هذا العصر هو عصر الأمريكان؛ أي عصر «السيجارة»، و«الويسكي»، و«الشيكلتس»، و«البيبسي»، و«الجينز»، والخيانة، والقتل، والتدمير، والربح السريع، والتخلي عن المبادئ والأخلاق والقيم، من أجل النجاح الشخصي والربح المضمون؟.

- أوليس هذا العصر هو عصر الأمريكان الذي حول ـ في مسلسلاته وأفلامه وإعلاناته - الأنبياء والرسل وقادة العالم والثوار إلى أشخاص تضحك منهم عندما تراهم... أوعندما تتذكر أسماءهم؟.

- أو ليس هذا الغصر هو العصر الأمريكي الذي حوّل ـ في كثير من الأفلام والمسلسلات والإعلانات التي تُبث من وسائل إعلامنا العربية ـ قتلتنا، وقتلة آبائنا وأبنائنا، ومحتلي أرضنا، وسارقي مياهنا، ومصادري ثروتنا، إلى أبطال مظلومين... بينما حولت العرب الذين سلبت أرضهم، واعتدي عليهم قتلاً ونهباً، وصودرت إرادتهم السياسية في تحرير أرضهم وإنشاء دولتهم العربية الواحدة الموحدة... حوّلتهم الدعاية الإعلانية

الأمريكية واليهودية إلى إرهابيين قتلة؟.

إن حكوماتنا العربية المختلفة والمتنوعة - والتي لا نتدخل هنا في مناهجها السياسية والاجتماعية والأمنية - مطالبة بوضع أيديها على هذا الجهاز الخطير وتدجينه لصالح الأمة العربية، والثقافة العربية، والمصالح العربية، واللغة العربية الفصحى.

إن حكوماتنا مطالبة بإصدار القرار السياسي الصارم الذي لا يسمح ببث أي إعلان أو نشره إلا باللغة العربية الفصحى، شرط أن لا يمس أي عقيدة من عقائدنا، وشرط أن لا يتعارض مع عاداتنا وأخلاقنا وتقاليدنا وثقافتنا وتاريخنا وطموحاتنا في تحرير أرضنا وإنساننا وإقامة دولتنا العربية الكبرى الواحدة الموحَّدة فوق كل الأرض العربية من المحيط إلى الخليج..

إن الحكومات العربية وكل الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية والإنسانية العاملة فوق أرضنا العربية مطالبة بتحويل التلفاز إلى أن يلعب دور أبوي الطفل العربي الفصيحين الشريفين الملتزمين بكل القيم والمبادئ العربية الأصيلة، وأن يلعب دور الرواة العرب الثقات الفصحاء... وأن يلعب دور الأستاذ الفصيح البليغ المتقن الملتزم... فلا تُبث منه إلا المادة المكتوبة بالفصحى ولنا في الحكومة الفرنسية خير مثال نقتدي به... فقد أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً يقضي بسجن كل فرنسي يستعمل اللغة الأجنبية؛ كلمات وتعابير وتراكيب وجملاً، في كتابته أو في أحاديثه الرسمية، إذا كان لها ما يقابلها في اللغة الفرنسية... وفرضت عليه أن يدفع خمسين ألف فرنك فرنسي؛ أي ما يعادل عشرة آلاف دولار أمريكي... فتأمل؟؟.

نحن لا نطالب حكوماتنا العربية بأن تسجن من لا يستعمل اللغة العربية الفصحى في وسائل إعلانه وإعلامه المرئية والمسموعة والمكتوبة، وأن تجبره على دفع عشرة آلاف دولار أمريكي أيضاً... بل نطالبها بأن تمنعه من استعمال العاميات السوقيات واللغات الأجنبية في إعلانه وإعلامه، وتجبره على استعمال اللغة العربية الفصحى، السهلة، الواضحة، البعيدة عن التكلف والتقعر في كل أمور معاشه في الدوائر الرسمية، وفي المدارس والجامعات، وفي أدبيات الأحزاب والجمعيات ومهرجاناتها واحتفالاتها... وفي صحفها ومجلاتها وإذاعاتها المسموعة والمرئية...

إننا نطالب الحكومات العربية أن تمنع وسائل الإعلام والإعلان والقائمين عليها من استغلال الإنسان العربي وحرفه وتدميره... وأن تساعده على أن يعود إلى نفسه، فتؤلف لجاناً لغوية متخصصة، تعمل في كل وسائل الإعلام والإعلان المرئية والمسموعة والمكتوبة، فتشرف على المادة اللغوية وحدها، وتمنع نشر أي إعلان، في أي مكان، إلا باللغة العربية الفصحى، دون أخطاء لغوية أو إملائية...

إننا نطالب حكوماتنا بإنشاء لجان متخصصة تعمل في الإذاعات المسموعة، والمرئية المسموعة، وتمنع أي مذيع لا يتقن العربية إتقاناً مقبولاً، ولا يحسن إخراج الأصوات العربية من مخارجها الطبيعية، تمنعه من إذاعة أي حرف في الناس سواءٌ أكان ذلك في إعلان أو في إعلام أم في مسلسل تلفازي أم في خطبة أم في ندوة أم في لقاء.

فهل سنسيطر على لغة الإعلان والإعلام في وطننا العربي الكبير

فنعود إلى أنفسنا أم أننا سنبقى أسرى الثقافة التجهيلية التي تحول الحق باطلاً والباطل حقاً والتي تؤسس لتحويلنا جميعاً إلى غرباء عن أنفسنا وذواتنا؟.

إني أرى أن الحلَّ بأيدينا... فهل نفعل؟.

مصادر البحث ومراجعه

١ـ الأنصاري (علي رفاعة، الدكتور)، **الإعلان: نظريات وتطبيق**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٩م).

٢ـ برجين (فرانيسيس. ج.)، **الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة**، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٥م).

٣ـ بركة (بسام، الدكتور)، **معجم اللسانة**، طرابلس: جروس – برس، الطبعة الأولى (١٩٨٥م).

٤ـ بعلبكي (رمزي منير، الدكتور)، **معجم المصطلحات اللغوية**، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى (١٩٩٠م).

٥ـ ابن جني (أبو الفتح، عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (د.ت).

٦ـ ابن خِلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة (د.ت).

٧ـ خير الدين (حسن محمد، الدكتور)، **دراسات في أصول**

الإعلان، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٣م).

٨- راشد (أحمد عادل، الدكتور)، **الإعلان**، بيروت: دار النهضة العربية (١٩٨١م).

٩- رشتي (جيهان أحمد، الدكتور)، **الإعلام ونظرياته في العصر الحديث**، القاهرة: دار الفكر العربي (١٩٧١م).

١٠- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد)، **العقد الفريد**، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م)، المجلد السادس.

١١- عجر (عبد الرحمن عبد الباقي، الدكتور)، **دراسات عن الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٦م).

١٢- عساف (محمود، الدكتور)، **أصول الإعلان وتطبيقاته في المجتمع الاشتراكي**، القاهرة: دار الناشر العربي (١٩٦٩م).

١٣- عيسوي (عبد الرحمن، الدكتور)، **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي**، بيروت: دار النهضة العربية (١٩٨٤م).

١٤- ابن فارس (أبو الحسين، أحمد)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر (١٩٦٣م).

١٥- مبارك (مبارك، الدكتور)، **معجم المصطلحات اللسانية**، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى (١٩٩٥م).

١٦- مُشيخ (محمد حيدر)، **صناعة التلفزيون في القرن العشرين**،

مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٤م).

١٧ـ مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات**، تونس (١٩٨٩م).

المراجع الأجنبية:

Marketing Association, **Report of Definition,s**, The-journal of Marketing.

بالاقتباس عن كتاب الإعلان، للدكتور أحمد عادل راشد.

Dora Vallier. Dans Ie vif de l,avant- garde. Arc. Paris. Librairie-Duponchelle, ١٩٩٠.

Ferdinand de Saussure, Cours ke linguistique generale, Paris, Edition Payotheque, ١٩٨٠.

Johnson, R.C. and Medinnus, G.R, Chile Psychology K Behaviour and Development,

باقتباس عن كتاب الدكتور عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي.

Noam Chomesky,

- Strncture xvntaxiques, Traduction de Mrehel Braudeau - Paris Editions du Seuil ١٩٦٩.

- Aspects de la theorie syntaxique, Teaduetion de Jean - Claude Milner . Paris Editions du Seuil ١٩٧١.

- La linguistique cartesienne - suivi de - La nature formelle du langage. Traduction de E. Delannoe et D. Sperber, Paris. Edition du Seuil ١٩٦٩.

Le langage et la Pcnsee, Traduit de Louis - Jean Calvet, Paris. Edition Payot ١٩٨٠.

Questions de semantique, Traduit de bernard Cerquiglini, Paris,

Edition du Seuil K ١٩٧٥.

الصحف والمجلات :

١-جريدة السفير، البيروتية.

٢-جريدة النهار، البيروتية.

٣-مجلة الوسيط التجارية البيروتية.

* * *



تيسير البلاغة

الدكتور أحمد مطلوب

(١)

إن الباحث حينما يتلمس البذور الأولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا بعض الأحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده. والأمة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لابد من أن تعرف المعالم التي يختطها الشعراء ويترسمها الخطباء. وإذا كان كثير من الأحكام النقدية في عصر ما قبل الإسلام لم يصل مع ماوصل من شعر وخطب فإن بعض تلك الأحكام تناقلتها الألسن وتداولتها الكتب وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان، فقال سبحانه وتعالى:

﴿الرحمن.علم القرآن. خلق الإنسان .علمه البيان﴾[١] وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾[٢].

ولو لم تكن للعرب ذائقة لغوية، وملكة فنية ماستطاعوا أن يميزوا الجيد من الرديء، والمحمود من المذموم على الرغم من أنهم لم يعرفوا قواعد الفن وأصول اللغة وعلومها[٣]. وحينما بدأ عهد التدوين والتأليف ظهرت مبادئ البلاغة مع ماظهر من فنون اللغة العربية وعلومها الأخرى. وكانت في نشأتها الأولى سهلة ميسرة، ليس فيها تعقيد، وإنما هي لمحات تأتي عرضاً لإيضاح آية قرآنية، أو بيت شعر. ويتجلى ذلك في كتب أبي عبيدة، والفراء،

والأصمعي، والجاحظ، والمبرد، ولعل ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» أول من عني بتصنيف موضوعات البلاغة وذكر فنون البيان، ثم ابن المعتز في كتابه«البديع» ولكنهما لم ينطلقا إلى أبعد من تعريف الفن والاستشهاد ببعض النصوص.

وجاء بعد هؤلاء بلاغيون ونقاد انتفعوا بجهد السابقين وبنوا عليه البلاغة الأدبية التي تعنى بالتحليل الرائع البديع ومن أبرزهم أبو هلال العسكري صاحب «كتاب الصناعتين» الذي خطا خطوة واسعة في عرض قضايا البلاغة بأسلوب سهل ليس فيه تعقيد أو مجافاة للذوق العربي، قال في مقدمة كتابه : «وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب»(٤) وكان يسوق في المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكلام العرب، ويعتمد في النقد على الذوق غير مكتف بالصحة العقلية والسلامة النظرية، وإن ذكر أمين الخولي أن أبا هلال كان يجاري المتكلمين ويخدم أغراضهم ولم تخلص الطريقة الأدبية في أبي هلال أو لم يخلص أبو هلال للطريقة الأدبية ولم ينج من تأثير المتكلمين..(٥) ولكن على الرغم مما قاله الخولي، يظل «كتاب الصناعتين» أيسر كتاب بلاغي في زمنه، ومثله كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني الذي يعد من أهم كتب البلاغة والنقد في القرن الخامس للهجرة الذي «جرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاه»(٦)لما فيه من عرض واضح لفنون البلاغة، وأسلوب سهل، وذوق رفيع.

ويأتي كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين بن الأثير ليتوج هذا الاتجاه ويقرب البلاغة إلى المتأدبين، ويحببها إلى نفوسهم لما فيه من تحليل للنصوص، وسهولة في العرض ووضوح في التفسير، ولا يكاد كتاب

ينافسه في التحليل إلا كتابا «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني الذي جمع بين النظرة العلمية والنزعة الأدبية في العرض والتحليل، مستمداً من روح اللغة العربية وخصائصها منهجاً يعد من أرقى ما وصلت إليه الدراسات اللسانية والأسلوبية في القرن العشرين.

وقد انطلق في بلاغته ونقده من نظرية النظم والذوق والإحساس الروحاني وكان منهجه منهجاً لغوياً تحليلياً ينبع من داخل النص لامن خارجه وبذلك تفوق على البلاغيين ولعل تحليله للأبيات:

وَلَمّا قَضَيْنا مِن مِنىً كُلَّ حاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بالأَركانِ مَن هو ماسِحُ
وشُدَّت على دُهْمِ المهارى رِحالُنا ... ولم ينظرِ الغادي الذي هو رائِحُ
أخَذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

يظهر تفوقه في النقد وإدراكه روح النص. وكان قد تعرض قبله لهذه الأبيات ابن قتيبة وابن جني وتعرض لها بعده ابن الأثير(٧) فما استطاعوا أن يدركوا شأوه، ولا أن يظهروا روعة الأبيات.

(٢)

ظلت البلاغة سهلة ميسرة على الرغم مما في كِتَابَي عبد القاهر من غموض إذا قُورنا بكتب أبي هلال، وابن رشيق، وابن الأثير، وكانت شفافة تنطق بالكلمة العذبة والعبارة الجميلة، والأسلوب الرفيع حتى إذا جاء القرن السادس للهجرة بدأت تفقد روحها الأدبية، وتفتقد النزعة الفنية، وتبعد عن الذوق الروحاني الذي كان عمدة البلاغيين والنقاد ولا سيما عبد القاهر الذي أكد أهمية الذوق، وإحساس النفس في إدراك البلاغة، قال: «المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعانٍ روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها حتى يكون مهيئاً

لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً»(٨). ولكن البلاغة افتقدت هذا الإحساس الروحاني وبدأت تميل إلى التعقيد بعد اتصالها الوثيق بالفلسفة والمنطق والجمود الذي ران على الأمة العربية بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة (٦٥٦ هـ) وتسلط الغزاة على الأقطار العربية، وبذلك توقف نمو الثقافة العربية واتجه كثير من المؤلفين إلى وضع كتب تعليمية تهتم بالتعريفات الجامعة المانعة وضبط القواعد والإكثار من التقسيمات التي يضل فيها الدارس والإقلال من النصوص الأدبية وتحليلها .

وأدّى هذا إلى جمود الدرس البلاغي والوقوف عند منهج واحد لا يُعنى بالذوق والإحساس الروحاني وتحليل النصوص تحليلاً أدبياً بقدر عنايته بالقواعد وصياغتها في قوالب ثابتة تحفظ، ولكنها لا تنمّي إدراكاً ولا تهذب ذوقاً ولاتنطلق إلى آفاق الأدب الرحيبة.

وكان للسكاكي أثر كبير في توقف البلاغة عند الحدود التي رسمها في كتابه «مفتاح العلوم» إذ قسمها إلى المعاني والبيان والمحسنات اللفظية والمعنوية وسماها وجوهاً مخصوصة يُؤتى بها لتحسين الكلام. وقد نظر إلى البلاغة في هذا التقسيم نظرة عقلية، إذ أن التراكيب تسبق الدلالات وإن كان التداخل بينهما جلياً وقد أحس بذلك فعد البيان شعبة من المعاني، قال: «ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار، جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره» (٩) وحدد موضوعات كل علم من العلوم الثلاثة، ولكن تقسيمه لم يخلص له إذ أدخل المجاز العقلي في علم البيان، ثم أنكره وعدّه استعارة مكنية وتكلم على الالتفات في علم المعاني ثم عدّه من المحسنات وتحدث عن أسلوب الحكيم والقلب في باب المسند إليه وحقهما في ضوء التقسيم الثلاثي أن يكونا في البديع.

وتكلم على تقليل اللفظ ولا تقليله في المحسنات وذكر أن له صلة بالإيجاز والإطناب وأدخل الاعتراض أو الحشو في المحسنات المعنوية وحقه أن يكون في الإطناب.

وأدخل الدلالات الوضعية والعقلية في علم البيان وحدد موضوعاته في ضوئه، وربط البلاغة بعلم الاستدلال، فقال: «وإذ قد تحققت أن علم المعاني هو معرفة خواص تراكيب الكلام أو معرفة صياغات المعاني - ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها - علمت أن تتبع الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»(١٠).

وأدخل المصطلحات الفلسفية والمنطقية في مباحث البلاغة مما زادها تعقيداً وأفقدها الروح الأدبية التي تجلت في كتب السابقين(١١).

وجاء بدر الدين بن مالك فلخص بلاغة السكاكي في كتابه «المصباح» وفعل مثله الخطيب القزويني في كتابه «التلخيص» الذي أصبح دستور البلاغة فعكف عليه الشارحون كالسبكي، والتفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، والمغربي، والدسوقي، والإسفراييني وسيطر هذا المنهج على الدرس البلاغي ولم تستطع البديعيات التي كانت عودة إلى كتب البلاغة الأولى في العرض والتفسير أن توقف هذا المنهج الذي أرسى أصوله السكاكي في «مفتاح العلوم».

ولم يكن حال البلاغة في المغرب العربي بأحسن من حالها في المشرق إذ كان لكتب الفارابي وابن سينا أثر كبير فيها، ويتضح ذلك في كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجني، و «المنزع البديع في تجنيس

أساليب البديع» للسجلماسي، و «الروض المريع في صناعة البديع» لابن البناء المراكشي. وهذه الكتب وإن اختلفت في منهجها عن منهج السكاكي إلا أنها أكثر تعقيداً وجنوحاً نحو فلسفة البلاغة على الرغم مما فيها من نظرات بلاغية ونقدية دقيقة ولا سيما كتاب «منهاج البلغاء» الذي يدل على تعمق صاحبه في البلاغة وإدراكه للتخيل والمحاكاة وما يتصل بفن القول.

(٣)

لم تؤثر هذه الكتب في الدرس البلاغي واختفت ليبقى الطريق لاحباً لمنهج السكاكي حتى العصر الحديث، حين بدأت البلاغة تحظى باهتمام في مطلع القرن العشرين. وكان الأزهر الشريف أول من حمل لواء التجديد فيها بعد الإصلاحات التي أدخلت على مناهجه وطرائق تدريسها، وأخذ الإمام محمد عبده يُحيي كتب السلف النافعة، ويقوِّم ما اعوجَّ من مناهج التأليف وطرائق التدريس. وقد انصرف إلى تدريس «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، ففتح أذهان الطلبة، وقوى مداركهم ومواهبهم، ووجدوا في هذين الكتابين غير ماألفوه ولكن أساتذة الأزهر أحجموا بعد الإمام عن تدريسهما، وبذلك احتضرت الدراسات البلاغية بعده وكادت تموت. وعاد المؤلفون إلى منهج السكاكي ووضعوا كتباً في ضوئه وإن كانت أيسر وأسهل من «مفتاح العلوم» و «التلخيص» و شروحه. وظهرت كتب جديدة قديمة منها «حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع» لمحمد البسيوني البيباني، و «زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع» لأحمد الحملاوي، و «جواهر البلاغة» لأحمد الهاشمي، و «علوم البلاغة» لأحمد مصطفى المراغي، و «البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين، وغيرها من الكتب المدرسية التي سادت في التعليم العام والتعليم الجامعي حتى اليوم على الرغم من دعوات تجديد البلاغة التي أطلقها بعض العلماء،

كأمين الخولي الذي سعى إلى وضع منهج لدراستها يقوم على إلغاء التقسيم القديم، وحذف المقدمات المنطقية والاستطرادات الفلسفية، وبناء البلاغة على ثلاثة أبواب هي: المبادئ والمقدمات والبحوث، ويدرس في الأول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات، ويدرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعين على فهم الأدب وتذوقه والإحساس بما فيه من روعة وجمال، ويضم الثالث الكلمة الواحدة والجملة والفقرة وصور التعبير وقد فصل أمين الخولي القول في منهجه ووضع أبوابه وفصوله ومفرداته وقال: «تلكم هي خطة فن القول وتنسيق بحوثه، لا نقول إنها في صورتها الأخيرة بل نقول إنها تخطيط لمحاولة نأمل أن تظل أبد الدهر لو أمكن ذلك رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين يضيف إليها، ويحذف منها، وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك، وكانت له فيها بصيرة خبيرة ليظل هذا الدرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلاً لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية»[١٢].

وأبدى بعض الباحثين رأيهم في منهج البلاغة واقترحوا مناهج جديدة تأخذ من القديم ومن الجديد مساربها، ومنهم عبد الله العلايلي في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب» وأحمد الشايب في كتابه «الأسلوب»، وإدوار مرقص، وأنيس المقدسي وغيرهم، ولكن جهودهم لم تُستثمر وبقيت البلاغة تدرس بمنهج السكاكي على الرغم من وضع مئات الكتب الجديدة التي يَسَّرت المادة وجعلتها أقرب إلى الدارسين مما ذكرته الكتب القديمة كالتلخيص والإيضاح.

وظهرت دراسات علمية تبحث في فنون البلاغة ولكنها غير ميسرة لأن أصحابها سلكوا سبيل البحث العلمي الصارم، فابتعدت عن مدارك

الدارسين واقتصرت فائدتها على المتخصصين.

(٤)

وكان من المؤمل أن يستمر البحث في البلاغة العربية لتثمر ثمراً جنياً، ولكنه نكص، وضرب الباحثون صفحاً عنها لأنها لا تمثل المناهج الحديثة ولا تعبر عن الحداثة التي هي سمة العصر. وكان لشيوع الألسنية والبنيوية والأسلوبية أثر في هذا التحول، إذ بهر بها الباحثون وتعصب بعضهم لها تعصباً عظيماً وأنكر أن يكون للبلاغة دور في النقد الأدبي وأنها والأسلوبية تمثلان «شحنتين متنافرتين متضادتين لا يستقيم لهما تواجد آني في تفكير أصولي موحد والسبب في ذلك يعزى إلى تأريخية الحدث الأسلوبي في العصر الحديث» وإن الأسلوبية« قامت بديلاً عن البلاغة، والمفهوم الأصولي للبديل ـ كما نعلم ـ أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه.

فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت، وهي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضاً» (١٣).

وعدت الأسلوبية المنهج الوحيد في النقد على الرغم من اتجاهاتها الكثيرة التي جعلت الدارسين يذهبون كل مذهب في قراءة النص ويتفاوتون كل التفاوت في العرض والتحليل، مما جعل علم الأسلوب «مثل برج بابل تتعدد فيه اللغات ولا يكاد أحد يفهم مَنْ بجواره مما أدى بالبعض إلى رفضه. وقد صار إلى هذا الحال نتيجة لأن كل باحث في الأسلوب ـ تقريباً ـ قد زعم لنفسه حق الشرح الكلي لظاهرة الأسلوب»(١٤).

ويبدو هذا جلياً في كثير من الدراسات الحديثة التي اتخذت الأسلوبية منهجاً(١٥). وانتفعت الدراسات الجامعية بهذا المنهج وبدأت دراسة النص

تتخذ ثلاثة مستويات:

الأول: المستوى الصوتي، ويتضمن خصائص الأصوات والألفاظ ودلالاتها، ثم دراسة الإيقاع ومايحدثه الوزن والقافية وبعض فنون البديع من تأثير.

الثاني: المستوى التركيبي وهو دراسة تراكيب النص اللغوية كالإسناد، وأنواع الجمل والتقديم والتأخير والفصل والوصل وما يتصل بالبناء اللغوي.

الثالث: المستوى الدلالي وهو دراسة الصورة الشعرية وما يتصل بها من تشبيه ومجاز ـ بأنواعه ـ وكناية وماله دلالة مهمة في النص كدلالة العنوان والزمان والمكان.

وشاع هذا المنهج وقال ستيفن أولمان: «وإذا سلمنا بأن ثمة مستويات ثلاثة للتحليل اللغوي والمعجمي والتركيبي فيكوّن على علم الأسلوب أن يميز بين هذه المستويات الثلاثة نفسها» (١٦).

وهذا مايقوم به البلاغيون الجدد، إذ يحللون مستويات التعبير على عدة محاور «التغيير اللفظي والتركيبي والدلالي مركزين على العلاقات بينها» (١٧).

إنّ هذا المنهج الذي يدعو إليه البلاغيون الجدد والأسلوبيون لا يخرج عن بحوث البلاغة العربية وهي:

١– الفصاحة: التي أفاض النقاد والبلاغيون في بحثها كابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» وابن الأثير« في المثل السائر».

٢– علم المعاني: الذي يبحث في التراكيب وأبنية التعبير.

٣– علم البيان: الذي يبحث في التصوير كالتشبيه والمجاز ـ بأنواعه ـ والكناية.

٤– علم البديع: الذي يبحث في فنون لها صلة بالإيقاع والمعنى والتزيين.

لقد جرب الدراسون كثيراً من المناهج الحديثة ولكنهم عادوا إلى البلاغة، وليست دراستهم للمستويات الثلاثة إلا صورة لها وإن جاءت باسم جديد ومصطلحات لا تبعد عن مصطلحات القدماء في دلالاتها كثيراً.

والبلاغة الجديدة التي يدعو إليها الأوربيون ظهر مصطلحها عام ١٩٥٨ في كتاب «مقال في البرهان ـ البلاغة الجديدة » لـ (بيريلمان) وهو محاولة لإعاة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية، وأخذت مدرسة بروكسل بهذا الاتجاه وأكدت وظيفة اللغة التواصلية وعدم انفصالها عن التقاليد البلاغية القديمة على أساس أن منظر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية لتكون أدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان.

وظهر اتجاه آخر يناقض (بيريلمان) ومدرسة بروكسل، وهو وليد البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني ويمثلها (جيرار جينيت) و (جان كوهين) و (تودوروف).

وظهر اتجاه تجاوز البنيوية واعتمد على نظرية الرموز والعلامات (السيميولوجيا) وقد تحول إليه (تودوروف) من أنصار الاتجاه البنيوي.

إن العودة إلى البلاغة بعد أن هُجِرت وابتعد عنها النقاد تثير الاستغراب فمنذ سنوات قليلة لم يكن أحد يتصور أن البلاغة ستعود لتحتل المقام الأول أو لتأخذ مكانها مرة أخرى في الصف الأول من العلوم الإنسانية[١٨] .

ولكن الباحثين بعد أن جربوا المناهج المختلفة أدركوا أن تحليل الخطاب لابد أن يستمد أصوله من البلاغة فعادوا إليها، وحاولوا أن يبعثوا الروح فيها

من جديد مستفيدين مما استجد من مناهج نقدية واتجاهات أدبية[١٩].

ويظهر مما نشر عنها أنها أكثر تعقيداً من البلاغة القديمة، وأنها تتصر باللغات الأجنبية، وتنطلق من خصائصها وهي لذلك لا تنفع كثيراً في تيسير البلاغة العربية.

(٥)

هذا ماكان من أمر البلاغة عند العرب وغيرهم، فما البلاغة الجديدة التي تسعى إليها الدراسات العربية؟ وقبل البحث في هذه المسألة لابد من أن يحدد الهدف، فماذا يراد منها؟ ولماذا العودة إليها؟.

لقد كانت البلاغة عند اليونان مرتبطة بالخطابة ولذلك وضع أرسطو كتاب «الخطابة» وظل هذا هدف الذين تأثروا به حتى ثاروا عليه بعد قرون، وابتعدوا عن البلاغة وجربوا المناهج التي ظهرت كالألسنية والبنيوية والأسلوبية، ثم عادوا إلى البلاغة من جديد.

والبلاغة العربية لاتقتصر على إتقان الخطابة أو نقد النص، وإنما هي ذات أهداف كثيرة كانت واضحة أمام البلاغيين العرب القدامى حينما وضعوا كتبهم، وتتلخص تلك الأهداف في :

١– الغرض الديني: وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدى الإنس والجن ولكي يوضحوا إعجازه، ويفهموا آياته، ويظهروا أسلوبه، اتجهوا إلى البلاغة باحثين فنونها وموضحين أقسامها، لتكون لهم عوناً على فهم القرآن. وكان هذا الغرض من أهم الأهداف التي دفعتهم إلى البحث والتأليف فيها.

٢– الغرض التعليمي: وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى وأدّى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول

اللحن فيها، فضلاًعن أن كثيراً من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية. وكانت المقدرة الكتابية في كثير من الأحيان السبيل المفضي إلى المناصب الرفيعة وكان على من يسعى إلى تسنمها أن يكون كاتباً له في الأدب وفنونه يد طولى، وله أسلوب رفيع. فلكي يتعلم العربي الناشئ في بيئة امتزجت فيها اللغات ويصبح قادراً على التعبير الحسن والنظم الرائق وإنشاء الرسائل ولكي يتعلم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها ولكي يصل الناس إلى أرقى المناصب وأعلى المراتب ، كان عليهم جميعاً أن يتقنوا العربية ولا يتم ذلك الإتقان إلا بمعرفة ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها، والبلاغة إحدى السبل التي توصل إلى هذه الغاية.

٣– الغرض النقدي: وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل، والبلاغة ترفد الناقد، لأنها تقدم له الأداة التي تعينه على الفهم والحكم ولذلك نجد القدماء يعنون عناية كبيرة بها ويؤلفون الكتب فيها.

ولا يستغني الأديب عن البلاغة وهو ينظم قصيدته أو يكتب رسالته، لأنه إن جهلها جاء بكلام مرذول، ومثل ذلك من يعنى بالمختارات الأدبية، فإنه إن فاته هذا العلم لم يستطع أن يميز بين الجيد والرديء الذي ينبغي أن يطرح(٢٠).

هذه أهداف البلاغة العربية فهل يراد منها ما أراده القدماء؟ وهل تقتصر وظيفتها على رفد النقد الأدبي بأدوات تعينه وتفتح له مغالق الخطاب؟

إن البلاغة العربية الجديدة ينبغي أن تظل مرتبطة بأهدافها المعبرة عن واقع العرب ولغتهم، وأن يتسع نطاق بحثها ليكون دينياً وتعليمياً ونقدياً وأن

يوضع لها منهج واضح وتجرد مما علق بها، وأن تعرض عرضاً حسناً بأسلوب سهل رفيع.

ولتيسير البلاغة ينبغي النظر في أمرين: المنهج، والموضوعات، قبل البدء بالتأليف فيها لأن هذين الأمرين يحددان العرض والأسلوب.

أما المنهج الذي ظل سائداً حتى اليوم فهو منهج السكاكي الذي تلقفه الخطيب القزويني، وشراح التلخيص ويقوم هذا المنهج على تقسيم البلاغة إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وهو ما عاد إليه الباحثون الجدد عند كلامهم على المستويات الثلاثة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية.

وهذا التقسيم الأخير إذا جرد مما أقحم فيه أقرب إلى روح اللغة التي هي ألفاظ وجمل وعبارات وصور. والأخذ به لا يخرج عما انتهت إليه البلاغة من تصنيف، ولا يعد خروجاً على التراث، أو قطيعة له لأنه يصدر عنه وينتفع به.

ويشمل المستوى الصوتي دراسة الحروف التي هي أصغروحدة في الكلام والألفاظ حينما تأتلف من أصوات أو حروف. وكان الأوائل قد اهتموا بهذا الجانب وتحدث عنه ابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» ووضع شروطاً للألفاظ المفردة والألفاظ المركبة وبحثها ابن الأثير في كتابيه «المثل السائر» و «الجامع الكبير».

ولا تخلو كتب البلاغة والنقد والأدب من الكلام على جرس الألفاظ ودلالتها، والرجوع إليها يفتح الطريق لمن يصنف في البلاغة.

وتدخل في هذا المستوى كثير مما بحثه القدماء في علم البديع كإيقاع السجع والترصيع والجناس والتكرار والتصريع ورد العجز على الصدر وما إلى ذلك من فنون تكسب الكلام روعة وجمالاً.

أما بحث الأوزان والقوافي في هذا المستوى فينصب على ماتولِّده

البحور الشعرية من إيقاع يثير الإحساس ويحرك المشاعر ويوحي بالمعنى ولا قيمة لإحصاء الأوزان والقوافي وتحديد نسبها لدى هذا الشاعر أو ذاك إلا بمقدار مالها من دور في إظهار الإيقاع وتناغمه في التعبير والتصوير. وقد أحسن أمين الخولي صنعاً حينما تحدث عن الكلمة من حيث هي عنصر لغوي وذكر حسن اللفظة من حيث جرسها الصوتي وحسن الكلمة من حيث أداؤها وائتلاف الكلمة في الجملة، والصوت والمعنى ـ تناسبهما ـ : الجزالة والرقة، وزيادة حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الصوتي: الجناس، والسجع، والترصيع، والتصريع، ورد العجز على الصدر، ولزوم مالا يلزم.

وبحث في الكلمة من حيث هي جزء الجملة وحسن دلالتها وفي وضعها اللغوي وتغير استعمالها قلة وكثرة، وتأثير ذلك في دلالتها ووضعها، واستعمالها واختلاف الغرابة باختلاف الأعصر والاستعمال الأدبي لبعض أنواع الكلمة ومايؤدي إلى توسع دلالة بعض الكلمات. وذكر أدوات الاستفهام، والنداء، والنهي، وما تؤدي من معان غير معانيها الأصلية. وتحدث عن اختصاص بيئة من البيئات باستعمال كلمة ودلالتها في هذه البيئة وأثر المركز الاجتماعي للبيئة المستعملة للكلمة: رفعة وضعة وكرامة وابتذالاً[٢١].

وهذا التصور أوسع من تصور القدماء في دراسة الفصاحة ودراسة المستوى الصوتي لأنه جمع معظم مايتصل باللفظة وجرسها وماتوحي به وأثر البيئة والعصر في شيوعها أو كمونها وفي رقيها أو صنعتها واختلاف دلالاتها باختلاف الأزمنة والأصقاع.

ويشمل المستوى التركيبي بناء الكلام وهو ماأدخله السكاكي في علم المعاني ولكنه اتخذ من المسند والمسند إليه مدخلاً لدراسة التراكيب وأدى

هذا المنهج إلى أن يمزق أوصال الموضوع الواحد، فقد ذكر التقديم - مثلاً - في المسند إليه والمسند تارة أخرى، ووزع التأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير عليهما. وكان من الدقة أن يبحث كل موضوع على حدة فيتكلم على التقديم والتأخير في فصل واحد، والذكر والحذف في فصل ثانٍ، والتعريف والتنكير في فصل ثالث، وبذلك تُجمع أوصال الموضوع الواحد في بحث يستوفي أجزاءه ويجمع شتاته. وبحث الالتفات في المسند إليه، وحقه أن يفرد له بحثاً مستقلاً بعد أن أدرك أنه لا يختص بالمسند إليه وحده وإنما يدخل على المسند أيضاً قال: «واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه»(٢٢) وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضي في الحالات المقتضية لتقييد الفعل بالشرط مع أن هذا من الالتفات.

وأدخل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتعريف والتنكير، والقصر في باب الخبر، وليس في هذا دقة لأن هذه الموضوعات تدخل الطلب كما تدخل الخبر.

إن هذا التقسيم أدى إلى تمزيق أوصال الموضوع الواحد، وجَمْعُ أطراف القضية الواحدة أيسر وأقرب إلى الفهم، وإذا ما أريد بحث المستوى التركيبي فيكون الوقوف عند الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، والقصر، والإيجاز والإطناب، والالتفات، وما يتصل ببناء الكلام وهو مابحثه السكاكي والقزويني وشراح التلخيص، وما يقف عنده المحدثون الذين اهتموا بهذه التراكيب،ودرسوا سياق الحذف والذكر وسياق التقديم والتأخير، وسياق التعريف والتنكير(٢٣).

ولايبعد أمين الخولي عن القدماء والمحدثين في دراسة علم المعاني أو

المستوى التركيبي، فقد أدخل في منهج فن القول النظم أو تأليف الجمل، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب[٢٤].

ويشمل المستوى الدلالي ما بحثه القدماء في علم البيان، وقسمه السكاكي ومن تبعه إلى التشبيه والمجاز ـ بأنواعه ـ والكناية ، وهذا تقسيم واضح ودقيق، وإن أخرجوا التشبيه من علم البيان لأن دلالته وضعية ولكنهم بحثوه لأن الاستعارة مرتبطة به، قال السكاكي: «إن المجاز ـ أعني الاستعارة ـ من حيث إنها فرع من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لابد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من أن نأخذه أصلاً ثالثاً ونقدمه فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني»[٢٥] ولا يقتصر المستوى الدلالي على التشبيه والمجاز والكناية وإنما يتصل بها بعض ماأدخله القدماء في علم البديع كالقلب، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتورية، والاستخدام.

وقد عدَّ أمين الخولي من صور التعبير: صور الإيضاح المعلن وهي التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتجريد، والقلب، وأسلوب الحكيم، والمبالغة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتدبيج، والتهييج، والإلهاب، والتهكم، والفكاهة، والتجاهل. وصور التعبير المظللة وهي الرمز والإيماء، والألغاز، والتورية، والاستخدام، والاتساع[٢٦] .

وهذا الجمع بين فنون البيان والبديع في منحى واحد، أكسب المستوى الدلالي أبعاداً واسعة وفتح أمام الأديب آفاقاً رحبة، لأن البديع ليس محسنات لفظية ومعنوية يُؤتى بها لتحسين الكلام، وإنما هي ألوان من صور التعبير

ولولا ذلك ما حفل بها القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، وبذلك تعود للبديع أهميته في التعبير ويكون خيطاً من خيوط النسيج الأدبي.

أما الموضوعات ومعالجتها ففي التراث البلاغي ما يُغني بعد أن يُخْلَى منه ما يبعد البلاغة عن روح الفن، ومن ذلك مباحث الفلسفة، والمنطق، والعلوم المختلفة إذ ذكرت كتب البلاغة المتأخرة كثيراً منها مما كدر صفاءها، وذهب برونقها، وعاقَ الانتفاع بها في صقل الذوق وتهذيبه. وقد أدرك القدماء ذلك فقال الخطيب القزويني: إن بعض مسائل البلاغة بأصول الفلاسفة أشبه(٢٧).

وهم حين تكلموا على الملكة ـ مثلاً ـ تعرضوا للكم، والكيف، والإضافة، والمتى، والأين، والوضع، والملك، والفعل، والانفعال، وسموا هذه التسعة مع الجوهر المقولات العشر، أي المحمولات العشرة وقسموها إلى نسبية وغير نسبية.

وذكروا من الفلسفة الأدبية الصدق والكذب، ومن الفلسفة الإلهية الفاعل الحقيقي بالنسبة للمؤمن والدهري، وذكروا الجامع حينما تحدثوا عن الفصل والوصل، وقسموه إلى عقلي، و وهمي وخيالي، وأطالوا الكلام عليه.

وأدخلوا في علم البيان الدلالات، وقسموها إلى دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام، وسموا الأولى وضعية لأنه لا يحصل فيها انتقال وسموا الثانية والثالثة دلالتين عقليتين لأن حصولهما بانتقال العقل من الكل إلى الجزء في الثانية ومن الملزوم إلى اللازم في الثالثة.

وبنوا على هذه الدلالات تقسيم البيان فأخرجوا منه التشبيه لأن دلالته

وضعية والدلالة الوضعية لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة .
وكان مبحث التشبيه مجالاً لتسابق البلاغيين في إدخال البحوث الفلسفية وقد تكلموا في الألوان، والطعوم، والروائح، والحركات، والمحسوسات، والكيفيات النفسية، واللذة والألم، والوهم، والخيال، والمفكرة، والوجدان، والماهية، وحرارة الحروف وبرودتها، ورطوبتها، ويبوستها، وغير ذلك.

وكان لمصطلحات المنطق وجود في كتب المتأخرين كالتأسيس، والموجبة، والسالبة، والمهملة والمعدولة، والسالبة المهملة، والسالبة الكلية، والسالبة الجزئية، والمسورة، والتصديق، والتصور، والمصدوق، والماصدق.

ولم يقف الأمر عند اقتباس المصطلحات وإنما استفادوا من أساليب الفلاسفة في البحث والشرح والتعليل، فعقّدوا البلاغة، وجعلوا كثيراً من مسائلها ألغازاً ولولا ذلك لم تكثر الشروح على كتاب «التلخيص» للخطيب القزويني. وهذا مايدعو إلى تجريد البلاغة الجديدة مما علق بها من غريب لايمس روح الأدب كألفاظ المناطقة، والفلاسفة، والمتكلمين والأصوليين، ومن مباحث أطال فيها البلاغيون كالنحو الذي طغى على علم المعاني فأصبح ميداناً للجدل في تقدير الفاعل أو المفعول، أو البحث في استعمال أدوات الشرط، وأحوال التعريف، وأدوات الاستفهام والنهي، والأمر، والتمني، والنداء.

إن الدعوة إلى إخراج هذه المصطلحات والمباحث تسعى إلى أمرين:

الأول: تخليص البلاغة من كل غريب لا علاقة له بالفن الأدبي، وإنما أقحم عليها إقحاماً أفقدها قيمتها والغرض الذي من أجله درسها المتقدمون.

الآخر: تخليصها من الاضطراب المنهجي، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب فهم يتخذون أساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون، ويتخذون أساليب الفقهاء حينما يعللون، ويتخذون أسلوب النحاة حينما

يعرضون موضوعات علم المعاني.

وما أحوج البلاغة إلى تجريدها من هذا كله لتبقى خالصة للفن، ويظل أسلوبها منسقاً ليس فيه هذا الانتقال الذي يفرضه كل نوع من هذه الموضوعات المختلفة في الهدف والأسلوب(٢٨).

(٦)

إن تيسير البلاغة ليس كتيسير النحو، لأنها علم لم ينضج ولم يحترق، أي أنها قابلة للتطور، والبلاغة الميسرة التي يسعى إليها الدارسون هي التي تواكب الحياة وتعبر عن روح العصر. وقد كانت البلاغة العربية تحمل بذور نموها وتطورها منذ نشأتها الأولى، فقد ذكر ابن المعتز في «البديع» ثمانية عشر فناً، وزاد عليها قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري، وابن الأثير فنوناً أخرى، وذكر ابن أبي الإصبع في «تحرير التحبير» خمسة وعشرين ومئة فن، وجاء أصحاب البديعيات فأكثروا من فنون البلاغة، وضمن صفي الدين الحلي كتاب «شرح الكافية البديعية» أربعين ومئة فن وذكر ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب وغاية الأرب» اثنين وأربعين ومئة فن، وذكر ابن معصوم المدني في كتابه «أنوار الربيع في أنواع البديع» خمسين ومئة فن.

وتوضح هذه الزيادات قدرة اللغة العربية وتفنن الأدباء في استحداث فنون جديدة تلائم طبيعة الأدب، وكانت البلاغة العربية في القديم مواكبة للعصر على الرغم من أن السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ضيقوا نطاق بحثها وحصروها في فنون ترددت في كتب المتأخرين.

والأدب العربي - وقد تطور في العصر الحديث - معين ثر لمن يريد أن ينهل منه ويستخرج فنوناً وأساليب لم ترد في الأدب القديم، وما شاع من دراسات أجنبية حقل يقطف منه ما يتفق وروح اللغة العربية وأدبها الأصيل.

وتبقى أبواب البحث في البلاغة وتيسيرها مشرعة لمن يريد الدخول إليها بثقافة واسعة، وإدراك عميق، وذوق رفيع.

إن نمو البلاغة العربية في القديم ملمح من ملامح حيويتها وقدرتها على استيعاب الجديد، فضلاً عن أنها لم تتوقف عند عصر الاستشهاد في الأمثلة التي ذكرتها، وإنما تجاوزته وواكبت الأدب وفي البديعيات نصوص جديدة لم تذكرها كتب البلاغة الأولى وهي نصوص تمثل العصر الذي أُلفت فيه، وقد استخرج البديعيون منها فنوناً جديدة - وهي على الرغم مما قيل فيها - صورة لأدب تلك العهود وما أجدر بالمعاصرين أن يستخرجوا من الأدب الحديث فنوناً جديدة تلائم روح العصر وتضفي على البلاغة ثوباً جديداً وتيسر فهمها بعد أن تعقدت على يد شراح التلخيص، وأصبحت ألغازاً لا يحلها إلا من وَطَّن نفسه عليها واستعد لها استعداداً عظيماً وما هذا بمنهج التيسير الذي يقدم البلاغة بأسلوب سهل، ومصطلح دقيق، وعرض واضح، وتحليل عميق.

ولعل أهم ملامح تيسير البلاغة بعد هذا العرض:

١ - إلغاء التقسيم الثلاثي وجعل البلاغة قسماً واحداً وبحث موضوعاتها مستقلة أو بحث مستوياتها الثلاثة: الصوتي، والتركيبي، والدلالي وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع بعد تجريدها مما علق بها من مباحث أبعدتها عن هدفها، وتذوق الأدب الرفيع.

٢ - الاهتمام بدراسة المستوى الصوتي والألفاظ ودلالتها لأنها النواة الأولى للكلام ولا يُغْني ما جاء عن الفصاحة في كتب المتقدمين كثيراً.

٣ - البحث في الفقرة والقطعة الأدبية، والأساليب المختلفة، وليس الوقوف عند الجملة أو الجملتين حينما يحدث بينهما فصل أو وصل، وما إلى ذلك مما وقف عنده القدماء.

٤ ـ التقليل من التقسيمات والتفريعات الكثيرة التي يضل الدارس فيها.

٥ ـ توحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي، وترك الأسماء المتعددة التي تبلبل الأفكار وتوقع في الاضطراب.

٦ ـ تَخْلية البلاغة مما علق بها من مصطلحات ومسائل بعيدة عن روحها لتبقى خالصة للفن الرفيع.

٧ ـ تَحْلية البلاغة بما استجد من دراسات بلاغية ونقدية وأدبية ونفسية على أن لا تطغى عليها كما طغت مباحث الفلسفة والمنطق وعلم الكلام على بلاغة القدماء.

٨ ـ الاهتمام بعرض الفنون عرضاً أدبياً وكتابتها بأسلوب رفيع يثير المشاعر ويحرك النفوس قبل أن ينفذ إلى العقول فتدركه، لأن البلاغة فن مرتبط بالأدب قبل كل شيء، والأدب مشاعر وأحاسيس، ثم هي علم يدركه العقل بعد التأمل والتدقيق أي أنها فن من جانب وعلم من جانب آخر، ولكن الغلبة للجانب الأول، لأنه أقرب إلى طبيعة فن القول.

٩ ـ اختيار النصوص الأدبية الرفيعة وتلمس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبر عن الحياة المعاصرة، ولكي تستمر البلاغة في الازدهار لابد من أن ترتبط بالجديد من الآداب، وأن تقبس منها أنوارها لتشع على الدارسين.

١٠ ـ تحليل النصوص تحليلا أدبياً يعتمد على الإدراك والإحساس الروحاني والابتعاد عن التحليل الذي يعقدها ويجعلها طلاسم كما يفعل بعض المحدثين حينما يسلكون سبلاً تبعد عن التحليل الأدبي وتذوق الفن.

هذه بعض الخطوط العامة التي تجعل البلاغة العربية ميسرة، ولا يعني التيسير تجريدها من ذوقها الفني ونزعتها العلمية، وإنما دقة العرض، وروعة التحليل، وجمال الأسلوب.

الحواشي:

(١) سورة الرحمن، الآيات ١ ـ ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٤.

(٣) يذكر أحمد بن فارس في كتاب الصاحبي ص ٣٧ وما بعدها أن العرب قبل الإسلام عرفوا الإعراب والعروض ولكن أتت عليهما الأيام وقلاً في أيدي الناس ثم جددهما أبو الأسود الدؤلي والخليل ابن أحمد الفراهيدي.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٩.

(٥) ينظر مناهج تجديد ص ١٦٠ ـ ١٦٢، مناهج بلاغية ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢.

(٧) ينظر أسرار البلاغة ص ٢١ ـ ٢٤، دلائل الإعجاز ص ٧٤، الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٧ الخصائص ج ١ ص ٢١٨، وتنظر ص ٢٨، ٢٢٠، المثل السائر ج ١ ص ٣٥٣، عبد القاهر ونقد النص الشعري (مجلة المجمع العلمي ـ الجزء الأول ـ المجلد الثالث والأربعون سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م ـ ص ٧٧ وما بعدها).

(٨) دلائل الإعجاز ص ٥٤٧.

(٩) مفتاح العلوم ص ٧٧.

(١٠) مفتاح العلوم ص ٢٠٤.

(١١) للتفصيل ينظر البلاغة عند السكاكي ص ١١٥ وما بعدها، مناهج بلاغية ص ٢٤٦ وما بعدها.

(١٢) فن القول ص ٢٢٣، وينظر البلاغة عند السكاكي ص ٤٠٢، القزويني وشروح التلخيص ص ٦١٩، مناهج بلاغية ص ٣٦٩.

(١٣) الأسلوبية والأسلوب ص ٥٢.

(١٤) بلاغة الخطاب ص ٢٠١.

(١٥) ينظر بعضها في قراءة النص الشعري (مجلة المجمع العلمي ـ الجزء الأول ـ المجلد الرابع والأربعون سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ـ ص ٢٦ ـ ٣١.

(١٦) اتجاهات البحث الأسلوبي ص ٦، وينظر الألسنية والنقد الأدبي ص ٨ ـ ٩، ٢١.

(١٧) بلاغة الخطاب ص ٨٤.

(١٨) بلاغة الخطاب ص ١٧٩.

(١٩) ينظر بلاغة الخطاب ص ٧٣ وما بعدها.

(٢٠) ذكر أبو هلال العسكري هذه الأهداف في مقدمة كتاب الصناعتين ص ١ ـ ٣،

وينظر مناهج بلاغية ص ٣٢ - ٣٥.

(٢١) ينظر فن القول ص ٢١٧ - ٢١٩، ولستيفن أولمان كتاب «دور الكلمة في اللغة» وهو نافع في هذا المقام.

(٢٢) مفتاح العلوم ص ٩٥.

(٢٣) للوقوف على ذلك ينظر البلاغة والأسلوبية ص ٢٣٥ ومابعدها، والبنيات الأسلوبية ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢٤) ينظر فن القول ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٢٥) مفتاح العلوم ص ١٥٧.

(٢٦) فن القول ص ٢٢١– ٢٢٢ .

(٢٧) الإيضاح ص ١٠٠.

(٢٨) للتفصيل ينظر القزويني وشروح التلخيص ص ٦٤٩ وما بعدها، مناهج بلاغية ص ٣٩٧ ومابعدها.

المراجع

١ - اتجاهات البحث الأسلوبي - اختارها وترجمها الدكتور شكري محمد عياد. الرياض ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق هـ . ريتر. أستانبول ١٩٥٤م.

٣ - الأسلوبية والأسلوب - الدكتور عبد السلام المسدي. الطبعة الثانية تونس ١٩٨٢م.

٤ - الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة - الدكتور موريس أبو ناضر. بيروت ١٩٧٩م.

٥ - بلاغة الخطاب وعلم النص - الدكتور صلاح فضل (عالم المعرفة ١٦٤) الكويت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٦ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب. بغداد ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٧ البلاغة والأسلوبية - الدكتور محمد عبد المطلب . القاهرة ١٩٨٤م.

٨ - البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث - الدكتور مصطفى السعدني. الإسكندرية ١٩٨٧م.

٩ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م.

١٠ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١١ - الشعر والشعراء - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة ١٩٦٦م.

١٢ - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي. بيروت ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤م.

١٣ - عبد القاهر ونقد النص الشعري - الدكتور أحمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي - بغداد. الجزء الأول - المجلد الثالث والأربعون. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦).

١٤ - فن القول - أمين الخولي. القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م.

١٥ - قراءة النص الشعري - الدكتور أحمد مطلوب. (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي - بغداد. الجزء الأول - المجلد الرابع والأربعون ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.)

١٦ - القزويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب. بغداد ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

١٧ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري. تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م.

١٨ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م.

١٩ - مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي. القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م.

٢٠ - مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون - دار الكشاف - بيروت.

٢١ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب. بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٢٢ - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي. القاهرة ١٩٦١م.

نحو تيسير قواعد اللغة العربية

أ.د. أحمد حسن حامد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البشر أجمعين، النبي العربي، الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فهذه جملة أفكار وملاحظات حول تيسير قواعد اللغة العربية، أطرحها عليكم لنتذاكر معاً ما قيل، وما يقال حول قواعد العربية ومشكلة تيسيرها. محاولاً وضع تصور عام لتقريبها من أذهان الطلبة.

وأقول بادئ ذي بدء: لقد كان النحو العربي، وما يزال، مبعث تذمر كثير من الدارسين والمدرسين في عالمنا العربي، وذلك لكثرة تفصيلاته وأحكامه وحواشيه التي ملئت بها كتب النحو قديمها وحديثها، مما دفع بعض الباحثين إلى الرد على النحاة وأحكامهم محاولين، بذلك، تذليل ما خلقوا فيه من صعوبات عسرت أمر تعلمه وتعليمه وانحرفت به عن فائدته المرجوة.

ولعل أول من أدرك هذه الصعوبات من أسلافنا، وحاول وضع دواء شاف لها ـ على الأقل من وجهة نظره هو ـ ابن مضاء القرطبي، إذ وجد الصعوبة تكمن في نظرية العامل التي جذبت انتباه النحاة وسيقوا وراءها، فجرتهم إلى افتراضات وتعليلات صعبت النحو وعقدت أبوابه وأحكامه،

فراح ينادي في النحاة والناس من حولهم: «حطموا نظرية العامل، حطموا الأقيسة والعلل، حطموا كل مالا يفيد نطقاً، حتى نرفع كل الحواجز التي تعوق فهم مسائل النحو فهماً صحيحاً، قائماً على الحقائق اللغوية المحسوسة». غير أن محاولة ابن مضاء هذه ذهبت في واد فلم يستجب له نحاة المغرب ولا نحاة المشرق في العصور الوسطى، وظل الناس، وظلت الأجيال تعاني في قراءة النحو مشقات هائلة. وليس، أدل على ذلك، من قول أحد الشعراء الظرفاء:

في النَّحْـــوِ لا يَقْهَرُنـــي إلاّ تَفَـــاصيلُ العَـــدَدْ

وإخال هذه الصعوبة كانت ماثلة أمام أعين النحاة أنفسهم، ومن ثم تسابقوا إلى وضع المؤلفات النحوية التي توحي عناوينها إلى فكرة التيسير ومن أمثلة هذه المؤلفات: الإيضاح، والمفصل، والواضح، وأوضح المسالك، والمقرب وغيرها.

ومهما يكن فقد مات ابن مضاء، ولم تمت صعوبة النحو، بل ظلت حية عبر العصور، حتى جاء عصرنا الحديث فعادت نغمتها تتردد على الألسنة من جديد، وبصورة أقوى مما سبق، مما حفز بعض الباحثين المعاصرين إلى الإدلاء برأيه نحو تيسير قواعد العربية، ومن هؤلاء إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» إذ وجد الصعوبة تكمن في وضع النحو وتدوين قواعده، ومن هنا اتجهت محاولته تيسير النحو إلى إلغاء نظرية العامل يقول: «تخليص النحو من هذه النظرية وسلطانها، هو عندي خير كثير، وغاية تقصد، ومطلب يسعى إليه، ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيح».

وفي ضوء إلغاء هذه النظرية ضم إبراهيم مصطفى كثيراً من الأبواب

النحوية في باب واحد، مثال ذلك وضعُه أبواب المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل جميعها في باب المسند إليه وحقها الرفع دائماً. وعارض دراستها منفصلة كل منها في باب واحد كما فعل النحاة القدماء.

ثم جاء بعد ذلك «طه حسين» فقال: إن إحياء النحو لا يتأتى إلا من طريقين: أحدهما: أن يقربه النحاة من العقل الحديث ليفهمه ويسيغه ويتمثله، ويجري عليه تفكيره إذا فكر، ولسانُه إذا تكلّم، وقلمُه إذا كتب، وثانيهما: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه، ومناقشة مسائله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه.

ويبدو أن أمر النحو وتيسيره أخذ اتجاهاً رسمياً في مصر؛ فقد ألفت وزارة المعارف المصرية في زمن وزيرها بهي الدين بركات سنة ١٩٣٨ لجنة، للنظر في أمر التيسير، برئاسة الدكتور طه حسين إذ أعدت اللجنة مقترحات قدمتها إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم إلى المجامع العربية الأخرى، وكذلك إلى كثير من الجهات التربوية المعنية بتدريس اللغة العربية، وقد أرجعت اللجنة صعوبة النحو إلى ثلاثة أسباب:

أولاً: فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا أو يعللوا ويسرفوا في الافتراض والتعليل.

ثانياً: إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.

ثالثاً: إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

ثم اقترحت ما يلي:

الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي.

الاختصار في الأقسام وتعدد الأبواب.

أن تقتصر الجملة على جزأين هما: الموضوع والمحمول. وكل ما عداهما تكملة وحكمها النصب إلا إذا كانت مضافاً إليه أو مسبوقة بحرف من حروف الإضافة فهي مجرورة.

وقد هوجمت هذه المحاولة هجوماً عنيفاً وبخاصة من علماء الأزهر، كما تلقت ردوداً كثيرة من جانب المعنيين بتدريس قواعد العربية، تتضمن نواحي النقص التي فات على اللجنة بحثُها.

ثم كثرت بعد ذلك الآراء الفردية حول تيسير النحو، بعضها نشر على صورة مقال في بعض المجلات العربية وبعضها الآخر نشر في كتب اتخذت أسماء تنم على محاولة التيسير والتبسيط.

وحين عقد المؤتمر الثقافي العربي الأول سنة ١٩٤٧ أعيد بحث قضية التيسير مرة أخرى، إذ قدمت للمؤتمر اقتراحات مختلفة ومتعددة، ومن أشهرها الاقتراح الذي قدمه خليل السكاكيني والذي يتلخص فيما يلي:

١- اتباع أسلوب الجداول في تدريس الأبواب النحوية، مثل التوابع والنداء، والاستغاثة، والندبة والاختصاص والتحذير والإغراء والعدد، ثم القياس عليها. فبدلاً من أن نقول - في العدد على سبيل المثال -: إنه يقسم إلى مفرد ومركب وعقود، ومعطوف، وإن الواحد والاثنين في المفرد والمركب والمعطوف يوافقان المعدود في التذكير والتأنيث، وإن العدد المفرد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، وإن معدوده يكون جمعاً مضافاً إليه، وإن العدد المركب يبنى آخر كل جزء من جزأيه على الفتح إلى آخر ما في العدد من أحكام. بدلاً من كل ذلك نضع خمسة جداول أو أنماط

نقيس عليها على النحو التالي:

ولد ـ ولدان ـ ثلاثة أولاد إلى الثلاثين.

بنت ـ بنتان ـ ثلاث بنات إلى الثلاثين.

الولد الأول ـ الثاني، الثالث إلى الثلاثين.

البنت الأولى ـ الثانية إلى الثلاثين.

الثلاثة كتب، ثلاثة كتب، الثلاثة كتبا، الخمسة عشر كتاباً.

ثم يكلف التلاميذ بحفظها وتكرارها.

٢ـ أن نختار من القواعد ما نحتاج إليه في الاستعمال دون اللجوء إلى التفصيلات.

٣ـاتباع تعدد القاعدة لا توحيدها سواء كان ذلك في النحو أو في الصرف.

وقد فُض المؤتمر بتوجيهات تدور في معظمها حول تبسيط أسلوب تعليم القواعد من جهة وتعديل بعض الأبواب النحوية من جهة أخرى.

ومع ذلك بقيت القضية قائمة لم تحل. إذ أعيد بحثها مرة أخرى في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية الذي عقد في دمشق سنة ١٩٥٦، إذ طالب فيه الدكتور مصطفى جواد تقليل القواعد، وانتقاء الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف المروي لفظاً، ثم من الشعر العربي الجاهلي الصحيح صحة نسبية، ثم من شعر ما بعد الجاهلية.

وليت شعري، هل استطاعت هذه المحاولات، الفردية منها والجماعية، أن تيسر النحو والصرف؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستظل قائمة مادامت هناك شكوى من النحو وأحكامه، وفي رأيي أن الشكوى ما يزال يسمع

صداها في جنبات الوطن العربي، وأن التذمر ما يزال يسمع بين الحين والآخر.

وهذا يعني، من جهة أخرى، إخفاق المحاولات السابقة لتيسير النحو العربي، وليس أدل على ذلك من قول الأستاذ علي النجدي ناصف: «إن مثل تلك المؤتمرات والدراسات التي لا تخلو من الارتجال تؤدي إلى البلبلة، وإضاعة الوقت بدلاً من الفائدة، ويقترح أن يغلق هذا الباب لأن الاستقرار على كل حال أبرك ثمرة، وإذا كان في النحو شيء لا نتبينه الآن؛ فإن رجال العربية وهم، بحمد الله أكفياء متخصصون، أحق أن يتداركوه مع الأيام وعلى نور من التجربة والمعاناة، لا على حدس من وهم واهم أو خيال متخيِّل فيكون الإصلاح أو التجديد استجابة لداعية مقتضية وتحقيقاً لحاجة ملحة».

والآن، وبعد هذا العرض لقضية تيسير النحو العربي على مدار نصف قرن أو يزيد، فإننا، حقاً لم نحدد ما الذي نريد أن نيسره؟!. أهو النحو العربي جميعه؟ أم قواعد العربية؟! إن كان المقصود تيسير النحو العربي، فهذا أمر مغلوط؛ وذلك أن النحو علم، وليس من اليسير أن نيسر علماً كاملاً. ألم يقل نحاة العرب:: إن النحو علم مستخرج بمقاييس، وإن كان المقصود من التيسير قواعد العربية، فلنتفق أولاً على صعوبة هذه القواعد. والحقيقة أن أيسر طريقة لتيسير قواعد العربية هي بناء علاقة العشق بين هذه القواعد وبين الدارس أو المتعلم. فإن قامت هذه العلاقة فإنه يصبح بالإمكان الإقبال على تعلم القواعد العربية بأي أسلوب من أساليب تدريس العربية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن تعليم القواعد قد جرى منذ وقت طويل

على أساليب ثلاثة:

١ـ الأسلوب الأندلسي الذي يجمع بين القواعد والشواهد أو الأمثلة وهو يسار فيه إما من القاعدة إلى الشاهد أو العكس (من الشاهد إلى القاعدة).

٢ـ الأسلوب المغربي الذي يقتصر على القواعد دون الشواهد.

٣ـ الأسلوب الخلدوني الذي يقتصر على الشواهد دون القواعد أي من الشواهد أو الأمثلة المشهورة إلى الاستعمال مباشرة، فيقاس الكلام بعضه على بعض دون اللجوء إلى الأحكام المجردة تقول: قال الرَّجلُ بالضّم قياساً على قال النبي، قال الأحنفُ، قال المهلّبُ. وتقول: النهار جميلٌ برفع الاثنين قياساً على قولهم: العلم زين، والصدق عز، والكذب خضوع، والخير عادة، والشر لجاجة، وإذا أخطأ الطالب أرشدناه، أو قلنا لرفاقه: أرشدوا أخاكم فقد ضل. وفي رأينا أن الأسلوب الصحيح في تعليم قواعد العربية لا يكمن في واحد من الثلاثة السابقة، وإنما لابد من أسلوب آخر رابع نطلق عليه (الأسلوب التكاملي) بمعنى أن ينظر إلى المسألة النحوية التي نريد تدريسها للتلاميذ، فإن كان الأسلوب الأول يقرب المعلومة أكثر من غيره فلنتبعه، وإلا فلنلجأ إلى الأسلوب الثاني، أو الثالث وهكذا أو نستعين بالأساليب الثلاثة معاً. وهذا يعتمد على مهارة المعلم ومدى إحاطته بهذه المسألة أو تلك من المسائل النحوية.

وعليه فإني أرى تيسير قواعد العربية في المادة والأسلوب في الأمور التالية:

١ـ لابد من إقامة علاقة عشق ما بين الدارس والنحو، ودونها تصبح

الحلول صعبة المنال.

٢- إنشاء معجم نحوي عام وشامل؛ بحيث يرجع إليه الطالب كلما دعت الحاجة إليه.

٣- اختيار «لجنة آراء» من علماء النحو للرجوع إليها فيما يعرض من خلاف نحوي، بحيث تضم نحاة يمثلون عصور العربية بما فيها العصر الحديث. يؤخذ برأيهم أو بآراء من نقلوا عنهم.

٤- عدم اللجوء إلى الأحاجي والألغاز النحوية.

٥- عدم اللجوء إلى الحواشي والتفصيلات المملة إلا في الحالات الضرورية جداً.

أما أسلوب تدريس النحو فيمكن أن نلخصه فيما يلي:

١- إعداد المعلم القادر والكفي لتدريس النحو.

٢- اتباع الأسلوب التكاملي الذي أشرنا إليه في تدريس النحو.

٣- الإكثار من النصوص العربية المتنوعة وتطبيق القواعد عليها.

٤- لا مانع من استخدام طرائق التوضيح في تفهيم القواعد.

٥- الابتعاد عن كل ما يجلب الضرر والتعقيد.

٦- عدم اللجوء إلى الجانب المنطقي إلا بعد أن يعجز الجانب اللغوي عن بيان وظيفة الكلمة.

والجانب المنطقي يعني: «الإضمار، الحذف، التقدير، المحل، التضمين». فلنأخذ هذا المثال:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني - ولم أطلب - قليل من المال

إذ يسرع (المعرب) إلى القول في بيان فاعل: (كفى) فيقول: هو

ضمير مستتر تقديره (هو) إذ لجأ هنا إلى (المنطق) قبل أن يبحث عن الفاعل في الزاوية اللغوية المنظورة.

٧ـ على القائمين على تدريس النحو أن يبينوا مسارب الخطأ في النحو:

وفي رأيي أن مسارب الخطأ كثيرة منها:

١ـ الجانب النفسي بمعنى الشعور بالضعف (ابتداء) قبل الشروع في تعلم مسائل النحو، وقد يكون هذا الشعور متوارثاً. وقد روج بعض المستشرقين لهذه الفكرة حتى تطورت إلى صعوبة عسيرة الحل. إذ قال أحدهم: «أفضل أن أمشي سيراً على الأقدام من الإسكندرية إلى كمبالا في أوغندا على أن أتعلم حرفاً من حروف العربية».

٢ـ اللبس ما بين بعض الأدوات أو المسائل النحوية:

إذ لاحظت أن عدداً من الطلبة يقول عن: (هو) (وهي) هما أسماء إشارة وفي رأيي أن مسرب الخطأ هنا جاء من الهاء في (هنا) (وهذا)، وهذا الخطأ من الممكن تلافيه بقليل من المعرفة.

ومن ذلك: (إعراب) الذين ـ بأنه منصوب بالياء لأنه: (فالياء ولأنه) مسربان من مسارب الخطأ في النحو العربي إذ سمعت بعضهم يقول: الذين منصوب (بالياء) لأنه:

(أ) جمع مذكر سالم

(ب) من الأسماء الخمسة.

دون عناء تفكير.

٣ـ جملة (مقول القول) ـ (لامحل لها في الإعراب) يسرع الطالب إلى

القول (لامحل لها في الإعراب) ـ ويبدو أن سيطرة (عبارة لا محل لها في الإعراب) على الذهن أقوى من (لها محل في الإعراب).

٤ـ اللجوء إلى التخمين في إعراب الجمل العربية. مع أن الإعراب ليس تخميناً وإنما وفق ضوابط معينة. ولا نَخَف من ذلك. فالنحو (رفع) (ونصب)، (وجر).

وللرفع ضوابط كما أن للمنصوبات ضوابط، ومثل ذلك يقال للمجرورات.

٥ـ أن يفرق الطالب ما بين وظيفة الكلمة في التركيب وما بين «الإعراب». وذلك أن ثلثي النحو العربي لا محل له في الإعراب بمعنى أن الأفعال والحروف جميعها لا محل لها في الإعراب، ماذا يبقى إذن؟ الأسماء وحسب.

وبعد؛ فلعلي أكون قد وفّقت في وضع اللبنة الأولى التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار حين نقدم على تيسير النحو العربي.

تيسير مباحث النحو والصرف

الأستاذ الدكتور سامي عوض

فخرت العرب منذ القديم بلسانها وبيانها، كما فخرت بأصولها وأنسابها، كأنّما أدركت بسليقتها الصلة الوثيقة بين الجانبين وأنَّ اللغة مرآة حياة الأمة، ووعاء فكرها، والسِّجل المعبر عن خصائصها، وأساس التواصل الاجتماعي بين الناس وهي أداة التعبير الحي عن أحوال الأمة، وخصائص طبيعة الحياة فيها.

فلمّا شُرِّفتِ العربيةُ بنزول القرآن الكريم بها، أصبح الاعتزاز منوطاً بتلك الكرامة الإلهية خاصة، وباعثاً إلى دراستها لفهم آيات الذكر الحكيم، وإدراك أسرار البلاغة فيها، وفهم الأحاديث النبوية الشريفة، وعمق دلالتها في أحكام الشريعة، وفي آداب السلوك، وحكمة الحياة وقيمتها[1].

وتتجلى في آيات القرآن الكريم مكانة اللغة العربية، وسَعتها وثباتها، فقد ذكرت عدة آيات أنه (قرآنٌ عربي):

﴿إنّا أنزلناه قُرْآناً عربياً لَعَلَّكم تَعْقِلُون﴾[2].

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ص ٤٨- ٤٩ من مقال: (العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي للسيد عبد العزيز البسّام).

(٢) سورة يوسف ٢، وانظر الآيات في سورة طه ١١٣وسورة الزمر ٢٨، وسورة فصلت =

﴿لسانُ الذي يُلْحِدُون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[1].

﴿وإنَّه لَتنـزيلُ ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مُبين﴾[2].

هذه الآيات تظهرُ أنَّ العرب كانت لهم عند ظهور الإسلام لغة واحدة فصيحة معتمدة يفهمونها، ويستلهمونها في الكلام المعتمد الرفيع، ويعتزون بها، ويعتبرونها من أبرز السمات التي تستحق الفخر.

وقد بلغت العناية باللغة العربية حدّاً يعزُّ نظيره بين اللغات، وكانت الدراسات فيها رائدة لغيرها من الدراسات؛ نشأ نحو اللغة العربية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، ولا يكاد الحديث عن نشأة هذا النحو يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة وتكاد كلها تتركز في قضية (اللحن) الذي رآه القدماء خطراً على العربية، وعلى القرآن الكريم يقول ابن سلام: (كان أَوَّلَ من أَسَّس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي؛ وإنَّما قال ذلك حين اضطرب لسان العرب، وغُلبت السليقة، وكان سَراة الناس يلحنون)[3]. ويرى الدكتور عبده الراجحي أنَّ اللحن وحده لا يفسر نشأة النحو وخاصة على أول

=٣ وسورة الشورى ٧، وسورة الزخرف ٣، وسورة الأحقاف ١٢.

(١) سورة النحل ١٠٣.

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥.

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ١٢ وينظر:

- اللغة العربية والوعي القومي «بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية» ص٤٩.

صورة وصل بها إلينا، وهي كتاب سيبويه يقول[١] : (والأقرب عندي أن النحو شأن العلوم الإسلامية الأخرى نشأ «لفهم» القرآن الكريم، والبون شاسع بين محاربة «اللحن» وإرادة الفهم، لأن اللحن ما كان يُفضِي بهذا «النحو» إلى ما أفضى إليه في هذه المرحلة الباكرة من حياته، بل لعله كان حقيقاً أن يقتصر على وضع ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب؛ أمَّا «الفهم» فإنه يقصد إلى البحث عن كل ما يفيد في استنطاق النص، وفي معرفة ما يؤدّيه التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان، ومن هنا كان النشاط النحوي القديم على الوجه الذي نعرفه من كثرة علمائه، وتفرّع مذاهبه، ووفرة مادته)[٢] ولكي تتضح الصورة، وتتجلى معالمها لابد لنا من تبيان موقف النحاة واللغويين من (النحو ومفهومه).

لقد صنف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو حيث كان يقال في البصرة: (قرأ فلان الكتاب) فيعلم أنه كتاب سيبويه، يقول أبو الطيّب اللغوي: (هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سماه الناس «قرآن النحو») [٣].

يقول الدكتور حسن عون: (لقد استطاع سيبويه أن يتمثل صورة

(١) النحو العربي والدرس الحديث «بحث في المنهج» د. عبده الراجحي ـ ط دار نشر الثقافة ١٩٧٧ ص١١.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ص ١٠ ـ١١.

(٣) مراتب النحويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

الموضوع الذي يعالجه رغم ضخامتها، ومنهج الدرس النحوي رغم بدائيته تمثلاً يقوم على النظر في اللفظ المفرد، أو الكلمة، ثم النظر في الجملة، أو التركيب اللغوي، وقد جمع قضايا النحو مع قضايا الصرف والأصوات بجانب القضايا الأخرى المتعلقة بالميادين اللغوية والبلاغية)[١].

ويرى الدكتور محمود فهمي حجازي (أنَّ النحو بهذا المعنى يضم مجموعة من الدراسات التي تُصنَّف في علم اللغة الحديث في إطار الأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والتصنيف الحديث لعلم اللغة يضع الدراسة الصوتية أولاً، تليها الدراسة الصرفية، ثم النحوية أو التركيبية)[٢].

ثم يظهر المازني ويبدو أنه من أوائل من خصَّصوا للأبنية الصرفية كتباً مستقلة، وكتابه (التصريف) أقدم كتاب مستقل كامل وصل إلينا في الأبنية الصرفية، وهو كتاب نفيس جمع فيه موضوعات التصريف المتناثرة في كتاب سيبويه، ونظمها لأول مرة، وصاغها صياغة علمية متقنة إلى أبعد حدود الإتقان، وقد شرح ابن جني هذا الكتاب[٣]. وعلى الرغم من أن المازني خصص للصرف كتاباً مستقلاً، وأقامه علماً مستقلاً بأبنيته وأقيسته وتمارينه، لكن المازني لم يفصل بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً يقول: (إلا أن

---

(١) د. حسن عون تطور الدرس النحوي نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م ص ٣٧ـ٤١.

(٢) د. محمود فهمي حجازي «علم اللغة العربية» علوم اللغة في التراث العربي ٥٩ـ ٦٤.

(٣) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ١٣٧٣ـ ١٣٧٩هـ.

التصريف وسيط بين النحو واللغة يتجاذبانه، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره... فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً بُدِئ قبله بمعرفة النحو ثم جِيء به ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، معيناً على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرّف الحال)[1] .

أما ما قَدَّمه ابن جني في كتابه (الخصائص) فيصلح أن يكون أساساً لفهم المنهج العربي في الدرس الصرفي والنحوي يذكر في باب القول على النحو: (هو انتحاء سَمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم رُدَّ بها إليها)[2] .

ويوضح الدكتور عبده الراجحي هذا النص بقوله: (هذا النص المهم يضع أمامنا الحقائق الآتية:

أ ـ إن الدرس النحوي عند العرب لم يكن معيارياً كما يذهب بعض

---

(١) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني الجزء الأول ص ٤ـ ٥.

(٢) ابن جني «الخصائص» تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٧١ـ ١٣٧٦هـ الجزء الأول ص ٣٤.

الباحثين؛ لكنه تقديم لكلام العرب كما هو.

ب ـ إنه لم يقصر النحو على الإعراب كما يذهب بعض من كتب في النحو من المتأخرين.

ج ـ إن حصره النحو في كلام العرب دليل على إدراكه الواضح أن النحو مجاله الجملة[1].

ثم ألف ابن الحاجب كتابه (الكافية في النحو) حيث تناول القضايا الخاصة بالإعراب وبناء الجملة[2] بينما خصص لبناء الكلمة كتاباً آخر هو (الشافية)، ولكنه على الرغم من هذا ظل ابن الحاجب يعد التصريف قسماً من النحو، لا قسيماً له، يقول في الشافية: (واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف)[3].

وإذا أردنا أن نسجل موقف اللغويين المحدثين فإننا نجد الدكتور السعران يقول: (وقد جرى لغويو العرب على أن يدرسوا نحو معظم اللغات تحت موضوعين أساسين هما «المورفولوجيا Morphology ويعني الصرف، والنظم ويعني Syntax»).

وقد كثر الجدل بين اللغويين فيما يتعلق بجدوى هذا التقسيم، وبتحديد مجال كل قسم من هذين القسمين، ولكن هذا التقسيم التقليدي لا

---

(١) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي ص ١٥٠ـ ١٥١.

(٢) الكافية طبع دار الطباعة إيران.

(٣) الأستراباذي رضي الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري شرح الشافية لابن الحاجب تحقيق محمد نور الحسن، محمد محيي الدين عبد الحميد محمد الزفزاف الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ ١٩٣٩م مطبعة حجازي بالقاهرة.

يزال صالحاً[١].

ويقول في مكان آخر: (وللنظم علاقة وثيقة بالمورفولوجيا، وذلك لأن التركيبات المورفولوجية في لغة من اللغات عادة ما تحكمها إلى درجة كبرى الترتيبات النظمية)[٢].

ويرى الدكتور بشر أن كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، أو بعبارة بعضهم وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، كل دراسة من هذا القبيل هي صرف في نظرنا[٣].

ويقول الدكتور عبده الراجحي: (إن العلماء العرب لم يفصلوا بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً، بل إن كتب النحو منذ سيبويه تشتمل على النحو والصرف جميعاً)[٤].

ثم يقول: (النحو والصرف إذن جزءان لعلم واحد، أو أن النحو لا يمكن درسه دون بحث الجوانب الصرفية للغة)[٥].

ويقول الدكتور مسعود بوبو: (عندما نتحدث عن حال تدريس النحو والصرف يتعين علينا أن نحدد إطار هذا الموضوع فنشير إلى أن .

---

(١) محمود السعران علم اللغة مقدمة للقارئ العربي طبعة دار المعارف ١٩٦٢ ص ٢٢٥.

(٢) علم اللغة ص ٢٤٥.

(٣) د. كمال بشر دراسات في علم اللغة القسم الأول والثاني ط دار المعارف مصر ١٩٦٩م القسم الثاني ص ٨٥.

(٤) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي ص ١٤٤.

(٥) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي ص ١٤٥.

المقصود بالعنوان «النحو والصرف كلاهما» لأنهما متلازمان حتى يصعب الفصل بينهما)[١].

وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في النحو وهو (مصطلح العربية) أو (علم العربية) فابن النديم يستخدم مصطلح العربية بمعنى النحو حيث يقول: (كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية)[٢].

وهذا ما يذكره ابن فارس: (فقد تواترت الروايات على أن أبا الأسود الدؤلي أول من وضع العربية)[٣].

ويقول ابن الأنباري: (أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[٤].

ويوضح الدكتور حجازي ذلك بقوله: (أما في المغرب والأندلس فهناك نصوص كثيرة توضح تفضيلهم مصطلح العربية، ففي القرن الرابع الهجري ذكر الزبيدي في تراجمه لكثير من علماء الأندلس والمغرب مصطلح

---

(١) ندوة النحو والصرف دمشق ٢٧- ٣٠/ ١٩٩٤ «بحث بعنوان تدريس النحو والصرف ص ٨٠».

(٢) ابن النديم محمد بن إسحاق الفهرست المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ ص ٥٩.

(٣) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا «الصاحبي في فقه اللغة العربية وسَنن العرب في كلامها تحقيق السيد أحمد صقر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر ص ١٣».

(٤) ابن الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ص٤.

العربية بمعنى «النحو»)[1].

والسؤال الذي نطرحه الآن: هل لغتنا العربية صعبة؟.

يقول أبو حيان التوحيدي، في الليلة السادسة من كتاب الإمتاع والمؤانسة عن اللغة العربية ما يأتي: (قد سمعنا لغاتٍ كثيرة - وإن لم نستوعبها - من جميع الأمم فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربيّة، أعني الفرج الذي في كلماتها، والفضاء الذي بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها)[2].

ويقول العلامة وليم مارسيه المستشرق الفرنسي وعضو المجمع العلمي العربي العام: (إن من السهل جداً تعلّم أصول اللغة العربية فقواعدها الصرفية التي تظهر معقّدة لأول مرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لا يكاد يصدق، حتى إن صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة، وبجهد معتدل؛ إنّ الفعل العربي هو لعبة أطفال إذا قيس بالفعل اليوناني أو بالفعل الفرنسي، فليس هناك صعوبة في الاشتقاق، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقاً)[3].

---

(١) علم اللغة العربية ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، اختار النصوص وقدم لها إبراهيم الكيلاني دمشق منشورات وزارة الثقافة ١٩٧٨ جزء أول ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) اللغة العربية والوعي القومي مركز دراسات الوحدة العربية ص ٣٦٥ من مقال: اللغة العربية وطرائق تدريسها للسيد أحمد حقي الحلي نقلاً عن السيد عثمان أمين فلسفة اللغة العربية القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ نقلاً

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي «هنري لوسيل»: (وتقدم العربية أيضاً نسقاً من قواعد الإعراب بسيطاً، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تقدم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسقاً من الأفعال يتسم بالبساطة، ويحير الناظر أول الأمر، ولكنه مع ذلك بلغ من التمام ما بلغه النسق االفرنسي)[1].

هذه شهادات عن اللغة العربية من علماء غربيين غير متهمين بالتحزب لنا، ونرجو من بني قومنا العرب أن يراجعوا أنفسهم، وليكفوا عن ترديد آراء تقليدية عن قصور لغة وسعت كتاب الله لفظاً وغاية[2].

فقد كان النحو أول الأمر علم الأدب، وكان دليل الدارس إلى فهم النصوص، وكان النحاة الأوائل رواة اللغة والشعر والأدب، فكانوا علماء بلاغة ونحو ومعان، علوم العربية لديهم مترابطة لا انفصال بينها.

إن نحاتنا القدماء يفهمون النحو فهماً يتفق مع ما انتهت إليه الدراسات الحديثة وهي أن وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص اللغوي كما يتناول الأشكال الإعرابية فقد قدم سيبويه مباحث في فن

عن ماسينيون المؤلفات الصغرى بيروت دار المعارف ١٩٦٣.

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٦٥ نقلاً عن عثمان أمين فلسفة اللغة العربية ص ١٠ نقلاً عن المقال الذي نشره هنري لوسيل في جريدة اللموند Le monde ٣/ ٩/١٩٦٤ .

(٢) اللغة العربية والوعي القومي من مقال بعنوان اللغة العربية وطرائق تدريسها ص ٣٦٦ ويورد صاحب المقال قول ماسينيون: في اللفظ العربي جرس موسيقي لا أجده في لغتي الإفرنسية.

التعبير، تدخل في إطار علم المعاني، وهي من وجهة النظر اللغوية الحديثة من صميم علم النحو[١].

وقد رسم عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) طريقاً جديداً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلام، وعلامات الإعراب وبين أن للكلام نظماً، وأن رعاية هذا النظم، واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهماً معناه، ولا دالاً على ما يراد منه حيث يقول: (معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)[٢].

ثم بين هذا العالم الفذ أن ليس شيء من هذا النظم إلا وبيانه إلى علم النحو قال: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها)[٣].

ويعد الأستاذ إبراهيم مصطفى من أوائل من ذهبوا إلى أن البحث في علوم المعاني هو من المباحث النحوية حيث يرى في كتابه (إحياء النحو) أن (تحديد النحو في معرفة أحوال أواخر الكلام إعراباً وبناءً، وقصره على الحرف الأخير من الكلمة فيه تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، وتقصير

---

(١) الكتاب لسيبويه ط بولاق ١/ ٨ وكتاب تطور الدرس النحوي للدكتور حسن عون ص ٩٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، طبع مكتبة صبيح ص ١٢.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٤٤.

لمداه، وحصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله؛ فإنَّ النحو كما يجب أن يكون هو قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها)[١].

ويشرح ذلك بقوله: (إن النحاة حين قصروا النحو على البحث في أواخر الكلام قد أخطؤوا إلى العربية من وجهين:

الأول: إنهم حين حدّدوا، وضيّقوا بحثه حرموا أنفسهم من الاطلاع على كثير من أسرار العربية وأساليبها المتنوعة، ومقدرتها في التعبير... والحق أنه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها، ومن دقائق التصوير بها.

الثاني: (إنهم رسموا للنحو طريقاً لفظية، فاهتموا ببيان الأحوال المختلفة للفظ حيث يجيزون في الكلام وجهين أو أكثر من أوجه الإعراب، ولا يشيرون إلى ما يتبع كل وجه من أثر في رسم المعنى وتصويره، وبهذا يشتد جدلهم، ويطول احتجاجهم، ثم لا ينتهون إلى كلمة فاصلة)[٢].

ويرى الدكتور حسن عون: (أن البحث النحوي ينبغي أن يمتد فيشمل الميادين البيانية بجانب الميادين الشكلية إعراباً وبناء ذلك لأن النحو في نشأته كان يشمل كل المباحث اللغوية وكان يطلق عليها جميعاً، وكان مرادفاً لكل العلوم اللغوية كما كان القائمون على هذه المباحث اللغوية يعرفون بالنحاة، ولكن أمر النحو والبيان قد انتهى في الغصر الحديث أو كاد ينتهي إلى اعتبارهما مبحثاً واحداً يعرف بالبحث النحوي فتعالج فيه قضايا

---

(١) الأستاذ إبراهيم مصطفى إحياء النحو مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ صفحة ١-٣.

(٢) إحياء النحو ص ٧- ٨.

اللفظ من حيث البنية، والصيغة، والشكل كما تعالج فيه قضايا التركيب اللغوي من حيث المعنى، والدلالات البيانية، وهكذا أخذ النحو يعود كما بدا في كثير من اللغات الأجنبية الحديثة، وينبغي ألا تشذ العربية عن غيرها في هذا السبيل)[1].

ولقد أشار مجمع اللغة العربية بدمشق في وثيقة تقدم بها إلى ندوة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر إلى أنَّ ثمَّة ناحية لم يُعن بها الباحثون المعاصرون العناية الكافية، و لم تُشر إليها التوصيات إلا عرضاً وهي أن المعاني جزء من النحو إذ لا يقتصر الغرض من إتقان النحو على ضبط أواخر الكلام، أو تعداد صيغ الأفعال المزيدة ومشتقاتها مثلاً، إنما ينبغي تنبيه الطالب إلى أن تغير الحركات الإعرابية والصيغ، والأبنية، يؤدي إلى تغيير المعنى، وعلى ذلك لا يصح الاقتصار في تعليم الصرف على إيراد أمثلة المصادر لغير الثلاثي، بل من الضروري أن يعرف طلابنا أكثر أوزان غير الثلاثي، ومعاني كل من الزيادات التي تطرأ على المجرد (استفعل، تفاعل، انفعل، افتعل، تفعّل) كما يحسن أن تُذَيَّل كتب النحو ببحوث ولو موجزة تُصَنِّف أبواب أداء المعاني المختلفة ووسيلة ذلك أن يكون هناك باب لأساليب النفي أو الاستفهام وأدواته في الجمل الاسمية والفعلية، والفرق بين معاني هذه الأدوات، وباب آخر لأدوات التوكيد الداخلة على الأفعال والأسماء، وثالث لأدوات الشرط جازمة أو غير جازمة، ولعل من الخير أن يجعل شطر كبير من مباحث علم المعاني جزءاً من النحو، فلا يقرأ الطلاب الحصر في علم، والقصر في علم آخر، ولا يدرسون دواعي الحذف أو

---

(١) تطور الدرس النحوي ص ٩٤.

التقديم والتأخير في علمين متمايزين، وذلك حتى لا يحسبوا أن الغرض من دراسة النحو ينحصر في ضبط أواخر الكلام، أو في معرفة طرائق الاشتقاق وصوغ الأبنية دون الوقوف على تغيير المعاني المستفادة منها[1].

وبعد أن كان النحو يشمل الدراسة التركيبية والصرفية أصبح عند المتأخرين التصريف قسيم النحو لاقسماً منه فيعرف كل منهما بتعريف يميّزه عن قسيمه.

فيعرف النحو بأنه علم يبحث عن أواخر الكلام إعراباً وبناءً، أما الصرف فقد اقتصر على دراسة بنية الكلمة يقول السكاكي ت ٦٢٦:

(فعلما الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد، أو فيما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك)[2].

وهكذا استقر مجال علم النحو عند المتأخرين باعتبار أنه دراسة الإعراب، وبناء الجملة في مقابل الصرف الذي يتناول بنية الكلمة، فالنحو لا يعنى إلا بما يتصل بأواخر الكلمات وهو أثر العامل في الكلمة، وبهذا يختلف عن الصرف الذي يعنى ببنية الكلمة، وما يلحقها من تغيير في الحركة والسكون والإدغام، والقلب، والإبدال، وما إليها.

---

(١) كتاب ندوة النحو والصرف، من مقال أضواء على تدريس النحو والصرف في مراحل التعليم العام في الوطن العربي للدكتور محمود السيد ص ٤ـ ٥.

(٢) أبو يعقوب محمد بن علي السكاكي مفتاح العلوم مطبعة التقدم العلمية بمصر ص ٣ وينظر مفتاح السعادة لطاش كبري زاده.

وقد نحا بعض النحاة إلى وضع المتون، ثم إلى شرحها، ثم إلى شرح هذا الشرح، أو اختصاره، وزادت التحشية على المؤلفات، وسادت ظاهرة التقليد، وظاهرة المتون والشروح، والتعليقات، والإكمالات، والتذييلات.

إن من يعود إلى شروح الحواشي على ألفية ابن مالك فسوف يجد أن بعض هذه الشروح قد أغرقتها الصنعة وجعلتها أقرب إلى المماحكات اللفظية، ومما جاء في إعراب أول بيت من الألفية ما يأتي:

(قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك قال: فعل ماض، محمد فاعل هو مبتدأ ابن خبره، ومالك مضاف إليه، وكان حق «ابن» أن يكون نعتاً لمحمد، ولكنه قطعه عنه وجعله خبراً لضميره، والأصل أن ذلك إنما يجوز إذا كان المنعوت معلوماً بدون النعت حقيقة أو ادعاء كما أن الأصل أنه إذا قطع النعت عن اتباعه لمنعوته في إعرابه ينظر: فإن كان النعت لمدح أو ذم وجب حذف العامل، وإن كان لغير ذلك جاز حذف العامل وذكره، والجملة هنا ـ وهي قوله: وهو ابن مالك ـ ليست للمدح ولا للذم، بل هي للبيان فيجوز ذكر العامل وهو المبتدأ، وإذاً فلا غبار على عبارة الناظم..)[1].

ويعلق الدكتور المخزومي على ذلك بقوله: (أفمثل هذا الأسلوب يحبب اللغة إلى من يراجع مثل هذا الإعراب في مثل هذا الكتاب النفيس؟ إن أمثال هذه الصنعة أصبحت ضرباً من الرياضة العقلية البائسة، وصار النحو

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك علق حواشيه وشرح شواهده محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى عام ١٩٦٤ ص ١٠.

عند بعض النحاة مجموعة من الأصول النظرية الجافة، ويبالغون في تحكيم المنطق والاعتبارات الفلسفية في الدرس النحوي)[١].

وقد وصلت الحذلقة في تعليم النحو أن نماذج من تلك الدروس كان يستشهد به في الطرف والملح؛ من ذلك قصة أعرابي جلس يستمع إلى درس في النحو فسمع الشيخ يسأل تلاميذه ويقول:

كيف تقولون من تؤزهم أزّاً، يا فاعل افعل؟ أو قال:

كيف تأتون بمثال (اطمأننت) من رميت وغزوت وبعت وقلت؟ فإذا سكتوا و لم يجيبوا قال الشيخ: يقال في المسألة الأولى: يا آزّ أزّ أو اوززْ ويقال في المسألة الثانية: ارمييّت واغزووّت وابيعّعت واقوللّت.

عند ذلك نهض الأعرابي وهو يقول:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني	حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لـمّا سمعت كلاماً لست أفهمه	كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني	من التقحم في تلك الجراثيم

وتركهم وهو يقول في نفسه: لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسدره[٢].

بناء لما سبق يمكن الإشارة إلى أن أهم مشكلة تعرض لدارس العربية هي مشكلة طبيعة القواعد كما رسمها النحاة، وقد رأينا أن النحاة في العصور الأولى وضعوا القواعد مستنبطة من كلام العرب، وأدبهم، وشعرهم تقويماً

(١) د. مهدي المخزومي أعلام النحو العربي ص ٧ وينظر ص ٣٧٢ من مجلة اللغة العربية والوعي القومي.

(٢) أعلام النحو العربي ص ٤، واللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧٢- ٣٧٣.

للسان، وإبعاداً للذوق الأدبي عن الانحراف، لقد انصرف أجدادنا إلى خدمة لغة القرآن الكريم، فوضعوا كتباً تعليمية في مختلف علوم اللغة، وكان النحو أول ما انصرفت إليه الهمم، فكانت الكتب التعليمية التي تعنى بتقديم القواعد بعبارات موجزة، وصفحات محدودة؛ وقد راعى كثير من المؤلفين الجانب التربوي في التأليف، ولعل ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ خير من يمثل هذا الاتجاه في تدريس النحو حين بدأ بكتابه الجامع الصغير، ثم قطر الندى وشرحه، ثم شذور الذهب وشرحه، ثم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ثم كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وهذا الارتباط بين الحلقات ضرورة يقتضيها المنهج التربوي الذي كان العرب حريصين عليه منذ القديم[1].

لقد أدرك نحاتنا القدامى أن علم النحو واسع ومتشعب، وأن ما يحتمله الناشئ منه هو الضروري الذي يعصم اللسان، ويقي من الخطأ، فكانت كتبهم التعليمية غاية في السهولة والوضوح فقد دلت عناوينها على ذلك فبعضها يدعى (الواضح) وبعضها يسمى (الموجز) وثالث يعرف بـ (المقدمة أو التفاحة أو الإيضاح)، وغير ذلك من أسماء تفصح عن منهج مؤلفي هذه الكتب وغاياتهم من تأليفها، وهي غاية قريبة لا تتجاوز إعطاء الضروري من هذا العلم، وكان الجاحظ ممن أيد هذه الطريقة في التأليف النحوي للمبتدئين فقال قولته المشهورة: (وأما النحو فلا تشغل قلب الصبي

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧١ من مقال: «اللغة العربية وطرائق تدريسها» للسيد أحمد حقي الحلي.

منه إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، وما زاد على ذلك فهو مشغلة له)[1].

وقد انبرى في عصرنا الحديث أساتذة أجلاء داعين إلى تيسير النحو، ووضع برامج دراسية تلبي حاجة المتعلمين، وتحبب اللغة العربية إلى أبنائها، ولعل أول هذه المحاولات هي محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى التي أشرنا إليها آنفاً، وكانت المحاولة الثانية قد تمت على يد لجنة تيسير اللغة العربية عام ١٩٣٨ التي شكلت بقرار من وزير المعارف بمصر، وقد لاحظت اللجنة المشكلة للتيسير أن أهم ما يعسر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أمور هي:

- فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا أو يسرفوا في الافتراض والتعليل.
- إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.
- إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

وتتوالى دعوات التيسير على يد الأستاذ أمين الخولي عام ١٩٤٢، ويد الدكتور شوقي ضيف ١٩٤٧، ومؤتمر مفتشي اللغة العربية عام ١٩٥٧[2].

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧٦ من المقال السابق نقلاً عن السيد نعمة رحيم العزاوي. مناهج اللغة العربية وسبل تطويرها ص ٢.

(٢) كتاب ندوة النحو والصرف دمشق ٢٧ـ ٣٠/٨/ ١٩٩٤ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مقال أضواء على تدريس النحو والصرف في مراحل التعليم العام في الوطن العربي الدكتور محمود السيد ص ١٠-١٣.

وقد عقدت ندوات عديدة ومؤتمرات كثيرة منذ الستينات حتى يومنا هذا، ومن الملاحظ أن أغلب المؤتمرات التي تعقد على نطاق الوطن العربي في المجالات اللغوية تتضمن بعض أبحاثها دعوات إلى التيسير، وكان آخر هذه الندوات ندوة النحو والصرف التي عقدت في دمشق ٢٧-٣٠- /١٩٩٤/٨ وشارك فيها باحثون ومختصون من أرجاء الوطن العربي كافة ومن بعض الجامعات الغربية، وكانت محاور هذه الندوة تتضمن ما يلي:

١. واقع تدريس النحو في المرحلة ما قبل الجامعية.

٢. واقع تدريس النحو في المرحلة الجامعية.

٣. النحو والصرف (الامتحانات - الأنظمة الجامعية).

٤. الإعداد التخصصي لمدرسي اللغة العربية.

٥. رؤية جديدة لتدريس النحو العربي في ضوء النظريات الحديثة في اللغة وعلم النفس[1].

ويمكننا من خلال اطلاعنا على بعض هذه الدراسات والأبحاث أن نقدم تصوراً عاماً عن أهم الاقتراحات، والتوصيات التي تمخضت عنها هذه الندوات في دعواتها المستمرة إلى تيسير مباحث النحو والصرف:

أولاً: إن وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص كما يتناول الأشكال الإعرابية، فالنحو ينبغي أن يمتد فيشمل الميادين البيانية بجانب الميادين الشكلية إعراباً وبناء، وبمعنى آخر أن يكون النحو دليل الدارس إلى فهم النصوص، وأن ينظر إلى علوم العربية نظرة شاملة لا انفصال بينها كما

---

(١) صدرت بحوث الندوة في جزأين طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

كان النحو في نشأته الأولى.

ثانياً: دراسة أبواب النحو من جديد، والتخلص من الخلافات، والتأويلات، والتخريجات، وما إلى ذلك مما يعد صنعة نحوية شكلية لا أثر لها في المعنى، لأن مثل هذه التعليلات قد طغى عليها الجانب الفلسفي فأصبحت كأنها غاية بذاتها، فخرجت القواعد عما وجدت من أجله وهي تقويم اللسان، وتطويع اللغة لحاجة مستخدمها وتمكّنه من استعمالها في التعبير عمّا يحس.

ثالثاً: تنقية القواعد من الخلافات النحوية خاصة الآراء المنفردة كمجيء (أيّ) موصولة عند سيبويه إذا أضيفت وحذف صدر صلتها، وإجراء القول مجرى الظن بلغة (سليم) وإجراء (لعل) مجرى أحرف الجر الشبيهة بالزائدة بلغة (عقيل)، ومجيء (ذو) موصولة بلغة طيّئ وتؤخذ الآراء التي تصادف إجماعاً وشمولية أو ما يعبر عنه بموافقة جمهور النحاة.

رابعاً: استبعاد الأبواب النحوية غير الوظيفية كباب الاشتغال، وباب عطف البيان، وإلغاء الإعراب المحلي والتقديري في المفردات والجمل، والتخفيف من عمل الأدوات على النحو الذي قرره النحاة، وتعصبوا له كإضمار (أن) جوازاً ووجوباً، لأنه لا أثر لذلك كله في سلامة المنطق، ولا في إفهام المعنى.

وبمعنى آخر أن تدرس قواعد العربية لا لذاتها، فليست هذه القواعد مجرد معلومات تفهم، وتضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان المعرفة، وليس المراد منها حشو الذاكرة بالمعلومات التي سرعان ما تنسى، ولكنها وسيلة إلى غاية فهي وسيلة إلى الفهم العميق، والاستيعاب الدقيق، واستقامة اللسان،

ومجانبة الزلل، وسقم التعبير، فإذا لم تؤخذ هذه الوسيلة بالتدريب المستمر، والممارسة المتكررة، فلن يستقيم اللسان، وتمتلك ناصية اللغة.

خامساً: اعتماد نصوص القرآن الكريم وقراءاته في المقام الأول في تقعيد القواعد لأن القرآن الكريم هو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل بها إلينا في الأداء والحركات والسكنات فلم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً، بل لم تعرف البشرية كتاباً أحيط بالعناية، واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه، وكلماته، وحروفه، وحركاته وكيفية ترتيله بلهجاته مثل الكتاب العزيز.

سادساً: إن علم النحو يحتاج إلى أن نسمع من معلمينا وإذاعاتنا المسموعة والمرئية لغة عربية نقية وأن نقرأ كلام العرب قراءة صحيحة، وأن نحفظ نصوصاً من كلام العرب بصورة سليمة، وأن نعوِّدَ أنفسنا على الأداء اللغوي السليم قراءة وكتابة وكلاماً وهذا يقتضي اعتماد اللغة العربية الفصحى في مراحل التعليم جميعها، ويقول في هذا الأستاذ عبد العزيز البسام: (فإذا كانت الفصحى هي لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وما يتلوهما منزلة مما جاء في الأدب العربي شعراً ونثراً في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام وما اقتصرت على تدوينه المعاجم المثبتة، فإن الفصيحة إذ يراد لها أن تكون لغة جميع المتعلمين، إنما تكون صيغة ميسرة متطورة متمسكة بأصول الفصحى، وتحافظ على طبيعتها، ولا تخرج عن أسس تكوينها، بل هي تستوعب التطورات السليمة التي طرأت عليها خلال عصور ازدهارها، وتتفتح وفقاً لأصول الفصحى نفسها، وإمكانياتها للوفاء

بالحاجات الحضارية المتجددة، فالفرق بينهما فرق في الدرجة لا في النوع، وفي اطراد نمو البنية الحية وتكيفها لمطالب الحياة)[١].

سابعاً: زيادة الارتباط والتواصل والتكامل بين تدريس اللغة العربية في المراحل قبل الجامعية والجامعية، والتنسيق مع المؤسسات الإعلامية والتربوية بهدف تحسين هذا التكامل، وتطويره باستمرار وصولاً إلى الهدف الأسمى.

ثامناً: التطوير في طرائق تدريس النحو، فإذا كان بعض الباحثين قد مالوا إلى أن مرد الضعف في اللغة إنما يرجع إلى المادة النحوية نفسها، وما فيها من شذوذ واضطراب، فإن باحثين آخرين رأوا أن طريقة التدريس هي التي يعزى إليها السبب في هذا الضعف، فإن الدكتورة بنت الشاطئ تقول في كتابها (لغتنا والحياة): (وإذ أحاول أن أتجه إلى طريق آخر يبدو لي أن عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة، وإجراءات تلقينية، وقوالب صماء نتجرعها تجرعاً بدلاً من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة، وقد تحكمت قواعد الصنعة بقوالبها الجامدة فأجهدت المعلم تلقيناً، والمتعلم حفظاً دون أن تجدي عليه شيئاً ذا بال في ذوق اللغة ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا كله إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيداً عن منطق اللغة وذوقها)[٢].

وها هو ذا الدكتور المرحوم محمد كامل حسنين عضو مجمع اللغة

---

(١) العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي مقال للسيد عبد العزيز البسام ص ٧٤ـ ٧٥ مجلة: اللغة العربية والوعي القومي.

(٢) من مقال للدكتور محمود السيد «أضواء على تدريس النحو والصرف» المشار إليه سابقاً، كتاب ندوة النحو والصرف ص ١٤.

العربية بالقاهرة يحمل طريقة تدريس النحو مسؤولية ضعف الناشئة في اللغة إذ يقول: (وكنت أحسب أن ذلك ـ أي الضعف ـ مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد، وبعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل.. على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى تلك الصعوبات فهي قديمة، أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة، وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية)[1].

تاسعاً: إعادة النظر في الطريقة والأسلوب والمنهج والتفكير، وذلك بالتركيز على الفهم العميق لبنية لغتنا العربية، ولمعنى الجملة وصياغتها وتركيبها، وهذا يعني أن تكون قواعد اللغة مرتبطة بأهداف وغايات محددة أي ما يمكن تسميته (بالنحو الوظيفي).

وبناءً عليه فإنه يمكن تحرير الشواهد والأمثلة النحوية من قيود الزمان والمكان، وذلك بإيراد الأمثلة الفصيحة من العصور كافة.

عاشراً: الاستفادة ما أمكن ذلك من معطيات علم اللغة الحديث واعتماد المنهجيات العلمية الحديثة في اللسانيات والاستفادة من التقنيات الحديثة خاصة الحاسوب في التغلب على الصعوبات.

حادي عشر: أما فيما يخص المعلم فإن التدريس الجيد يعتمد على ذكائه، وحبه لمهنته، وجودة إعداده ووعيه بأهمية رسالته وخطورتها، ومما لا شك فيه أن المعلم هو الركن الأساسي في أية محاولات جادة وشاملة

---

(١) المقال السابق.

لتجديد الأنظمة التربوية، وتجديد الأداء فيها وتحسين كفايتها، وإذا كان للمعلم هذا الأثر الكبير فإن حسن اختياره، والحرص على تأهيله لمن أنجع السبل في رفع مستوى تعليم اللغة العربية على النحو المطلوب، وتحقيق الهدف المنشود ولذلك فإنه ينبغي اصطفاء مدرسي اللغة العربية وفق أسس سليمة، وذلك على حسب مبدأ المسابقة أو المفاضلة على الصعيدين القطري والقومي وبعد مرورهم أمام لجنة خاصة منبثقة من قسم اللغة العربية بقصد سبر معارفهم، والوقوف على أدائهم والاطمئنان إلى كفايتهم، وتأهيلهم تأهيلاً تربوياً واشتراط حملهم شهادة الدبلوم في التربية وأصول التدريس وأن يخضع المدرس لدورات تدريبية مستمرة بحيث يساير طرائق التدريس الحديثة[١].

فلنسع جميعاً إلى تنمية الدراسات والبحوث اللغوية كشفاً عن خصائص العربية، وإبرازاً لمزاياها، وسعياً لجعلها وافية بمطالب تقدم المعرفة العلمية وتطور الحضارة وتيسير تعلمها بين الناشئين، وتمكينهم من إتقان لغتهم العربية الفصحى، وذلك باعتماد المنهجيات العلمية الحديثة في اللسانيات، والعناية بتيسير النحو والصرف والإملاء، واتخاذ الإعراب سبيلاً للإبانة عن مواقع الكلمات ودلالتها، وذلك مما يعنى به علم المعاني والعودة بالنحو إلى مناهله الأولى عناية باللغة الحية، وتقدير وظائفها الاجتماعية، وإمكانية تطورها للوفاء بالحاجات المتطورة.

وفي الختام نقتبس ما قاله أبو منصور الثعالبي: (إن من أحب الله أحب

(١) ينظر في هذا مقال تقدم به الدكتور عمر الدقاق إلى ندوة اللغة العربية لغير المختصين في الجامعات والمعاهد في الفترة الواقعة بين ٥ـ ٧ آذار ١٩٨٨.

رسوله المصطفى ﷺ ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها)[1] .

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

١.إحياء النحو الأستاذ إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.

٢. أعلام النحو العربي د. مهدي المخزومي.

٣. الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي اختار النصوص وقدم لها الأستاذ إبراهيم الكيلاني دمشق منشورات وزارة الثقافة ـ الجزء الأول.

٤. تطور الدرس النحوي د. حسن عون نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

٥. الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار طبع دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٧١- ١٣٧٦هـ.

٦. دراسات في علم اللغة د. كمال بشر طبع دار المعارف ـ مصر.

(١) عبد الملك بن محمد الثعالبي فقه اللغة وسر العربية ـ ط دار مكتبة الحياة ص ٢.

٧. دراسات في اللغة والنحو العربي د. حسن عون طبع معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م.

٨. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا طبع مكتبة صبيح القاهرة.

٩. شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة مطبعة السعادة مصر ١٣٨٤- ١٣٨٥هـ - ١٩٦٤- ١٩٦٥م.

١٠. شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأستراباذي تحقيق محمد نور الحسن، محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد الزفزاف الطبعة الأولى ١٣٨٥- ١٩٣٩هـ مطبعة حجازي بالقاهرة.

١١. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ابن فارس (أبو الحسين بن زكريا) تحقيق السيد أحمد صقر طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٢. طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني ١٩٧٤.

١٣. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

١٤. علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية). د. محمود فهمي حجازي طبع الكويت.

١٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران طبع دار المعارف مصر ١٩٦٢م.

١٦. فقه اللغة في الكتب العربية د. عبده الراجحي طبع دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.

١٧. فقه اللغة وسر العربية عبد الملك بن منصور الثعالبي تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي القاهرة ١٩٥٤.

١٨. الفهرست لابن النديم طبع المكتبة الرحمانية مصر ١٣٤٨هـ.

١٩. الكافية لابن الحاجب طبع دار الطباعة إيران.

٢٠. الكتاب لسيبويه وبه شرح الشواهد المسمى تحصيل عين الذهب في معدن جوهر الأدب للأعلم الشنتمري المطبعة الكبرى الأميرية بولاق الطبعة الأولى ١٣١٦هـ.

٢١. مراتب النحويين أبو الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٢. مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي - طبع مطبعة التقدم العلمية مصر.

٢٣. المنصف لابن جني شرح كتاب التصريف للمازني تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ١٣٧٣ - ١٣٧٩هـ.

٢٤. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج نشر مطبعة دار نشر الثقافة الإسكندرية.

٢٥. نزهة الألبا في طبقات الأدبا ابن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبع دار نهضة مصر.

المجلات

- مجلة بعنوان (اللغة العربية والوعي القومي) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث والدراسات العربية حزيران يونيو ١٩٨٦.

- ندوة النحو والصرف (جزءان) طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دمشق ٢٧- ٣٠ /٨/ ١٩٩٤.

* * *



قواعد الإملاء العربي
نظرات في غابرها وحاضرها

الدكتور عمر الدقاق

من المقولات المعهودة أن «الكلام هو التفكير جهراً، وأن التفكير هو التكلّم سرّاً». غير أن الكلمة المكتوبة، خلافاً للكلمة المنطوقة هي حافظة الأفكار ووعاء المشاعر ومستودع المعارف. والكتاب، تبعاً لذلك عصارة العقول وزبدة القرائح وحاضنة التراث ومرآة الحضارات. وليس بوسعنا أن نتخيّل وجود حضارة ذات شأن دون كتابة وكتاب.

في البدء كانت الكلمة، فكانت معها المعرفة. ولعلّ اختراع التصاوير ثمّ الحروف الأبجدية رموزاً للكلام وإيجاد الكتابة من أعظم ماأنجزته البشرية، إنْ لم يكن أعظمها عبر العصور.

ويتجلّى فضل الكتابة في كون الله أنزل تعاليمه على رسله لهداية البشر، وجعلها في كتب مسطورة. وهكذا أنزلت الكتب السماوية الأربعة، كما أنزلت الصحف من الألواح على الأنبياء والرسل.

ومن عظمة الإسلام أن الله تعالى ابتدأ وحيه وافتتح كلامه بآية قرآنية رائدة أرستْ فضل القراءة والكتابة في الحياة، فقال في قرآنه العظيم: «اقرأ باسم ربك..». كما قال مشيداً بأداة الكتابة: «الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم». ثم زاد تعالى ذلك تأكيداً وإجلالاً بأن أقسم بالقلم وما يسطر به من كلمات وعبارات، فقال:﴿ ن، والقلم، وما يسطرون﴾. «والإقسام لايقع منه سبحانه إلاّ بشريف ماأبدع، وكريم مااخترع، كالشمس والقمر والنجوم..»[1].وفي ذلك يقول الشاعر:

كفى قلمَ الكتّابِ عزاً ورفعةً ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ثم بيّن الله شرف الكتابة بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال[2]: «وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين». ومما قاله الرسول ﷺ في هذا الصدد[3]: «قيّدوا العلم بالكتاب». وبصدد الكلام المنطوق والكلام المكتوب قالوا قديماً[4]: «الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يُفهِم الحاضرَ فقط، والخط يُفهِم الحاضر والغائب».

على أن تقييد الكلام بالكتابة لم يتم في فجر الإسلام على النحو المنشود، إذ لم يحظَ موضوع الإملاء ورسم الحروف والكلمات من العناية والاهتمام بالقدر الذي حظيت به علوم العربية، ولاسيما النحو والصرف. ومع ذلك عُنيَ بعض أئمة السلف بهذا الموضوع وكانت لهم فيه جهود حسنة، وفي طليعتهم الخليل بن أحمد وسيبويه وابن قتيبة والأخفش وابن درستويه وابن جنّي وعبد الله بن محمد البطليوسي[5]...

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس، أحمد بن علي، المقدمة ١: ٣٥، ٤٥، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠.

(٣) صبح الأعشى ١: ٣٦.

(٤) صبح الأعشى ٣: ٢.

(٥) ورد ذلك في كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و «كتاب الكتاب» لابن درستويه، و «سر صناعة الإعراب» لابن جنّي، ثم «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» للبطليوسي .

ويكاد يجمع المؤلفون العرب قديماً على أن الكتابة العربية حديثة عهد في حياة الناس، وتتحدث مصادرهم عن أناس بعينهم نقلوا الكتابة إلى قومهم، وذلك قبيل ظهور الإسلام[١]. وقد ذكر الواقدي «أن الكتابة العربية كانت قليلة في الأوس والخزرج، فجاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون»، ثم أخذ يعددهم[٢] . فالعرب في ظلّ نظامهم القبلي وغلبة الترحل عليهم، لم يكونوا أمة كتابة، على حين كانوا أمة فصاحة، وقد برعوا في الشعر، واشتهروا بالخطابة، وكانوا ينطقون في ذلك كله بديهة وارتجالاً .

ثم كان لابد من الاعتماد على الكتابة ونشرها لتكون مواكبة للنقلة الحضارية الجديدة في الإسلام. غير أن الكتابة عهدئذ كانت في طور أوّلي، قوامه حروف بسيطة مجردة تفتقر إلى التمييز بين بعض أشكالها المتشابهة، كما تفتقر إلى علامات أو رموز لضبط الكلمة، توسلاً إلى صواب النطق بها. وهكذا، ودفعاً للالتباس والخطأ في نطق آيات القرآن كان لابد من إدخال إصلاح في الرسم يعصم المسلمين، ولاسيما الذين هم من غير العرب، من الزلل في التلاوة. وكان أن تمّت الخطوة الأولى في تطوير رسم الكلمات، في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، أو في بدء عهد الخليفة معاوية، حين ارتأى أبو الأسود الدؤلي تشكيل كلمات القرآن بوضع نقطة فوق الحرف، أو تحته، أو بين يديه، دلالة على الحركات الثلاث، وذلك بصبغ مغاير للمداد المعهود.

أما الطور الثاني المهم الذي عرفته الكتابة العربية فقد حدث في إبان العهد الأموي أيام الخليفة عبد الملك، وبفضل مبادرة من واليه الحجاج، حين

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «صبح الأعشى» ٣: ١٠– ١١.

(٢) صبح الأعشى ٣: ١١ .

خطا نصر بن عاصم خطوة أخرى واسعة في هذا المجال فقام بترتيب حروف الهجاء في زمر متجانسة متسقة «ب ت ث»، «ج ح خ»، «د ذ» إلخ ... وهو الترتيب الأشهر الذي شاع وغدا متداولاً حتى أيامنا هذه. وكان من أبرز ما صنعه نصر بن عاصم هو ما عرف يومئذ بالإعجام، أي نقط الحروف.

وحين جاء الخليل بن أحمد في مستهل عهد بني العباس عمدَ إلى إلغاء تشكيل أبي الأسود القائم على النقط، وأحلّ محله الحركات وجعلها رموزاً ملحقة بالحرف، فوضع خطاً مائلاً صغيراً مستمَداً من الألف دلالة على الفتحة فوق الحرف، كما وضع هذا الخط تحت الحرف دلالة على الكسرة، ورمَزَ للسكون بما يشبه حلقة صغيرة مغلقة. كذلك أوجد رموزاً أخرى هامة مثل الشدة والمدّة والهمزة وهمزة الوصل ... وبذلك سُدّت ثغرات كبيرة في حروف الهجاء، وبلغت الكتابة عهدئذ مستوى حسناً من التطور، ونعمت بالاستقرار عبر العصور.

وليس بوسع باحث أن يتناول أياً من معارف العرب وعلوم العربية بمعزل عن كتاب الله الكريم، فهو منطلق العلوم الركين، وفيه تتجلى ريادة حركة التدوين المباركة.

وتحتفظ لنا كتب التراث بوثيقة بالغة الأهمية، برغم عدم إمكان الجزم بصحتها، وهي الخطاب الذي بعث به النبي ﷺ إلى المقوقس، عظيم القبط في مصر، وهو خطاب وجيز يقع في اثني عشر سطراً. وأهمية هذا الخطاب علمية لغوية فضلاً عن أهميته الدينية والتاريخية، فهو كلمات مجردة من النقط والشكل. وهو مكتوب بالخط المقور أو المستدير[1]، وقد أطلق على

(١) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة ٢٧، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٤٧.

رسمه بعدئذ الخط الكوفي[١]. وبهذا الخط الكوفي كُتب المصحف الإمام، بفضل الخليفة عثمان بن عفان، وتمت بذلك كتابة المصاحف الستة[٢] الأولى في الإسلام. «وظلّت المصاحف تكتب بالخط الكوفي زهاء أربعة قرون. ثم حلّ محلها في كتابتها خط جميل رائق ابتدعه الأتابكة في الموصل وشمال الشام وكتبوا به المصاحف، وهو خط النسخ»[٣]. وخلال القرن الخامس انحسر الخط الكوفي عن كتابة المصاحف وحلّت محله الخطوط اللينة الشامية[٤].

ولا ريب في أن مبادرة أبي الأسود الدؤلي الرائدة في تشكيل كلمات المصحف الشريف تنطوي في رأينا على قدر من الجرأة. لأن صحابة الرسول والمسلمين الأوائل كانوا يتهيبون أيّ تعديل في المصحف الإمام. وبالإضافة إلى ذلك ساد أذهان العرب أن الشكل غير مستحبّ، والكاتب يُعاب على ذلك، وهو دليل سوء الظن بالقارئ. قال أبو عمرو الداني: «وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله بن عمر»[٥].

غير أن للضرورة أحكاماً، فقد خشي المسلمون بحق على القرآن الكريم من اللحن والتصحيف لخلوّه من الشكل، بنتيجة انتشار الإسلام في البلاد وتكاثر المسلمين الذين لا يحفظون الكثير من آيات التنزيل، وكان ما كان من المبادرات المعروفة في إصلاح الكتابة. ونستنتج من ذلك أن سبب

---

(١) المعروف أن بناء الكوفة تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب خلال سنتي ١٨ ـ ٢٠هـ.

(٢) أرسل الخليفة عثمان مصاحفه المعتمدة إلى كل من مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، واحتفظ لنفسه بالمصحف الأول الذي يعرف بالإمام.

(٣) قصة الكتابة العربية ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) المرجع السابق ٥٣.

(٥) صبح الأعشى، القلقشندي ٣: ١٥٦. طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨.

تأصيل الكتابة العربية والحرص على تقعيدها هو نفسه سبب نشوء النحو العربي والرغبة في وضع قواعد لكلام العرب. وفي كلا الحالين كان المنطلق واحداً وهو الغيرة على القرآن الكريم والحرص على سلامته من التحريف والتصحيف والنطق الخاطئ.

وحين بلغت الكتابة هذا المدى من الصحة والسلامة انعطف الكَتَبَة إلى تحسين الخط العربي والتفنن في أنماطه، والاهتمام بجمالياته، وكانت عنايتهم بتجويد كتابة المصاحف بالغة أوجها[١]، وامتدت إلى الزخرفة العمرانية في المساجد والدور والقصور.

وحين تم رسم المصحف على هذا النحو من الصحة والجمال بدا لعلماء العربية عهدئذ أن طرق الكتابة وقواعد الإملاء السائدة قد استقرت، فلم يبد بعد ذلك ما يستدعي على نحو جاد وملحّ تعديل رسم الكلمات وتطويرها. وظلت قضايا عديدة لم تحسم مثل قضية كتابة الهمزة والألف المقصورة والممدودة وسواها. والأقدمون أنفسهم لم يتلاقوا ويتفقوا على مذهب أو ما يشبه المذهب، ففي رأي سيبويه أن الهمزة المتوسطة المضمومة بعد كسر تكتب واواً، باعتبار حركتها، ومذهب الأخفش أنها تكتب ياء باعتبار حركة ما قبلها[٢]، ولعلّ المراد من ذلك كلمات مثل مئون ويستهزئون..

---

(١) نبغ العديدون من الخطاطين في الدولة العباسية، في مقدمتهم الوزير أبو علي محمد بن مقلة في بغداد في القرن الثالث للهجرة «٣٢٨هـ» وأخوه عبد الله اللذان برعا في خط النسخ وكتابة المصاحف النفيسة، وبعد قرن من الزمان تطور الخط العربي وازداد جمالاً بفضل أبي الحسن المعروف بابن البوّاب «٤١٣هـ». وفي عهد الدولة العثمانية بلغ الخط العربي ذروته من الإتقان، ففي القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي – نبغ في الخط العربي عثمان الحافظ المشهور، كاتب المصحف الشريف، وإليه انتهت جودة الخط إلى أرفع مستوى.

(٢) دليل الكاتب، حسن شهاب أحد أساتذة الأزهر، ٨٦ ـ ٨٧، مصر ١٩٠٩.

وكما هو معهود كان لأهل الحجاز في بعض هذه القضايا مذهب، ولأهل نجد مذهب آخر. كذلك كانت لعلماء البصرة والكوفة آراء متباينة على هذا الصعيد. وقد سرى هذا الوضع المضطرب إلى كلمات بعينها في الرسم القرآني. وفي ذلك يقول عثمان بن جنّي[١]: «اعلمْ أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة. وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء مرة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف. ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال. وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو، ووجد فيها أيضاً (وإنْ من شيأ إلاّ يسبح بحمده) بالألف بعد الياء ..»، وذكر صاحب صبح الأعشى أنه «حذفت الألف في بعض المصاحف من هاروت وماروت وهامان وقارون فكتبت على هذه الصورة: هروت ومروت وقرون ..»[٢].

كذلك نبّه عبد الله البطليوسي صاحب كتاب «الاقتضاب» على ذلك فقال[٣]: «اضطربت آراء الكتّاب والنحويين في الهجاء، ولم يلتزموا فيه القياس، فزادوا في مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو وألف مائة ..» .

وقد نقل القلقشندي جملة من هذه الآراء المختلفة، ومن هذا القبيل قوله[٤]: «تزاد الألف بعد الميم في مائة فرقاً بينها وبين منه، ثم اختلف في المثنى منه فقيل: لا يزاد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس، ولا لبس في التثنية ..». وذكر ابن درستويه[٥] أن القدماء كتبوها (مأة). وفي ذلك يقول

(١) سر صناعة الإعراب ١: ١١٧.

(٢) صبح الأعشى ٣: ١٨٥.

(٣) انظر: الكتابة العربية، محمد شوقي أمين، ٢٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٤) صبح الأعشى، ٣: ١٧٥ دار الكتب الوطنية، القاهرة ١٩٣٨.

(٥) انظر «كتاب الكتاب»، بعناية لويس شيخو ٤٧، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٧.

أيضاً أثير الدين أبو حيان[١]: «وكثيراً ما أكتب أنا (مئة) بغير ألف، كما تكتب فئة لأن كتابة مائة بالألف خارج عن القياس». وقد أخذ بهذا الرأي كثير من اللغويين المعاصرين ومنهم الشيخ مصطفى الغلاييني[٢] ..

كل ذلك يعني استمرار الخلاف بين الأقدمين في موضوع قواعد الإملاء كما هو الحال في سائر علوم العربية.

ومن الإنصاف القول: إن الباحثين المعاصرين ولا سيما المجامع اللغوية والمؤسسات التعليمية فاقوا الأقدمين باهتمامهم بقواعد الإملاء، يحفزهم إلى ذلك حب عارم للعربية وغيرة كبرى على مستقبلها. فمنهم من تطرف واقترح حلولاً جذرية باترة مثل عبد العزيز فهمي داعية الكتابة بالحروف اللاتينية، ومنهم من اعتدل مثل علي الجارم الذي اقترح مشروعاً آخر قوامه إلصاق الحركات بجسم الحروف. وثمة آخرون كانت لبعضهم آراء سديدة وقيمة في هذا الصدد، منهم محمد شوقي أمين[٣] وحسن شهاب[٤] وعبد السلام محمد هارون[٥] ومصطفى الغلاييني[٦] وعمر يحيى وأسعد طلس ولطفي الصقال[٧] وعبد العليم إبراهيم محمد[٨]، فضلاً عن كتب كثيرة

(١) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

(٢) انظر: جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٣) كتابه «الكتابة العربية»، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٤) كتابه «دليل الكاتب»، مصر ١٩٠٩.

(٥) كتابه «قواعد الإملاء»، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦.

(٦) كتابه «جامع الدروس العربية»، بيروت ١٩٣٩.

(٧) كتابهم «تسهيل الإملاء»، حلب ١٩٣٨.

(٨) بحثه المخطوط الذي قدمه لمؤتمر المعلمين العرب التاسع الذي انعقد في الخرطوم في ١٩– ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٧٦ وعنوانه «توحيد الرسم الإملائي».

خصّت هذا الموضوع بعنايتها، وهي في معظمها معدّة للتعليم في المدارس[1].

وكما كانت كتابة الهمزة ورسم الألف، والزيادة أو الحذف في بعض الحروف، شغل القدماء، كان ذلك أيضاً شغل الباحثين المعاصرين. وتعدّ جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ذروة هذا الاهتمام، فقد تمخض مؤتمره الذي انعقد في عام ١٩٤٣ ومن بعده المؤتمر الآخر عام ١٩٦٠ عن حصيلة ثرية من البحوث والدراسات والمناقشات والمداولات ثم التوصيات في هذا الصدد. وقد أفاد جيل المتعلمين من ذلك فائدة حسنة. ومع ذلك مازالت ثمة اختلافات كثيرة في رسم الحروف بين أقطار المشرق وأقطار المغرب، بل إن ذلك ملموس بين بلاد المشرق نفسها، وأيضاً داخل البلد الواحد. فإذا استقرينا آراء عدد وافر من المعلمين والمؤلفين وأساتذة الجامعات وأيضاً من أعضاء المجامع اللغوية في صدد كتابة كلمات مثل: يقرؤون، رؤوس، رئي، يعبؤون، سموءل، لؤلئي، ذرا، ييأس، جيئة، شيء، لجاءت أجوبتهم متباينة ورسوم كلماتهم مختلفة، وهم معذورون في ذلك إلى حد بعيد، مادام اللغويون القدامى وأصحاب المعاجم أنفسهم[2] يختلفون في هذا الصدد، كما أنهم معذورون أيضاً في ظلّ غياب القرار اللغوي الحاسم الذي يناط عادة بالمجامع اللغوية العربية.

وإذا كانت هذه حال الشريحة المستنيرة، فماذا يكون حال التلاميذ

---

(١) من هذه الكتب التعليمية أيضاً في قواعد الإملاء ماألفه محمد هاشم دويدري ووجيهة السطل، ثم عبد القادر مايو.. إلخ .

(٢) ثمة كلمات مثل: ضحى، ذرا وردت في القاموس المحيط بالألف، وفي المصباح المنير ومختار الصحاح والمعجم الوسيط بالياء.

والطلاب وناشئة المتعلمين وسائر المقبلين على تعلم العربية في بلدان العالم ومعاهده من اليابان والصين إلى أوربة وأميركا.

وأكثر ما يقع الإعضال في رسم الهمزة ورسم الألف، فلنقصر الكلام عليهما.

الهمزة:

الهمزة موضوع مهم في علوم العربية[١]، سواء في اللغة أو النحو أو الإملاء. وتشكل في كثير من الأحوال معضلة كبرى ولا سيما في مجال الإملاء، كما حار في أمرها القدماء والمعاصرون[٢]، ولعلّ ابن درستويه أبرز من تناولوا الهمزة من وجهة الرسم والإملاء قديماً في كتابه الوجيز[٣] «كتاب الكتّاب».

ورغبة في التبسيط والتيسير في رسم الهمزة يجدر استبعاد قضية الوصل والفصل بين الحروف، لأنها تتحكم في القاعدة الأصلية وتشطرها شطرين حين تكتب مثلاً «يهزءون ويعبئون»، فنطق الهمزة هنا واحد وحالتها مشتركة، واختلاف الرسم حادث بسبب طبيعة رسم الحرف الواقع قبل الهمزة والذي بعدها من حيث اتصاله أو عدمه بكل من الحرفين لدى وقوع الهمزة بينهما، وليس لهذا الاختلاف مسوغ.

وسنحاول حلّ جوانب من إعضال الهمزة المتوسطة بقدر من الأسس

---

(١) خصّ العرب قديماً الهمزة بكتب عديدة تعرف بكتب الهمز، وممن ألفوا فيها قطرب «٢٠٦هـ» وأبو زيد الأنصاري «٢١٥هـ»، وكتاباهما في الكلمات المهموزة.

(٢) حاد الخليل عن الهمزة، ولم يشأ البدء بها في معجمه «العين» لعدم وجود صورة حرف لها.

(٣) «كتاب الكتاب» لابن درستويه «٣٤٦هـ» صدر عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ بعناية الأب لويس شيخو.

والقاعدات، وبمنأى عن التفريعات والاستثناءات جهد المستطاع، وذلك وفق مايلي:

أ.)– الهمزة المتوسطة تكتب بالحرف الذي تسهّل إليه، مثل: ثأر، شؤم، ذئب، مؤاخذة، مئة، إئت، مؤق. مقابل: ثار، شوم، ذيب، مواخذة، مية، إيت، موق...

ب.)– الهمزة المضمومة تكتب فوق الحرف المجانس لها، أي على الواو إطلاقاً «دون المفاضلة بين حركتها وحركة ما قبلها، ودون اعتبار لاتصال الحرف أو انفصاله بما قبلها وما بعدها» مثل: شؤون، يعبؤون، رؤوف، مسؤول، يقرؤون، جاؤوا، رداؤه، مِؤون، ضوؤه، شيؤه ..، وذلك في مقابل: شئون، يعبئون أو يعبأون، رءوف، مسئول، يقرءون أو يقرأون، جاءوا، مئون، ضوءه، شيئه..

ج.)– الهمزة المفتوحة والمسبوقة بسكون، تكتب على حسب الحرف المجانس لها، أي فوق الألف إطلاقاً (دون النظر إلى جملة من القاعدات الفرعية). فوفقاً للقاعدة الأساسية كتبت الهمزة المسبوقة بحرف ساكن: يسأل، ثم المسبوقة بألف ساكنة: يتساءل، ثم المسبوقة بواو ساكنة: توءم، ثم المسبوقة بياء ساكنة: بيئة[1] والرأي أنها جميعاً يمكن أن تكتب باطراد: يسأل، مسألة، نشأة، مرأة، ينأى، ظمأى.

وكذلك قراأة، يتساأل، إيماأة، وعاأان، إنشاأات.

وبوسعنا أن نكتب أيضاً هكذا: توأم، سموأل، سوأة، ثم مروأة، نبوأة، مملوأة.

---

(١) اعتمد المجمع اللغوي في القاهرة هذه القاعدات الفرعية في مؤتمره سنة ١٩٦٠، وقد أخذت بها أكثر الكتب التعليمية.

وأيضاً: مهترأة، مستهزأة، ثم ييأس، ثم خطيأة، خُطيأة، بيأة، مشيأة، دريأة، مليأة، جريأة..إلخ .

د.)– الهمزة المفتوحة «المرسومة على ألف» إذا وليها حرف منطوق من جنسها نرى أن تضاف إليها ألف أخرى بعدها، دون أن تدغم، فنكتب مايلي: مأال، قرأان، مرأاة، ظمأان، ملجأان، مكافأات، إجراأات. وكذلك: ينشأان، يقرأان، يلجأان، يملأان، منشأات. وذلك محافظة على صورة الكلمات الأولى، وبما يتفق مع ما ارتضاه أيضاً بعض القدماء. على حين تعمد قواعد الإملاء السائدة إلى التفريق بين الفعل والاسم، أي بين ألف المثنى: ملجآن، وألف الاثنين: يلجأان، برغم أن بنية الحروف والحركات واحدة.

الألف:

تحفل لغة العرب بالكلمات المنتهية بألف، ولها صورتان في الكتابة: ألف وياء، (ياء غير منقوطة أو ألف مقصورة). وللقدماء والمعاصرين في هذا الصدد بحوث كثيرة واجتهادات وفيرة. فعلى صعيد الأفعال الثلاثية فحسب لدينا مثلاً: دعا وسعى، ومن الأسماء عصا وفتى. يضاف إلى ذلك جموع مثل قنا، وذرا، ونوى، ومُنى.. كما أن كتابة الفعل يحيا غير كتابة الاسم يحيى..

ومعلوم أن النطق لا مجال له هنا في تحديد الرسم فهو واحد، ولكن المعوّل عليه هو معرفة أصل الألف في اللغة أو التصريف، أي أن علينا، قبل أن نكتب الكلمة، أن نتوصل إلى أن ألف عصا أصلها واو وأن مثناها عصوان، كذلك أن ندرك سلفاً أن أصل ألف فتى ياء لأن مثناها فَتيان. وهذا حال ذرا لأن مفردها ذروة، ومنى لأن مفردها مُنْية. وواضح أن هذا باب عسير على المختصين بالعربية فما بالنا لدى الناشئ والمتعلّم.

وإنه من دواعي الارتيارح والرضى«أن جمهرة من أعلام العربية

الأقدمين قد ارتضوا كتابة الألف اللينة ألفاً بصورة مطلقة دون مراعاة أصلها في الكلمة، أو التفرقة بين كونها ثالثة أو غير ثالثة، وبين كونها في اسم أو فعل أو حرف»[١] . وحقٌ ما ذهب إليه محمد شوقي أمين حين قال محبذاً هذا المذهب: «وكان ارتضاؤهم ذلك تعويلاً على أن الخط صورة النطق. وليس على الخط أن يتعدى مهمة التصوير إلى مهمة الدلالة على الأصول الصرفية للصيغ في مساق الكلام»[٢].

فإذا كان الأمر كذلك على هذا النحو من التيسير لدى الأجداد، ومعه العسر في الاهتداء إلى الأصل الواوي أو اليائي في كل كلمة بعينها، فلماذا لا نأخذ بالأيسر، ولا سيما أنه يتفق مع الأساس الذي وجدت من أجله الكتابة، وهو أن تطابق صورة المكتوب الكلامَ المنطوق.

وعلى ذلك ما الذي يمنع أن تتم كتابة الكلمات المنتهية بألف ملفوظة، ألفاً على الإطلاق. وذلك دون تمييز بين ثلاثي وغيره، وبين واوي ويائي، وبين اسم وفعل.. وبين عربي أصيل وأعجمي دخيل...

وثمة واقع مهم آخر يرجح هذا المنحى وهو أن حرف الألف المكتوب هو الأولى في تصوير الصوت المنطوق وليس الياء، إذ لكل واحد منهما موقعه الخاص به الذي وضع له أصلاً، ولكل صوتٍ منطوق حرف مكتوب. ومما يسبب اللبس ويزيد الأمر اضطراباً أن جلّ الكاتبين وقدراً كبيراً من الكتب والمنشورات، ولا سيما في مصر لا تميز في الكتابة بين الألف المقصورة والياء. فاسم العلم «علي» يكتب مثل حرف الجر «على» ، ويغدو الأمر أكثر صعوبة حين لا تتبين حقيقة الكلمة المكتوبة من السياق بالسهولة

---

(١) الكتابة العربية، محمد شوقي أمين ٢٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٢) الكتابة العربية ٢٥.

المعهودة مثل: بهَدْي وبهُدَى، وذلك تبعاً لغياب نقط الياء. وثمة مولَّف نفيس للفيلسوف الفارابي اسمه«كتاب الموسيقى الكبير» كما هو متوّج في عنوانه البارز، وقد حرصت على معرفة حقيقية هذا العنوان من ذوي العلم وأهل الاختصاص للوصول إلى النطق المراد لكلمة الموسيقى، فتعددت الآراء، ولم أفز بجواب شافٍ.

ويبدو لنا في ضوء ماتقدم أن المذهب الواحد أو الموحد في رسم الألفات المنطوقة يخلصنا من قاعدات واستثناءات تنطوي على قدر من الرهق والإرباك والاضطراب. ونحن نلمس تخبّط الكاتبين في ذلك لقصور معارفهم اللغوية والإملائية في هذا الصدد، ولأن علماء اللغة والصرف أنفسهم مختلفون في هذا الشأن. وهكذا غدت الكتابة في أحيان كثيرة ذات طابع مزاجي وتفتقر إلى قدر كبير من الجدّ والالتزام.

والرأي أن نكتب الكلمات المعنية جميعاً على هذا النسق: فتا، هدا، نها، دجا، عُلا، ضحا، ربا، ذرا، منا. ومثلها: عيسا، يحيا، نجوا، حبلا، سلوا، سلما، ومعها تكتب أيضاً: مرتضا، مصطفا، مستشفا ومثلها: موسيقا، بخارا، ألمانيا، سوريا..

ومن منطلق الحرص على الاطراد وتوحيد الرسم قد يكون افتراضنا الآخر أكثر تقبلاً في النفوس بداعي الألفة، وهو أن تكتب الكلمات جميعاً بألف مقصورة، ومنها الثلاثية بطبيعة الحال، وإن كان هذا المذهب أقلّ منطقية، لمغايرته مبدأ تطابق المنطوق والمكتوب.

الحذف والإضافة، في بعض الحروف:

أسرف الأجداد، وفيهم كَتَبة الوحي، في اختصار الكلام المكتوب. ولعلّ ذلك كان منهم اقتصاداً للجهد والوقت. وكأنهم لم يكتفوا بتغييب الحروف الصائته من الرسم الإملائي (الذي يقتصر على كتابة الحروف الصامتة

وحدها ويستعيض عن ذلك بالحركات الثلاث بدلاً منها). وكان أكثر ما يكون الحذف لديهم عندما يتكرر الحرف في الكلمة، فيحذفونه عند الكتابة. وقد استلزم هذا الاختصار، المخل أحياناً، مبادرة حسنة بعدئذ، حين عمد الخليل الفراهيدي إلى تلافي ماقد ينجم عن هذا المنحى من قصور أو لبس في النطق، فأوجد رسم (شدة) فوق الحرف الباقي دلالة على الحرف الآخر أي المكرر الذي تم حذفه، رامزاً إلى ذلك بحرف (ش) مصغر: (سـ) أو رأس ش.

وثمة سبب آخر لتغييب الحرف المكرر عند الكَتبة الأقدمين مرده إلى اعتبارات جمالية تتصل بحسن الخط لا بطريقة الرسم والإملاء، إذ إن تكرار الحرف في الكلمة المكتوبة غير مستحب عندهم. وفي ذلك يقول ابن درستويه[١] : «اعلم أن أكثر ما يحذف في الكتاب الحروف المكررة ، كراهة اجتماع الأشباه في الخط...».

أ): ويرى ابن درستويه أيضاً «أن أكثر حروف اللين حذفاً الألف لضعفها، وأنها أكثر في الكلام من غيرها»[٢] . وقد تدارك الأقدمون هذا الأمر بعدئذ بوضع المدّات على الحروف المعنية تيسيراً للقراء، وهذا كثير في كتابة المصاحف[٣] . ويبدو أن تأثير هذه المصاحف كان الأقوى في هذا الصدد، إذ درج الكاتبون عبر العصور على هذا المنحى. ودليل ذلك كلمات عديدة تتصل بالدين والعقيدة والتراث سرت من المصحف إلى أقلام الكاتبين مثل: الله، الإله، بسم الله، الرحمن، السموات، إسمعيل، إبراهيم، طه، هرون، داود..

ثم توسعوا في هذا القبيل بكلمات أخرى مشابهة، فحذفوا الألف من ها التنبيه في هذا، وهذان، وهؤلاء، وهأنذا، وهأنتم..

---

(١) «كتاب الكتّاب» ٣٤.

(٢) «كتاب الكتّاب» ٣٤.

(٣) من الأمثلة البارزة على ذلك سورة «الشمس».

كذلك حذفوا الألف من ابن، وابنة بشروط عديدة، وشبيه بهذا حذف ألف أداة النداء: يأيها، وحذف الألف المنطوقة في «لكن»..

وإذا كان الزائد أخا الناقص، كما يقال، فإن نقص الألف من كلمة (إله، أو إلهة) قد أحدث مشكلة نطقية تماثل المشكلة التي أحدثتها زيادة الألف على كلمة (مائة). ولطالما حدث الخلط بين كلمة (إلهة) المفردة وكلمة (آلهة) المجموعة، إذ دأب الناس على أن يلفظوا الأولى على نحو خاطئ بإضافة ألف بعد همزة القطع كأن يقولوا: (فينوس آلهة الجمال..). ولا يستقيم الأمر بطبيعة الحال إلا باعتماد مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق، أي إثبات الألف للكلمة في صيغة الإفراد بحيث تكون لها صورتها وفقاً لما تنطق به في الكلام (إلاهة)، على حين لكلمة الجمع صورتها المغايرة (آلهة).

ب): أما الواو فأمرها أهون وتقتصر على حذف الواو الثانية من «داوود»، وقد وردت في المصاحف «داود». وتعليل اللغويين قديماً لذلك هو كراهة التكرار. وقد سرى ذلك على هذا الغرار إلى كلمة طاووس وكلمة أو كلمتين أخريين في العربية، واضعين لها قاعدة خاصة.

كل هذه الكلمات تغاير في رسمها مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق. والقياس إثبات الألف أو الواو في الكلمات المذكورة. وهذا ماسبق أن آثره لفيف من العلماء والدارسين، في طليعتهم طه حسين، حين ارتأى إثبات الألف إطلاقاً وابتدأ بكتابة اسمه «طاها».

وأكثر الناس اليوم يكتبون بعضاً من الكلمات السابقة بسليقة سليمة وحس منطقي، مثل السماوات، إسماعيل، هارون، داوود. وبعضهم بدأ يكتب على هذه الصورة: هاذا، لاكن..

كذلك أحسن بعضهم في كتابة «أن، لا» مفصولتين لا مدغمتين: (أرى

أن لا تغامر..)، وفي هذا أيضاً دفع للالتباس مع أداة الحصر أو الاستثناء «إلا»..

والأصوب ترك الحذف في كل ماتقدم باستثناء كلمتين هما «الله»، «باسم». والأخيرة تقتصر على وجودها مركبة فقط في قولنا «بسم الله الرحمن الرحيم» لقدسيتها[١].

ج): وفي مقابل الحذف ثمة كلمات أقل عدداً درج الكاتبون على إلحاق واو زائدة بها غير منطوقة، مثل: عمرو تمييزاً لها عن عمر، وأولو وأولات الملحقين بالجمع السالم.. ثم أولاء، وذلك بقصد تمييزها عن الاسم الموصول المشابه لها في الرسم وهو الاسم الموصول «الألى» بمعنى الذين.

ولعل أبرز أمثلة الإضافة زيادة ألف في رسم العدد: مائة تمييزاً لها قديماً عن «منه»[٢] قبل مرحلة إصلاح الكتابة ونقطها..

إن حجة إضافة حرف غير منطوق للتفريق بين كلمة وكلمة أخرى تشبهها أو تماثلها في الكتابة حجة واهية وغير مقنعة، إذ التشابه والتماثل واقعان في كلام كثير في العربية، وهو معهود في سائر اللغات، وإذا كان له مسوغ قديماً في كلمتي: مائة وعمرو مثلاً فلماذا نتمسك بهذا الرسم مع وجود الشكل؟. ولماذا لم يتم التفريق في الرسم بين أسماء أخرى تنطوي أيضاً على اللبس، مثل عَبيد وعُبيد، أو حَسَن وحُسْن، أو عَقيل وعُقَيل... أليس الشكل هو الذي يميز بينها؟ وأي مسوّغ أصلاً لحذف الألف المنطوقة في كلمة (لكن). ثم هل كراهة توالي واوين في كلمة أو كليمات مثل داوود، وطاووس أمر عسير يثقل قلم كاتبه ويحتاج إلى قاعدة بحالها؟.

---

(١) كثير من الباحثين قديماً وحديثاً لم يشترطوا حذف الألف في غير هذا الموقع، في مثل: باسم الوطن، باسم الحاضرين..

(٢) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

وواقع الأمر أنه نجمت مشكلة أسوأ من حيث كان القصد حل مشكلة سالفة. فكثير من الناس اليوم يلفظون الواو في عمرو، ومعظمهم، وهم معذورون في ذلك، لايعرفون قاعدتها الخاصة بها. أما «مائة» التي مازال الكثيرون يكتبونها بالألف بحكم العادة أو عن جهل في معظم الأحيان، فالبلاء فيها أعظم، إذ راحوا ينطقون الألف بقولهم: «ماءة وماءتان وسبعماءة..» وهذا نطق قبيح يتكرر كل يوم على الألسنة. ومعلوم أن القدماء حصروا الزيادة في المئة المفردة وحدها لوقوع اللبس فيها، وتركوا القاعدة تسري عليها مثناة ومركبة مع آحاد الأعداد: مئتان، سبعمئة، مئات..

ورأينا أن تشطب صورة «مائة» شطباً باتاً من كتاباتنا، وأن تكتب كأمثالها: فئة ورئة..

والأفضل، وفق ما ارتأيناه في تضاعيف هذا البحث، أن تكتب الكلمة على حسب نطقها أي أن تكتب «مأة». وقد ذكر الغلاييني أنه «من الفضلاء من يكتبها بياء بلا ألف (مئة)، ومنهم من يكتبها بألف بلا ياء هكذا: (مأة)»[1].وما دامت الأوجه المتعددة مستعملة ومقبولة لدى بعضهم، فلماذا لا نؤثر الرسم الأكثر اطراداً والمطابق لطبيعة النطق؟.

ومجمل القول:

إن الهدف الأصلي لقواعد الرسم الإملائي، إنما هو تصوير اللفظ المنطوق تصويراً خطياً دقيقاً يعصم القارئ من الخطأ في النطق، أو الانحراف به عن وجهه الصحيح، وييسر له أن يعيد الكلمة صحيحة كما نطق بها قبل كتابتها. والأصل الذي ينبغي اعتماده أن تكتب الكلمات على حسب النطق بها، فلا يحذف حرف ينطق به، ولا يكتب حرف لا ينطق به[2].

(١) جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٢) من السابقين إلى هذا الرأي في العصر الحديث الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه «جامع الدروس العربية» ثم علي الجارم في مشروع تيسير الكتابة العربية الذي قدمه إلى المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٤٣.

ومن الأهداف التربوية والاجتماعية والقومية أن لا نثقل على المتعلمين، صغاراً وكباراً، مواطنين وأجانب، بركام من القاعدات الكثيرة التي تتناقض أحياناً فيما بينها، أو يتداخل بعضها في بعض، أو تتعدد فيها التفريعات والاستثناءات. وعلينا أن نحد من إباحة الشذوذ في كلمات بعينها بسبب غياب القياس عنها.

* * *

وبين يديّ جملة من المقترحات لا تعدو أن تكون وجهة نظر تتركز فيما يلي:

١– إن قواعد الإملاء المنشودة ينبغي أن توضع بمعزل عن الرسم القرآني، وهو رسم له شخصيته المتفردة وقداسته الدينية، وهالته التاريخية. ومع ذلك لا يقاس عليه في رأي المتقدمين والمتأخرين. ومعلوم أيضاً أن القرآن نزل على النبي ﷺ منطوقاً، لا مكتوباً. والذين دونوا آياته بشر، وفي بدء تطور الكتابة العربية. والمصحف نفسه من حيث طريقة الكتابة ونوع الخط تعرّض للتحسين خلال أطوار عديدة وأعوام مديدة، كما أن رسم كلماته وحروفه الراهنة ليست هي ماكانت عليه في نسخة المصحف الإمام.

٢– أن يراعى في محاولة التطوير المنشود لقواعد الإملاء العربية مبدأ المحافظة ـ جهد المستطاع ـ على صورة الكلمة في حالتها الأصلية، أي المفردة، وذلك بقصد المزيد من التبسيط والتيسير على صغار المتعلمين، حتى لا تهتز لديهم صورة الكلمة الأولى في حال طروء زيادة أو نقصان عليها (كأن نكتب: يقرأ، يقرأون. أو ملجأ، ملجأان. أوعبء، عبءان) وذلك على غرار «اللواحق» التي تضاف إلى الكلمات اللاتينية والأوربية suffixe.

٣– إن الأسس الوطيدة: القياس والشمول والاطراد، لابد أن تكون

رائدنا الحقيقي في مهمة التطوير والإصلاح المنشودة. ونحن نلاحظ أن ثمة قاعدات مقبولة في الذهن، ولكنها لا تلبث أن تُخترق باستثناء أو شذوذ أو نحوهما، بحيث تكاد القاعدة تفرغ من مضمونها وتفقد شموليتها.

٤- كذلك لابد من الحد من ظاهرة جواز الوجهين دون مسوّغ حقيقي، وكأننا نحرص على إرضاء هؤلاء وأولئك، فنقبل مثلاً كتابة يعبؤون ويعبئون، وذرا وذرى، وموسيقا وموسيقى.. ففي ازدواجية المعايير شر مستطير.

٥- ينبغي أن نوطن أنفسنا على مغايرة ماألفناه، وهذا أمر يشق على النفوس، والعصفور السجين قد يألف قيده ويؤثر البقاء في القفص إذا طال عليه الأمد داخله، ومن قبلُ أعرب عن ذلك المتنبي بأنه لو قدّر له أن يفارق شيبه لبكاه أسى وتوجعاً. فهل يتقبل سدنة اللغة عندنا أن يكتبوا كلمات ما على حسب نطقها: هاذا، لاكنّ، فتا، بيأة...؟ خلافاً لما تعودوا وألفوا..

إن اللغة العربية لغة كتاب مقدس ودين حنيف، ولغة أذان وصلاة، كما أنها وعاء حضارة عريقة وتراث حافل. وهي أيضاً الرابطة القومية لأمة عربية ناهضة تسعى إلى إيجاد مكانها اللائق في خضم هذا العالم المزدحم وهذا العصر المتفجر. وعلى أمتنا أن تدخل القرن الحادي والعشرين بثبات، في غمار التحديات الكبرى التي تواجهها وتعوق انطلاقها. وإن أول ما ينبغي عمله في حدود اختصاصنا ونطاق اهتمامنا السعي الجاد والحثيث لتطوير نحونا وصرفنا وقواعد إملائنا، بحيث يتاح لأبنائنا ولسائر الراغبين في تعلم لغتنا مزيد من اليسر في فهم معانيها وإدراك أسرارها وتذوق جمالها.

إن جهود المجامع اللغوية في هذا الصدد قيمة ومحمودة، ولا سيما ما

كان منها في أول الأربعينات وبدء الستينيات[١]. غير أن جوانب من قضايا الإملاء الملحة لم تستطع حسمها فبقيت معلقة وأرجئ بتها. كما أن توصيات أخرى ذات شأن لم يتح لها أن تنفذ وتتداول في الأوساط التعليمية.

إن المجامع اللغوية هي المؤسسة الوحيدة المؤهلة لهذه المهمة، مهمة الحفاظ على اللغة وتطوير أدائها. والمراد منها اليوم في حدود طاقتها:

أ)– المزيد من المبادرات في هذا الصدد، واستئناف ما انقطع من جهود الباحثين والدارسين من ذوي الاختصاص.

ب)– إعادة النظر في توصيات المؤتمرات السابقة ورفدها بالتوصيات اللاحقة وما استجد من آراء وأفكار بعد ذلك.

ج)– ضرورة التحلي بقدر أكبر من الجرأة، والدأب على ضرورة التغيير، فالتراث جليل ولكنه غير مقدس، وجهود السلف محمودة ولكنها ليست نهائية. كما أنه ليس على الأحفاد أن يدوروا كثيراً في فلك الأجداد.

د) – إن الحلول كما تعودنا لا تسير في طرق معبدة، فالدراسات والتوصيات بين جدران مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وسواهما لاتكفي إذا لم يقترن العمل بالنظر. وهذا يتطلب توصيات مدروسة يتبناها مؤتمر المجامع اللغوية، ويتبعها جهد حثيث مع الجهات الرسمية ولا سيما الأوساط التعليمية، لتخرج المقترحات إلى النور، وتغدو في مواقع التنفيذ والتطبيق في الكتب الدراسية وسائر الدوريات والمنشورات.

وبعد، فإن كثيراً مما ورد في هذه الصفحات لا يعد جديداً، ومعظمه

---

(١) مؤتمرات، مجمع القاهرة اللغوي عام ١٩٤٣ ثم ١٩٦٠.

مستمد من كتب السالفين ودراسات المعاصرين، وقد سقت ذلك في إطار ممارسة مديدة للعربية وآدابها في مراحل تعليمية متعددة تتيح لي أن أدلي بدلو بين الدلاء وأزج برأي في خضم الآراء. وإذا لم يكن لي فيما أوردت سوى التذكير والتنبيه فهذا حسبي. وإني أعمل بما أعتقد أنه ذو جدوى، مهتدياً بقول القائل: «قل كلمتك وامشِ..».

وعسى ألا تكون كلماتي وكلمات أمثالي صيحة في واد أو تذهب أدراج الرياح. والله الموفق.



إعادة صوغ قواعد العربية

يوسف الصيداوي

أيها السيدات والسادة. السلام عليكم.

إنّ ما أورثنا آباؤنا من كنوز العلم والمعرفة لعظيم. وأقول عن اطمئنان، إنّ علم النحو ـ وإنْ كان أحدَها ـ قد لعمري أحاط بها. وما أنت بالمغالي ولا المتزيّد إن قلتَ: ليس عند الأمة عِلمٌ، يمثّل معارفها وحضارتها، ويعبّر عنهما، كما يمثّلهما ويعبّر عنهما علم النحو.

فمن أيِّ نواحيه تأمّلتَه، رأيتَه وعاءً لدين الأمة، وشِعرِها ونثرِها وأمثالِها، وتفلسفِها ومَنطقيتها، وتوزّعِها السُّكانيّ، واختلاطِ الشعوب فيها، وتربيةِ أبنائِها وتعليمِهم، ومجالسِ عِلْيَتِها ومناظراتِ علمائها، وبلاطِ خلفائها وقصور عمّالِها.

وليت شعري، ما الجانب الذي لم يمثّله علم النحو؟ .

فسمِّه إنْ شئت، مرآة حضارةِ أمّة، ولا تخشَ لوماً ولا تثريباً. ومن قال: هذه دعوى عريضةٌ، قلنا له: دونك البرهان:

أما دين هذه الأمة: فقد أجمع المؤرخون، على أنّ النحو إنما نشأ، لحفظه من جاهل لا يعرف قوانين العربية.

ويكفي من ذلك أن نذكّر بقصة الأعرابي الذي قدم المدينة، فأقرأه

رجلٌ: ﴿ أنّ الله بريء من المشركين ورسولِه ﴾ بالكسر، فقال: [إنْ يكن الله بريءَ من رسوله، فأنا أبرأ منه] . وأنّ عُمَرَ أَمَرَ بعدَها، ألاّ يُقرِئَ القرآنَ إلاّ عالِمٌ بالعربية. وحَسبُكَ بعِلْمٍ هو الحَكَمُ في القرآن والدين.

ومن هنا أنْ قال أبو عمرِو بنُ العلاء، أيامَ كانوا يُطلقون مصطلح [العربية] على النحو: [لَعِلْمُ العربية هو الدين بعينه] . فبلغ ذلك شيخَ الإسلام عبد الله بن المبارك فقال: [صَدَق] .

وأما التفلسف والمَنطَقَة : فيكفيك من تمثيل النحو لهما، أن يكون مِن علمائه الأوائل متفلسفون. ففي الفهرست، قال ثعلب عن الفرّاء :[كان يتفلسف في تأليفاته ومصنَّفاته، حتى يَسلُك في ألفاظه كلامَ الفلاسفة] .

كان هذا والنحوُ لا يزال في الأكمام، فإذا وصلتَ إلى أواخر القرن الرابع وجدت نحاةً كعليّ بن عيسى الرمّانيّ، قد ربطوا النحو بالمنطق والفلسفة، فبالغوا في الربط حتى عيبوا به، وأفرطوا حتى أُنكِر مذهبهم إنكاراً.

يقول ياقوت عن الرمّاني: [وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى قال أبو عليّ: إنْ كان النحو ما يقوله الرمّاني فليس معنا منه شيء، وإنْ كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء]. فإذا وصلتَ إلى القرن السادس، وقرأتَ ما كتبه ابن الأنباري في [الإنصاف] وفي [الإغراب واللُّمَع] وجدت الجدل النحوي، قد قُنِّنَت له القوانين، ورأيت البرهنة على مسائله، قد صيغت لها الأسس، ورأيت حججه أخذاً وردّاً، قد وُضِعت لها الشروط. فتُوقِنُ عند ذلك أنّ المنطق، قد وَطَّد في علم النحو أركانه.

هذا، على أنّ العامل النحوي ـ وهو أخطر مسائل النحو قاطبة ـ إنما هو أثر من آثار الدين والفلسفة معاً. وتطبيقٌ يكاد يكون حرفياً، لما يقوله علم التوحيد ـ أو قل: علم الإلاهيّات ـ من أنّ مُوجِدَ الوجود واجبُ الوجود، إذ ليس يصحّ في العقول وجودُ معلولٍ عن غير علّة، أو موجودٍ بدون موجِد. ومَن أبَى ذلك، فقد رضي أن يُقْبِلَ النهارُ ويُدبرَ الليلُ ارتجالاً، وأن تُشرقَ الشمسُ وتَغرُبَ اعتباطاً.

وهذا هو شأنُ العامل النحوي: فإن وُجودَه واجبٌ، وإلاّ ارتفع المرفوع بغير علّة، وانتصب المنصوب على غير هدى، وانجرّ المجرور عبثاً. فهذا وذاك وذلك، لابدّ له من مُحْدِثٍ يُحدِثه، ومُوجِدٍ يُوجِده، هو العامل. وما أدري، أمَن يقرأ بيت ابن مالك:

إنْ عاملان اقتضيا في اسمٍ عَمَلْ قبلُ، فللواحد منهما العملْ

أيُرمى بالإغراب إنْ قال: إنّ قولَ ابنِ مالك: [فلِلْواحدِ منهما العمل]، هو أثر من آثار علم التوحيد، عن عمْدٍ من هذا الإمام، أو غير عمْد؟.

وأما شعرُ الأمة ونثرُها وأمثالُها: فالبرهنة على إحاطة النحو بها، تحصيلُ حاصل، ومضيعةٌ للوقت. فهي أصلاً مادّتُه، لم يَقُم إلاّ بها. ولو قلتَ: هو هي، لم تكن مبالغاً.

وأما تعايُشُ الأعراق وتساكنها على اختلافها: وما يُنشِئه ذلك من تأثُرٍ بين لغاتها. ثم التوزّعُ السكانيّ، وما تُحدِثه مخالطة الأمم المجاورة، من انحراف في الألسن واعتلال، فقد بلغ النحوُ من تمثيل كل ذلك، غاياتٍ تأخذ بالألباب، ولو أنّ أجنبياً اطلّع عليها، لطار عقله عَجَباً وإعجاباً:

فقد وُضِع حَدٌّ زمني لما يُحتجّ به : فلا يُحتج بكلامٍ محدَثٍ.
وخُطَّت له حدود جغرافية : فلا يُحتَجّ بكلامِ قبائلَ مجاورة للأمم الأخرى.
ورُسمت فواصلُ تأصيلٍ بين لغات الشعوب : فلا يُحتجّ بكلامِ مولَّد.

وأما التربية والتعليم: فحسبك أن تعلم أنّ النحاة كانوا هم القوّامين عليهما. وإنما نُعرِض عن ذكر أخبارهما، لنجنّب حديثنا هذا صفة القصّ. على أننا نجتزئ بخبرٍ واحدٍ منها، لدلالته:

من المعلوم أنّ الكسائي كان مؤدّبَ أولاد الرشيد. فلما أسنّ، أمره أن يختار لهم مؤدباً ينوب عنه. فقال لعليٍّ الأحمر [قد عزمتُ على أن أستخلفك على أولاد الرشيد]، فقال الأحمر: [لعلّي لا أفي بما يحتاجون إليه] . فقال الكسائيّ: [إنما يحتاجون كلّ يوم إلى مسألتين من النحو، وثنتين من معاني الشعر، وأحرفٍ من اللغة. وأنا ألقّنك ذلك كل يوم قبل أن تأتيَهم، فتحفظُه وتعلّمُهم] .

والطريف هاهنا، ما تنبّه له أستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، وأجزل مثوبته، فقد علّق على هذا فقال: [أتحفَنا هذا الخبر بنموذج من برامج التعليم الخاصّ يومئذ].

وأما ما مثّله النحو من مناظرات، كانت تدور في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء، وما استحدثته الحضارة من مجالسَ يتبارى فيها العلماء، فقد امتلأت به الكتب، ويعرف تفاصيله أقلُّ الناس صلةً بشؤون اللغة، فاجتزأنا بذكره، وأعرضنا عن التمثيل له.

وبعدُ، فمن أين يجتمع لعلمٍ من العلوم، مثلُ هذا الذي اجتمع لعلم النحو؟!.

أيها السيدات والسادة

لَعلّي أطلت هذه المقدمة شيئاً، ولكنّ عذري أنّ ما أريد أن أقرّره، وهو مسألتان، ما كان ممكناً أن أخلص إليه، لولا هذه الإطالة؛ فعفواً.

أما المسألة الأولى، فأنّ هذا الإرثَ العلمي العظيم، وإن كان مثّل حضارة المجتمع العربي الإسلامي، من جميع أقطارها، فإن الذي لم يمثّله ولا كان ممكناً أن يمثّله، هو قواعد العربية، خالصةً مما لابسها من الفكر النحوي. وبتعبير آخر: إنّ هذا الفنّ العظيم، لم يستطع أن يخلّص القواعد من نفسه. وإذا كان للتشبيه بالشرنقة مكان، فهذا مكانه!!.

وأما المسألة الثانية، فهي مقولّة [تيسير النحو] . ففي مجامع اللغة[تيسير النحو] ، وفي الندوات: [تيسير النحو] ، وفي الصحف والمجلاّت:[تيسير النحو] . يرفعون راية هذه المقولّة: [يسّروا النحو، يسّروا النحو، يسّروا النحو] . والنحو لا ييسَّر. النحو لا ييسَّر إلاّ إذا يُسِّر رسم الجوكندا، أو يُسِّرت السمفونية التاسعة.

كلّ عبارة خُطّت في هذا السِفر النحوي العظيم، إنما هي خيطُ لُحمة أو سدى في ديباجِ نسيجه. فانظر ماذا تنسل وماذا تبتر!! واعلم في كل حال، أنّك بما تفعل، إنما تقطّع أوصال كائن حضاري، لو ملكَتْ مثلَه أمّة من الأمم الراقية، لحرصت عليه حرصها على إنسان عينها، ولعاقبت مرتكب تيسيره، عقابَ من يسيء إلى أمّة!!.

ولعل ظانّاً يظنّ، أننا بقولنا: [النحو لا يُيَسَّر] ، إنما ندعو إلى اليأس والقنوط. وأننا بقولنا: [لا تقطّعوا أوصال النحو] ، إنما ندعو إلى ركود مستنقعيّ. ونقول: كلاّ، بل ندعو إلى جدّ لارفق فيه، وتعب لا راحة معه.

إننا ندعو إلى قراءة هذا التراث العظيم، واستلال القاعدة منه، خالصةً من كل ما يحيط بها من تشعّب الآراء، وكلِّ ما يلابسها من التحيّز لهذا المذهب، أو ذاك. حتى إذا تمّ ذلك، شرعنا نعيد صوغها، باحثين عن الأسهل لفظاً، والأقرب إلى العقل وصولاً، واضعين نصب أعيننا أبداً، أن نَتْعب، ليستريح مَن يقرأ. وأن يُسيغ أبناؤنا قواعد لغتهم، كما تُسيغ حلوق الصبيان [غزْل البنات!!] .[1]

وإنّا لنعلم أنْ سيقالُ: هذا كلام مجرّد. يسهل إلقاؤه، ويستحيل تطبيقه. ونجيب: كلاّ، ما هذا بالمجرَّد ولا المستحيل. ولقد جرّبناه، فوجدناه شاقّاً عسيراً، ولكنه لم يكن مستحيلاً. فلقد أنفقت من عمري مُصعِداً نحوه، خمس سنوات إلاّ قليلاً[*]، منقطعاً إليه انقطاع المستغرَق المفتون، فلو صوّتَ إنسان - كما قال الشاعر القديم - لكدت أطير!! مُعْرِضاً عن كل شيء في الحياة، ملازماً الكتاب والحاسوب ثلاث عشرة ساعة كل يوم في الأقلّ. حتى لقد أساء ذلك إلى صحّتي.

وأنا ملقٍ إليكم الآن، مخطّط عملي، ثمّ عارضٌ عليكم ثلاثة نماذج مما عالجتُ من بحوث النحو، ونموذجاً من الأدوات، ونموذجاً من الصرف. فاللهمّ يسّر وأعن:

كسرت كتابي على ثلاثة أقسام:

الأول: فيه قواعد العربية، خالصةً من كل ما عداها. وسميته:

(١) غزل البنات: نوع من الحلوى يُولع به أطفال دمشق.

(*) كان إلقاء الكلمة في ٢٩/١٠/٩٧ ومنَّ الله فتم العمل في شهر نيسان من عام ١٩٩٩.

[الكفاف] ليطابق اسْمُه مسمّاه.

والثاني: نماذج فصيحة، تَلحَق بمعظم البحوث، أبيّن فيها موضع القاعدة، وأبسطها.

والثالث: تبيينٌ لما استرشدتُ به من المعالم والصُوى، في ذهابي نحو القاعدة. ودفاعٌ عن تجنّبي ما تجنّبتُ، وأخذي بما أخذت. ذاكراً مصادري ومراجعي، وأجزاءَها وصفحاتِها. مبتغياً بذلك أن يطّلع كلّ أحد، على الحجّة في الأخذ والردّ، فيعلم علماً لا ظنَّ معه، أنْ لا اعتباط في عملنا ولا ارتجال، وأن ما جاء في كتابنا [الكفاف] ، ليس تيسيراً للنحو، فالنحو لا ييسّر. وليس موجزاً لقواعد اللغة ـ كما يقولون ـ فالقاعدة من حيث هي قاعدة، لا توجَز. وليس قواعدَ لغير المتخصصين، فتخصيص قواعد لغير المتخصصين، إلى النكتة ما هو!! وسمّيتُ هذا القسم الثالث: [الصُوى إلى الكفاف] ، لأنه حقّاً كذلك. وبعدُ، فإلى الأمثلة، وقد آن:

النموذج الأول هو [المستثنى بإلاّ] :

أولاً: زحلقنا البحث في [غير وسوى وليس ولا يكون وبيد ولا سيّما، وإلاّ بمعنى غير، وحاشا وعدا وخلا] إلى قسم الأدوات. كما يقتضي المنهج العلمي. وتلك خطّة سرنا عليها في كتابنا كلّه.

ثانياً: اِطَّرحنا من بحث الاستثناء ما سمّته كتبُ الصناعة: [الاستثناء المفرَّغ]نحو: [ما جاء إلاّ خالد] . ودافعنا في [الصُوى] عما ذهبنا إليه، فقلنا ما معناه: إنّ الاسمَ بعدَ [إلاّ] في هذا المثال، ليس بمستثنى، بل هو فاعل. وقد يكون في مثال آخر مفعولاً به، أو مجروراً بحرف جر، أو غيرَ هذا وذاك وذلك، ولكنه لا يكون في العربية أبداً، منصوباً على الاستثناء. وما

ذاك إلاّ لأن التركيب هاهنا تركيبُ[حصر، أو قصر] ، كما يقول البلاغيون، لا تركيب استثناء. وشتان ما بينهما.

ثالثاً: في الاستثناء المنقطع، لزمنا لغةَ القرآن، وأعرضنا عن لُغَيَّة لتميم، قرأتْ بها ﴿ما لهم به من علم إلاّ اتّباعُ الظنّ﴾ بالضمّ، وأعرضنا إعراضَ إنكار ونفور، عن قول مَن يقول: إنّ في اللغة بدلاً مقلوباً!! نحو [ماسافر إلاّخالدٌ أحدٌ]. بعد هذا، نورد قواعدَ المستثنى:

[المستثنى: اسمٌ يُذكَر بعدَ (إلاّ) ، مخالفاً ما قبلها، نحو: (جاء الطلاّبُ إلاّ خالداً) .

وهو منصوب قولاً واحداً، غير أنه إذا سبقه نفي أو شبهه، جاز مع النصب، إتباعُه على البدلية مما قبله].

حُكمان:

الأول: قد يتقدّم المستثنى على المستثنى منه. نحو: [لم يسافر إلاّ خالداً أحدٌ] .

والثاني: قد يأتي المستثنى ولا صلة له بجنس ما قبله، نحو: [وصل المسافر إلاّ أمتعتَه] .

تمّ البحث، فهذه هي قواعد المستثنى بـ [الا]تامة .

النموذج الثاني هو [المفعول به] :

تجافينا في بحث المفعول به، عما اشترطت كتب الصناعة لتقديمه وتأخيره، من شروط خيالية، وأخرى يأباها الجدّ في الطلب، وقد استقصينا مناقشة ذلك في [الصُوى] ، وأضعفنا معظَم ما اشتُرِط. وكنّا نودّ إيراد جانب منه الآن، ولكنْ رأينا الإعجال يمنع من ذلك. على أننا نقول: إنّ مَن

يتجافى عن تلك الشروط، ويُحكّم المنطق والشاهد، يجد البحث، وإن طوّلته كتب الصناعة، لا يزيد على قولك:

المفعول به : هو ما وقع عليه فِعْلُ الفاعل فنَصَبَه . نحو: [أكل خالدٌ رغيفاً] .

أحكام تقديمه وتأخيره:

يجوز أن يتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل نحو: [رغيفاً أكل خالدٌ] و [أكل رغيفاً خالدٌ] .

ويجب تقديمه في حالتين:

الأولى: أن يتّصل الفاعلُ بضمير المفعول نحو: [ركب الفرسَ رائضُها] . فيُقَدَّم وجوباً على الفاعل.

الثانية: أن يقع بين [أمّا] وجوابها، فيُقدَّم وجوباً على الفعل والفاعل معاً نحو: [أمّا الغريبَ فأكرمْ] .

تمّ بحث المفعول به، واستُكْملت قواعده.

وأما النموذج الثالث فهو [النداء]:

النداء في كتب الصناعة بحث واسع، كثير التأرجح والبلبلة، بلغ عند سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون أربعاً وثمانين صفحة، وعند عباس حسن، في النحو الوافي، مئةً وسبع عشرة صفحة.

واختلاف النحاة فيه، يكاد يكون في كل حكم وكل رأي. ويكفي من ذلك أن البصريين يقولون: [يا خالدُ] مبني على الضم في محل نصب، وأنّ الكوفيين يقولون: بل هو معربٌ مرفوع.

وتأمّلْ ماوراء هاذين الرأيين من تفريع وتشعيب، بُنيا عليهما.

ولقد منّ الله فأسلس البحث قياده، بعد نحو شهر من الجدّ في

الطلب، والرجوع إلى جميع ما نعرف في المكتبة النحوية من مطبوع: من كتاب سيبويه إلى واضح الصديق محمد خير الحلواني رحمه الله. فكان ما يلي:

- فصَلنا الندبة والتعجّب والاستغاثة عن المنادى. فأما الندبة فلأنها تفجّعٌ وتوجّع، وما أبعدهما عن النداء!! وأما التعجب فلأنه استعظام أمر، وأين هذا من ذاك؟! وأما الاستغاثة فلأنّها - وإن كانت نداءً - تظلّ في آخر المطاف صنفاً من صنوف المجرورات بالحرف.

- ثمّ اتجهنا رأساً في صوغ قواعد النداء، إلى ما تقول العرب حين تنادي، فاستمسكنا بأساليبهم، مبتعدين بذلك عن تنظير النحاة وتضارب الآراء. وناقشنا في [الصوى] أهمّها.

بعد هذا دونك البحث، وهو قسمان: قلنا في الأول:

هكذا تنادي العرب فتنصب المنادى فتقول:

يا أهلَ الدار سلامٌ عليكم :(لأنّ المنادى مضاف).

ويا قارئاً كتب العلم قيِّدْ فوائدها :(لأنّ المنادى مشتقّ عامل فيما بعده).

ويا غافلاً انتبه :(لأنّ النداء موجّهٌ إلى كل غافلٍ، لا غافلٍ محدّد)

وتضمّ العربُ المنادى فتقول:

يا خالدُ احذرْ :(لأنه علمٌ مفرد).

ويا رجلُ ما اسمُك؟ :(لأنه نداء موجَّه إلى رجل معيّن، وإن كنتَ لا تعرف اسمَه).

وتنادي المثنى فتقول: يا مسافران، تجعل في آخره ألفَ ونونَ المثنى.

وتنادي الجمع فتقول: يا مسافرون، تجعل في آخره واوَ ونونَ الجمع.

وأما القسم الثاني، من قسمي المنادى وهو: [توابع المنادى] ، وقد استغرق عند عباس حسن، أربعاً وعشرين صفحةً، فقد منّ الله علينا، فأقدرَنا أن نجعله في خمس كلمات فقط. وذلك إذ قلنا:

[قَدِّرْ قبلَ التابع (يا) محذوفة] تصبْ إن شاء الله.

تمّ بحث المنادى، واستُكمِلت قواعده.

ونقول لمن يعتريه الشكُّ في قاعدتنا الكلية هـذه، إذْ يراها مؤلفة من خمس كلمات، لقد عرضنا عليها جميعَ حالات توابع المنادى، فصدقت عليها بغير استثناء البتّة. ودونك التطبيق:

يا خالدُ .. ابنَ سعيد	=	يا خالدُ	يا	ابنَ سعيدٍ	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج.
يا سعدُ .. سعدَ العشيرة	=	يا سعْدُ	يا	سعدَ العشيرة	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ .. الفاضلُ	=	يا خالدُ	يا	أيها الفاضلُ	: بعد يا المحذوفة اسم محلّى بـ[ألـ] فيُضمُّ وتسبقه أيها حُكماً.
يا خالدُ و .. سعيدُ	=	يا خالدُ و	يا	سعيدُ	: بعد يا المحذوفة علم مفرد ، فضمُّه على المنهاج.
يا أبا الحسن.. عليٌّ	=	يا أبا الحسن	يا	عليٌّ	: بعد يا المحذوفة علم مفرد، فضمُّه على المنهاج.
يا عليُّ .. أبا الحسن	=	يا عليٌّ	يا	أبا الحسن	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على للنهاج.
يا عليُّ و... أبا سعيد	=	يا عليُّ و	يا	أبا سعيد	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ.. صاحبَ زهير	=	يا خالدُ	يا	صاحبَ زهير	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا رجلُ.. أبا خليل	=	يا رجلُ	يا	أبا خليل	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ.. الحسنُ الخلق	=	يا خالدُ	يا	أيها الحسنُ الخلق	:بعد يا المحذوفة اسمٌ محلّى بـ [ألـ] فيضمُّ وتسبقه أيّها حكماً.

● وأما النموذج الرابع فهو الأداتان: [مُذْ ومُنْذُ]:

وقد وجدنا البحث فيهما منثوراً في خمسة مواضع من [جامع الدروس] مرة مع الظروف، ومرة مع الحروف، ومرة مع المبنيات، وهكذا...

ووجدناه في ستّة مواضع من جزأين من النحو الوافي، آخرها بحث في الجزء الثاني استغرق عشرين صفحة. على أننا لم نجد ذلك موصلاً إلى قاعدة، تُعلّم الناس صحة استعمالهما. فاستعضنا عن كل ذلك بأن قلنا:

مُذْ ومُنْذُ: أداتان مبنيّتان (ظرفان للزمان) **تتماثلان في كل شيء إلاّ اللفظ، وتدخلان على الجمل والأسماء ولا يمتنع بعدهما إلاّ مجيء الاسم منصوباً.**

تمّ بحث مذ ومنذ، واستُكمِلت قواعده.

●**وأما النموذج الأخير فنموذج صرفيّ**: فلقد رأيت لغة العرب إيقاعاً وموسيقى، حقيقةً، لا مجازاً كما يظنّ الظانّون!! فكما لا يكون ثلجٌ بغير بياض، ولا ليل بغير سواد، كذلك لا تكون عربية بغير موسيقى وإيقاع. فلمفرداتها ـ أسماءً وأفعالاً ـ أوزان وإيقاعات، ما بين: فاعِلٍ ومفعول، ومُفَعْلِلٍ ومستفعِل، وفَعَلَ وفاعَل، وتفعلَلَ واستفعَل إلخ.... فإذا أنعمت النظر في هذه القوالب والأوزان، رأيت موسيقى داخلية تتخلّق في نُسْغ الحروف، قِصَراً وطولاً وتسلسلاً، ما بين ساكنٍ ومتحرِّك، وممدودٍ بقدْرٍ محدّدٍ مقيس.

لغةٌ: تراها بعينك حروفاً، وهي ـ لو أصغيتَ ـ موسيقى تتهادى.
وتخالها مفرداتٍ ، وهي ـ لو تدبّرتها ـ إيقاعٌ مُرْقِص.
وتظنها عباراتٍ ، وهي ـ لو علمت ـ هندسة تأخذ بالألباب.
وتحسبها جامدةً ، وهي تمرّ مرَّ السحاب.

ولعمري إنّها لمزيّةٌ مظاهَرة، وإنْ كان أئمة العربية، لم يروا منها إلاّ وجهاً واحداً، هو وجهها الآلي، الذي يقولون عنه: من الثلاثي يُصاغ كذا وكذا، ومن الرباعي كذا وكذا، وهلّم جرّاً... وأما الوجه الموقَّع المموسق، فلم يروه. بل قل لم يسمعوه!! اللهمّ إلاّ أنْ يكون ذلك هو الخليلَ بنَ أحمد، عالِمَ أُمّتنا الفذّ، الذي لا تَعرف له العربية نظيراً ولا قريناً. فقد استفاد من موسيقى الأوزان مرة واحدة، في حدود علمنا. وكان ذلك حين جعل أوزان التصغير ثلاثة فقط، هي: [فُعَيْل - فُعَيْعِل - فُعَيْعِيل]. عليها تصغَّر جميع الأسماء في العربية، وتبلغ أوزانها المئات.

وصحيح أنّ الخليل لم يقل ذلك لفظاً، ولكن أنْعِم النظر، تجدْه قال وإن لم يقل. مثال ذلك أنّ [أحمر ومكرِم وسفرجل] تصغَّر عند الخليل على [فُعَيْعِل] أي: [أُحيمِر ومُكَيرِم وسُفَيْرِج]، وهذا وزن موسيقي إيقاعي. وأما وزنها عند الصرفيّين فـ[أُحيمِر وزنه أُفَيعِل ومُكَيْرِم وزنه مُفَيْعِل وسُفَيْرِج وزنه فُعَيْلِل].

فانظر إلى نِعمة الموسيقى في هذه اللغة العزيزة، وتأمّل كم تيسِّر التعلُّم على المتعلّمين، لو حُكِّمَت في كل موضع للأوزان فيه أثر!! ولقد حَكَّمْنا الموسيقى في أوزان الأفعال، مخالِفين عن طرائق النحاة والصرفيين. فجنينا من ثمرات ذلك خيراً عظيماً. فمجموع أوزان الأفعال في كتب الصرف، ما بين ماض ومضارع وأمر، مئةٌ وخمسةُ أوزان. وأما من الوجهة الإيقاعية، الموسيقية التي نأخذ بها، فهي ثلاثةَ عشر وزناً إيقاعياً فقط. وفيما يلي منهجنا:

لقد نظرنا إلى الأفعال على أنها أُسَر، لكل فعلٍ أسرة، أفرادُها ثلاثة: ماضٍ ومضارعٌ وأمر. ثمّ نظرنا إلى حركات حروفها، معرضين عن الحروف نفسها، وذلك أنّ حروف الأسرة تتغيّر وتتبدّل، وأما حركاتها وسكناتها فهي هي. أي: أحرفُها تتغيّر وإيقاعها ثابت، ودونك التمثيل بأسرة: [دَحْرَج]: (وقد استخلص إيقاعها، الموسيقيُّ العَلَم الأستاذ ميشيل عوض)

الماضي	:	[دَحْرَج]	إيقاعه	:	[تك دم]	: فَعْلن
المضارع	:	[يُدَحرِج]	إيقاعه	:	[تتك دم]	: فعولن
الأمر	:	[دَحْرِج]	إيقاعه	:	[تك دم]	: فَعْلن

وهاهنا إيقاعُ أسرةٍ واحدة، ينطبق على إحدى وعشرين أسرة، من أسر الأفعال في كتب الصرف، أو قُلْ إنْ شئت: إيقاعٌ واحد، يُغني عن معالجة ثلاثة وستين وزناً، ما بين ماض ومضارع وأمر. ونورد هذه الأسر عند الصرفيين، مع أمثلتها، على السريع:

- دَحْرَج، وزنُه: فَعْلَل
- جلبب، وزنُه: فَعْلَل
- شَرْيَف وزنُه: فَعْيَل (قطع ورق الزرع)
- سَنْبَل وزنُه: فَنْعَل
- نَرْجَس وزنُه: نَفْعَل (الدواءَ: وضع فيه النرجس)
- تَرْمَس وزنُه: تَفْعَل (غُيِّب في الرمس)
- يَرْنَأ وزنُه: يَفْعَل (صبغ باليرناء أي: الحناء)
- عَشْرَن وزنُه: فَعْلَن
- جَلْمَط وزنُه: فَعْمَل (الشعرَ: حلقه)
- فَرْصَم وزنُه: فَعْلَم (الشيءَ: قطعه)
- سَنْبَس وزنُه: سَفْعَل (نبس)
- شعوذ، وزنُه: فَعْوَل
- حوقل = فَوْعَل (ضعُفَ)
- سيطر = فَيْعَل
- سَلْقَى = فَعْلَى (سلقاه ألقاه على الأرض)
- قَلْنَس = فَعْنَل
- مَنْدَل = مَفْعَل
- تابَل = فاعَل
- بَرْأَل = فَعْأَل (نفش الديك ريشه)
- حَمْظَل = فَمْعَل (جنى الحنظلَ)
- هَلْقَم = هَفْعَل (عظَّمَ اللقمة)

هذا عندهم، فدونك بعضها عندنا :

[تك دم ـ تَتَك دم ـ تك دم] : فَعْلن ـ فعولن ـ فَعْلن

ـ دَحْرَج	يدحرج	دحرِج
ـ شعوذ	يشعوذ	شعوذ
ـ حوقل	يحوقل	حوقل
ـ سيطر	يسيطر	سيطر
ـ سَنْبَل	يسنبل	سنبل
ـ مندل	يمندل	مندل

لغتنا موقّعة مموسَقة، فلِمَ لا نعلّم أبناءنا أن يغنّوها، بدلَ أن نسوقهم إلى المَشرَحة، ليروا تقطيع أوصالها؟! لقد تجافينا عن اجتثاث الخزَعات، والنظرِ إلى خلاياها بمجاهر المخابر!! وآثرنا أن يَسمع أبناؤنا بآذانهم، موسيقى لغتهم، وأن يكون النحو والصرف ـ كلما أمكن ذلك - سليقةً، يسبق بها اللسانُ عقلَ المتكلم وتفكيرَه.

وليتأمل المتأمل، ما الذي يبقى من عصفور يغرد ويغني طرباً، وينقُز ويطفُر حبوراً، إذا أَعْمَلَ الجرّاح مبضعه في جناحه وحنجرته، ليكشف لك عن أسباب الرشاقة في نقزه، والعذوبةِ في تغريده.

ولا يظنن ظانّ أننا نريد بما نقول، أن نسخّف جهد العلماء، وبحث المتخصصين ـ حاش لله ثلاثاً ـ وإنما نريد أن نقول: إن بحوثهم شيء، وتعليم أبناء أمتنا لغة قومهم سليقةً، شيء آخر.

وبعدُ أيها السيدات والسادة: فللّه وحده الكمال. وأما الزهو بالعلم فشُعبة من الجهل، والنقصُ والسهو والخطأ قدَرُ الإنسان، فأرجو أن نُعان

على ما قُدِرَ على هذا المخلوق الضعيف، بنقد يُدرَك به مسهُوٌّ عنه، أو يُقوَّم معوَجّ، أو يُوصَل منقطِع. والسلام عليكم .

مراجع البحث ومصادره

●أسرار العربية/ ٢٠١و ٢٢٤ ابن الأنباري ت. محمد بهجة البيطار ـ المجمع العلمي العربي.

●الإغراب في جدل الإعراب ـ ابن الأنباري ت. سعيد الأفغاني ـ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.

●الإنصاف ـ ابن الأنباري/ ١٥٠و ١٥٨ و١٦٧ و٤٤٦ و١٨٠- ١٩٠ و١٩٣ ـ٢٠١ ت. محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة التجارية الكبرى.

●أوضح المسالك ٢/ ٦٠ + ٣/ ٧٠ ابن هشام. ت. محيي الدين عبد الحميد ط/٤ المكتبة التجارية الكبرى .

●البحر المحيط ٧/ ٢٦٣ أبو حيّان مكتبة ومطابع النصر ـ الرياض.

●توضيح المقاصد ٢/ ١٠٣ + ٣/ ٢٦٦ + ٤/ ٣ ـ ٣٢ـ الحسن بن قاسم المرادي ت. عبد الرحمان سليمان ط/٢ مكتبة الكليات الأزهرية.

●جامع الدروس العربية ٢/ ٢١٢ + ٣/ ٥٢ و٦٤ و٢٢٠ و١٢٣ و١٣٩ و١٤٥ مصطفى الغلاييني ط/٩ المطبعة العصرية.

●جواهر البلاغة /١٧٩ أحمد الهاشمي ط/ ١٢ المكتبة التجارية الكبرى.

●حاشية الصبان ٢/ ١٤١ + ٣/ ١٣٣ دار الفكر.

●الخزانة ١/ ٢١٢ + ٢/ ١٣٠ + ٣/ ٣١١ عبد القادر البغدادي ت. عبد السلام هارون ط/ ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

●ديوان جرير / ٧٣٦ ت. د. نعمان طه ط/٣ دار المعارف.

●رصف المباني في حروف المعاني/ ٣٨٥ و٣٩٣ـ أحمد بن عبد النور المالقي ت. أحمد الخراط ـ دار القلم.

●الرماني النحوي د. مازن مبارك ط/ ٣ دار الفكر.

●شذور الذهب ١١٠ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد.

●شرح ابن عقيل ١/ ٥٩٧ + ٢/ ٢٥٥ ت. محيي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي.

●شرح أبيات سيبويه ٢١٤ النحاس ت. أحمد خطاب ـ ط /١ المكتبة العربية ـ حلب.

●شرح الأشموني ١ /٣٩٠ + ٢ /١٣٥ دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.

●شرح عيون كتاب سيبويه /١٥٧ هارون بن موسى القرطبي ت. عبد ربه ط /١ مطبعة حسان.

●شرح الكافية ١/ ٣٤٤ + ٢ /٧٥ + ٤ /٤٢٥ الرضي الأستراباذي. ت. يوسف حسن عمر ـ جامعة بنغازي.

●شرح المفصل ١ /١٢٧ + ٢ /٢ و٧٥ + ٨ /١١٨ ....١٢١ ابن يعيش ـ الطبعة الأزهرية.

●طبقات فحول الشعراء ابن سلام ١ /١٢ و١٥ و٢١ ت ـ محمود شاكر /دار المعارف.

●الفهرست للنديم ٤٦و ٧٣ ت. رضا تجدد ١٩٧١.

●في أصول النحو ـ سعيد الأفغاني ط /٣ دار الفكر.

●قطر الندى /٢٠٤ و٢٤٣ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد ط/ ١٠ المكتبة التجارية الكبرى .

●كتاب سيبويه ـ ت. عبد السلام هارون١/ ٢٩١ +١٨٢/٢ و٢٢٩ و ٢٣١.

●كتاب سيبويه ـ بولاق ٣٠٣/١ + ١/ ٣٢٥.

●اللغة والنحو بين القديم والحديث /١٩٦ عباس حسن ط/ ٢ دار المعارف.

●المبسوط /٣٦١ ابن مهران ت. سبيع حمزة حاكمي ـ مجمع اللغة العربية بدمشق .

●مجمع البيان ٤/ ٤٨١ + ٨/ ٣٧٩ ط/ ٣ الطبرسي.

●المحتسب ٢/ ٣٩٩ ابن جني ـ ت. علي النجدي ناصف وزميله/ وزارة الأوقاف ـ مصر .

●محيط المحيط ٧٣٨ و١٧٢/ بطرس البستاني ـ مكتبة لبنان .

●مدرسة الكوفة / ٢٦١ د. مهدي المخزومي ط/ ٣ دار الرائد العربي .

●معجم الأدباء ـ ياقوت ١/ ٥٣ و٥٤ و٦٨ + ١٤/ ٧٥ + ١٣/ ٥ و١٦٧ عيسى البابي الحلبي .

●مغني اللبيب/ ٣٧٢ ابن هشام ت. د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ـ دار الفكر.

●المفصل في تاريخ النحو ١٦٦و ٢٠١و ٢٠٢ د. محمد خير الحلواني ط/١ مؤسسة الرسالة .

●من تاريخ النحو ـ سعيد الأفغاني ط/ ٢ دار الفكر .

●الموجز في قواعد اللغة العربية/ ٣١٢ و٣٢٠ سعيد الأفغاني ط/ ٣دار الفكر.

●الموفي في النحو الكوفي ـ الكنغراوي /٦٤ شرح محمد بهجة البيطار - المجمع العلمي العربي .

●النحو الوافي ١/ ٣٥٧ و٣٦٦ و٣٧٠ + ٢/ ٢٩٩ و٢/ ٣١٣ و٥١٨ و٥٤٤ + ٤/ ١ عباس حسن ط/ ٥ دار المعارف .

●النشر في القراءات العشر ٣/ ٢٥٤ ت. محمد سالم محيسن ـ مكتبة القاهرة .

●نصّ ألفية ابن مالك: /١٩ + ٢٢ + ٣٨ + ٤٠ + ٤١ مكتبة محمد علي صبح ١٣٢٥ هـ .

●النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/ ٥٣٩ الأعلم الشنتمري ت. زهير سلطان ـ ط/ ١ الكويت.

●الواضح في النحو والصرف /١٧٧ و١٨٤ د. محمد خير الحلواني ط/ ١ المكتبة العربية بحلب.

إعادة بناء مفاهيم النحو

أ.د. حورية الخياط

المقدمة:

اللغة كائن اجتماعي حيّ يستمد قوته من عضويات المجتمع التي تنطق به، ويمدها في الوقت نفسه بعدد من الإمكانات والقدرات التي ما كانت لتتهيأ لنا ـ معشر البشر ـ لولا اللغة.

وهي إلى كونها كائناً اجتماعياً يتصل بالحضارة، حيّاً يتصف بالنماء والتطور وفق أنظمة مخصوصة، يمكن وصفها بأنها واسعة الأطر سعة الأفلاك، شديدة الارتباط بوجود الإنسان وقلبه وفكره، وهي موضع حبه، وسرّ نجاحه في أداء رسالته، بل إنها رأس ماله الاجتماعي الأول والعملة التي يتداولها كل يوم مع الناس، من أدنى الأرض إلى أقصاها، ومن يوم الناس هذا إلى أقصى أغوار الزمان.

يتداولها مع شركائه في الجيل الذي يعيشه، ومع الذين لثموا جبين أمهم الكبرى «الأرض»، فعانقوا التراب وغيبتهم مجرّة الزمان في أضوائها أو ظلماتها...

يتداولها حتى في مناجاة نفسه، ومناجاة زهرة أو كوكب أو بحر... أو بارق من فكر.

لهذا كله نرى الناس يختلفون لا في تعريفها، بل في محاولة التعبير عن

إحساسهم بها:

يقول عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ «لولا الكلام لبقيت القلوب مقفلة على ودائعها، والمعاني مسجونة في مواضعها» (١، ص ٢) والودائع والمعاني هنا هي المشاعر والأفكار.

ويقول الكفوي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ: «اللغة هي أصوات، بها يعبر كل قوم عن أغراضهم» (٢، ص ١٧٠).

ويلاحظ أن (الأغراض) هنا كلمة أريد لها أن تدل على المشاعر والأفكار معاً.

ويقول القِنَّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ: «واللغات إنما هي تَرجمان عمّا في الضمائر من المعاني» (٣، ص ٢٥٧).

وليس الجديدُ في هذا القول عمّا سبقه أنه أطلق «الضمائر» على القلب والفكر معاً متجوّزاً في المعاني، بل إنه بكلمة «ترجمان» يشير إلى هذا الثنائي المتلاحم «اللغة والفكر».وإلا فما معنى الترجمة هنا إن لم تكن النقل أو انتقال «كنه الفكر» ـ أو مدركه بغير حواسَّ ـ إلى الرمز اللغوي المحسوس بحاسة أو بأخرى؟.

هذه الخطوة الصغيرة باتجاه الوضوح في فهم العلاقة بين الفكر واللغة تَمْثُلُ هنا وتتركز في مدلول كلمة «نقل»، التي تعني تلبُّس الكُنه الفكري في رمز لغوي، تلبّس جوهر الفكر في عرض اللفظ ومادته(٤، ص ٢).

لهذا كله كثيراً ما صارت كلمة «النقل» تتردد على شفاهنا كلما تحدثنا إلى طلابنا عن اللغة ووظائفها، كأن يقال مثلاً: «اللغة وسيلة «لنقل» أفكارنا ورغباتنا ومشاعرنا إلى الآخرين، وتلقي هذه الأفكار والرغبات

والمشاعر منهم».

أو أن يقال: «اللغة أبرز جانب من جوانب الشخصية، وإن أيَّ عجز في «النقل اللغوي» لا يَقِلُّ خطراً عن أي نقص في جوانب الشخصية».

أو أن يقال: تعمل اللغة وسيطاً للتفاعل بين الأفراد ولنقل واستقبال المعلومات (٥، ص٤٤٤)

وهنا نرى شيئاً جديداً هو الأداء اللغوي إن صحت تسميتنا له، وهذا الجانب يؤصل وظيفة اللغة في خدمة الفكر وييسر العمليات العقلية العليا بما يقدم لها من رموز استيعابية تتحول إلى قوالب وأساليب مطواعةٍ قابلةٍ للتنهيج والتصنيف والتحديد، فيزداد الفكر بها قوة ووضوحاً وتسلسلاً.

ولا غرو إذن في وقفة قصيرة بين أعمدة وظيفة اللغة والأداء اللغوي بإيراد النصين التاليين:

يقول ابن خلدون عن اللغات إنها: ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجَودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب (٦، ص ٥٥٤).

إذن تحققُ وظيفةِ اللغة أي جودةُ العبارة عن المعاني مرهون بتمام أدائنا اللغوي وتراكيبنا اللسانية.

ويقول إبراهيم أنيس: «تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها، ويُلْتَزَمُ هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات، فإذا اختل هذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإفهام. ولا تمثلُ مفردات اللغة إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة. فإذا نُظمت ورتبت ذلك الترتيب المعينَ سرتْ فيها الحياة، وعبّرت عن مكنون الفكر وما يدور في

الأذهان (٧، ص ٢٧٥).

وهنا مرة أخرى نجد فيما سبق حديثاً عن الوظيفة وعن الأداء في مقطع واحد يتخلله حديث عن اللغة والفكر، واستلهامات من نظرية النظم المعروفة.

اللغة العربية:

ماذا عن اللغة العربية؟

نبدأ بوظيفتها فيجزئنا أن نقول: إنها أقدم اللغات الحية على الإطلاق، أما غيرها فقد بُدِلّت تبديلاً، أو غُلبت على أمرها فأفلت أفولاً.

ووظائفها من وجهة علم اللغة العام كوظائف كل لغة. ولكن من وجهة عربية إسلامية هي الصورة المجَسِّدَة ـ أو الشكل الحسي أو شبه الحسي كما نسميه في التعليم ـ لهذا الدين العظيم: قرآنا وسنةً وفكراً.

وهي هُويَّة هذه الأمة بين أحياء هذا الجَرْم السماوي فضلاً عن أنها البرهان الناصع على عبقريتها (٤ص).

ولغتنا العربية هي وسيلتنا الأولى لنشر مطويات التاريخ، وتراثنا الديني والثقافي والعلمي والفني.. هي وسيلتنا الأولى في مسح الغبار عن مصابيح حضارتنا فتسطع، وبيان ما قدمناه للآخرين فيردع. (٤، ص ٥).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العربية فإنها من دينكم» (٨، ص ١٨).

وقال البيروني، وهو من أصل فارسي، «والله لأن أهجى بالعربية، أحب إلي من أن أمدح بالفارسية» (٨، ص ١٩).

وقال محمد الخَضِر حسين: كتب جول فيرن قصة خيالية بناها على

سُيّاح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها، ولما أرادوا العود إلى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية. ولما سئل جول فيرن عن وجه اختياره للغة العربية، قال: إنها لغة المستقبل (٩، ص ١٤).

هذه المنقولات الثلاثُ التي تمر بحركة الزمان: من عصورها الأولى، إلى الوسطى، إلى الحديثة.. وبالدين والجنس: من مسلم عربي إلى مسلم مستعرب إلى جول فيرن تلقي شعاعاً رفيعاً على عظمة هذه اللغة من بدء الزمان إلى مستقبله كما في عبارة فيرن. وما أظننا بحاجة إلى مزيد من شعاع على تلك العظمة. ولكنها حبة في العقد الذي ننظمه، اقتضت منا تنويهة العجلان.

هذه اللغة العظيمة، لا غرو إذن أنْ يَعَضَّ عليها المخلصون بالنواجذ وينافح دونها المنافحون، ويخافوا عليها.

ولقد تمثل ذلك الإخلاص لها والنّفاحُ دونها بمظاهر عدة منها عكوف العاملين في التربية والتعليم ووضع المناهج والطرق، على التبصر بأفضل السبل إلى تعلمها.

ومنها ظهور أبحاث ودراسات عليا تتناول جوانب لغوية أو نحوية أو أسلوبية معينة، تخدم المعلم والمتعلم، بقدر ما تخدم هذه اللغة وعلومها المختلفة، تنسيقاً لها وتحديثاً.

ومنها ـ أخيراً ـ الرد على المريدين بها شراً وتمحيص دعواهم، يقول علي النجدى ناصف عن شباب هذه الأمة إنهم:

«ضحية دعوات التيسير اللغوي، التي أخذت تظهر بيننا بعد الحرب

الأولى، ولا نزال نعاني منها إلى اليوم، بل هي أشدُّ ما تكون دعوةً إلى التيسير في التعبير والأخذ منه بما يكون، ودعوة إلى التيسير في القراءة والكتابة، ودعوة إلى التيسير في الشعر والتحرر من قيوده. فساء ظنُّ الشباب باللغة، وقلّت ثقته بصلاحها على ما هي عليه» (١٠، ص ١).

هذا الإشفاق والخوف على العربية ما إخالُ النجدّي يرمي من ورائه إلى رفض التطوير نحو الأفضل في علوم اللغة العربية، بما تنتفع به من معطيات التحديث ولكن أخشى ما يخشاه ألا يسيرَ التطويرُ نحو الأفضل، وألا يُراعى فيه ما يوائم طبيعتَها العامة وخصائصها في كل وجه. ولا شك أن في التحديث ما هو غث وسَمين، ما قد يقبله جسم هذه اللغة، أو يتأذى منه فيرفضه، ولا إكراه في اللغة أولها أو عليها.

بعبارة أخرى يمكن القول: إنه خوف على اللغة حقيق وجميل، خوف من سوء التقدير حين تمتد إليها الأيدي المطوّرة، خوفٌ من أن تفقد تلك الدقة الرائعة والفروق المرهفة في المعاني وأساليب التعبير عنها ووسائله. خوف من أذهان المطوّرين ألا تملك بداخلها الأنامل الناعمة التي تُحِسُّ بأدنى خرق معنوي (٤، ص ٧).

نظن هذا الظن الحسن بـ علي النجدى لأننا نسمعه بعد ذلك يقول: «العربية لغة حساسة، بل دقيقة الإحساس في مفرداتها وأساليبها جميعاً، فما يكاد يصيب هذا أو تلك شيء من تغيير حتى يكون له صدى في معناها على وجه من الوجوه» (١٠، ص ٩).

النحو العربي :

وتبدو الدقة في الفروق المعنوية من خلال الخبر التالي الذي يذكر بإيجاز فيه:

قال الكسائي: اجتمعت أنا وأبو يوسفَ القاضي عند هارونَ الرشيد فجعل أبو يُوسف يذمّ النحو.. فقلت: .. ما تقول في رجل قال لرجل أنا قاتلُ غلامِك؟ وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَكَ، أيهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعاً. فقال له هارون: أخطأت.. فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام، هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِكِ، بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غلامِكِ، بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبلٌ لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: ﴿ولا تقولّن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾. فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه «غداً» فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو» (١١، ص ١٧٧).

يقول عبد القاهر: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِّجَتْ، فلا تزيغَ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ لك فلا تُخلَّ بشيء منها» (١٢، ص ٥٥).

والذي يعنينا من هذه المقولة الآن أنها تضيف إلى ما سبق تصورهُ منذ البداية الأولى، تصوراتٍ جديدةً واعتباراتٍ، لن تلبث حتى تُغنى بتصوراتٍ أخرى ونحن نتحدث عن النحو. فإذا بها جميعاً تتضافر لتساعد على تحديد المشكلة التي تتناولها هذه الدراسة.

- أولُ تصورٍ ضمن هذه المقوله هو النظام الفلكي اللغويّ الذي يضع الكلام في مدار قضت به ورسمته له قوانين النحو وأصوله ومناهجه.

فإذا عرفنا أن أصل الأصول في النحو هو «المعنى» العقلي، وأن «مناهجه» هي أساليب العرب وسَمْتُ كلامهم، وأن العرب أمة حكيمة.. إذا عرفنا ذلك كلّه استبانت حاجة كلٍ من العقل، واللغة: إلى «مفاهيم» يتداولانها.

- وإلى منطق من نوع ما، قد نسميه منطق اللغة أو منطق المعاني. يراقب سير هذا وتلك (أي المعنى العقلي واللغة) كلاً في مداره، والمداران متواكبان.

يؤكد هذا أي ما سبق ذكره من أمر اللغة والمعاني ومداريهما ورقابة من منطق، نص آخر للجرجاني يقول فيه: «الاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني، المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل» (١، ص ٤).

ويقول محمد الخَضِر حسين: من يرجع إلى حال نفسه عند إلقاء العبارة يشعر بأنه لا يحرك بها لسانه إلا بعد أن يتصور معانيها المفردة، ويضم بعضها إلى بعض بروابط النسب الإسنادية أو التقييدية في ذهنه. فيأخذ كل معنى من جهة التقديم والتأخير رتبة في النفس يستحقها بطبعه، كالفاعل يخطر على البال قبل المفعول، والموصوف يجري على المخيلة قبل صفته. وقد يعرض لبعض المعاني حال تُنقله عن مرتبته الطبيعية وتُعطيه في نفس المتكلم منزلة ثانية» (٩، ص ١٣١).

من النصين السابقين يمكن أن نفهم أن هنالك كوكبين: المعاني، ومدارها النفس أو الذهن أو العقل أو الفكر.. واللغة، ومدارها ألسنة العرب

وأساليبهم وسمتُ كلامهم، أما الناظم بين هذين المدارين، الواصل بينهما، فهو ما أسميناه «مفاهيم» وإنما استُمد هذا العنصر الثالث - أي المفاهيم - من كلمة الجرجاني: «المنتظمة»، أو كلمة محمد الخضر «يتصور..».

وتستوقفنا في عبارة الأخير أيضاً قوله فيأخذ كلُّ معنى.. رتبة في النفس يستحقها بطبعه. يقصد أن رتبة المعنى إنما هي في النفس، وأن المعنى إنما يستحقها بطبعه هو.

وعلى هذا، فالمعنى أصل والنحو قرين، لأن الرتبة النحوية إنما تؤصل رتبة المعنى التي في النفس.

وما أكثرَ ما يمر في كتب النحو قولهُم متقدمٌ لفظاً متأخرٌ رتبةً، أو العكس.

هنا، مع بدء الوصول إلى الحديث في النحو، بدأت أعراض المشكلة تتوضح، أنها مشكلة لغوية نحوية معاً، مشكلة الأثر المتبادل بين اللغة والفكر. ولابد أن خللاً ما قد اعترى ذاك الأثر أو تلك العلاقة، فألقى عقابيله في تربيتنا لطلابنا، وفي فكرهم ولغتهم معاً، بمقدارين متساويين، بل إنه في اللغة أزيد، وفي النحو منها على وجه أخص

وظيفة النحو:

يقول عباس حسن: النحو وسيلة المستعرب، وذخيرة اللغوي وعماد البلاغي، وأداة المشرّع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعاً

(١٣، ص ٦١).

كلام جامع مفيد ولا سيما أن المشكلة التربوية التي نسعى إلى تحديدها لا تَعدِم أن تكون ذات صلةٍ بالنحو أو اللغة أو البلاغة، وذات أثر على كل العلوم المدرسية الأخرى بله العربية والإسلامية.

ويقول ابن خلدون: «والذي يتحصل أن الأهم المقدّمَ منها ـــ أي من علوم اللسان العربي ـ هو النحو. إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيُعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة.

ويقول إبراهيم مصطفى: النحو «قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسّق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها» (١٤، ص١).

يتبين من النصين السابقين أصول المقاصد بالدلالة، ومعرفة أصل الإفادة وسلامة التفاهم وأداء المعنى.

هذه هي كبرى وظائف النحو إذن فلا غرو أن يتقصى الإعراب دربه لخدمة المعاني.

يقول ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ: فأما الإعراب، فيه تُميَّزُ المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: (ما أحسن زيد) غير معرب لم يوقف على مراده، فإذا قال (ما أحسن زيداً) أو (ما أحسنُ زيدٍ؟) أو (ما أحسنَ زيدٌ) أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده (١٥، ص ١٦١) تعجباً كان أو استفهاماً أو نفياً.

ويقول إبراهيم مصطفى: «من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني» (١٤، ص ٤٨) ولا شك أن قوله (من أصول) تعني أن الحركات

قرينة كبرى أصيلة في النظام النحوي.

ثم يأتي بعده علي النجدى فيقول: «نستدل على صلة الإعراب بالمعنى من وجهين:

الأول: هذه القراءات المتعددة التي قرئ بها القرآن وكان لكل منها توجيه في معاني الآيات التي قرئت بها».

ثم يذكر الوجه الآخر، وإذا هو «عرض صور من الأساليب لا يتضح معناها إلا بالإعراب» (١٠، ص ١١).

هذا، وليس فيما قدم من نصوص (بدأً من ابن فارس) مساسٌ بالقرائن النحوية الأخرى ـ إذ لو تأملنا جيداً قواعد نحونا العربي، لرأيناها تعتمد على القرائن المعنوية واللفظية معاً وهي تعتمد على الحركات بقدر اعتمادها على بقية القرائن اللفظية، وليس لنا أن نغمط النحاة حقهم وصنيعهم هذا أما ما قد يلاحظ من عنايتهم بالحركات حتى كادت تكون هي النحو كلّه ـ كما يقال أحياناً ـ فمرده هنا أن الحركات أبرز المعايير وأقربها تناولاً في سبر تمكن القارئ والمتكلم من لغته ونحوها، فضلاً عن دورها ـ كسائر القرائن الأخرى ـ في إزالة اللبس في الفهم والإفهام.

وهذا ما ألمع إليه عبد القاهر الجرجاني من وجوب الاعتماد على قرائن أخرى. إضافة إلى الحركات في قوله: «لا يكون الضم فيها ضماً ولا الموقع موقعاً، حتى يكون قد توخى فيها معاني النحو، وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى فيها معاني النحو. لم تكن صنعت شيئاً تدعي به مؤلفاً» (١٢، ص. ٢٤).

إذن الإعراب ليس علماً يعنى بالحركات ولكنه علم يتجه إلى الفكر

ليساعده على فهم المعاني. ولا يتأتى له ذلك إلا بتضافر القرائن الدالة على المعاني النحوية من علامات، ورتب، ومطابقة، وإسناد وربط (١٦، ص ١٩١- ٢٠٥) وغير ذلك. دون الاكتفاء بمفهوم أواخر الكلمات وهذه نقطة هامة أو قرينة جديدة تُومِئ بأصبع الاتهام إلى ما أومأت إليه نصوص سابقة من أن المشكلة التي نتتبعها تكمن في تعطيل الدور الوظيفي للقرائن النحوية الأخرى، وفي التشبث بالظواهر اللفظية وحدها في تعليم النحو واللغة.

العلل النحوية:

ثمة نقطة هامة ـ تستمد قوتها من قدمها وتواترها المتصل منذ سيبويه هي «العلل النحوية» يقول الزّجاجي: «وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية.

فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب» (١٧، ص ٨٨) وهذا بيت القصيد من النحو وتعليمه، فقد فكر بعقلٍ تربويٍ مبكرٍ عندما سماها تسمية عصرية «بالعلل التعليمية».

ثم يورد ابن جني تقسيماً آخر للعلل يقول فيه: علل النحويين على ضربين: أحدهما واجب لابدّ منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه (١٨، ص٨٨).

ثم يأتي ابن مضاء فيقول: «ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث» (١٩، ص ١٥١).

إذن.. هناك ميل إلى اختصار الأضرب، وإجماع ـ رغم اختلاف

المذاهب ـ على علل الدرجة الأولى وحدها.

ولا غرو في هذا ما دامت علل الدرجة الأولى عند النحويين الثلاثة ومن وراءهم أشدّ العلل لصوقاً بالمفاهيم النحوية، وبالتالي بمعنى الكلام أو بالفكر.

فحريّ بالمنهجيين إذن أن يأخذوا بهذه النتيجة التي انتهى إليها أمر العلل وأضربها، وذلك بالاقتصار على ما يناسب مستويات التلاميذ من العلل التعليمية.

وصفوة القول: إن الفكر الإنساني أغلى ما يملكه الإنسان، ولن يتهيأ إغناؤه واستمطاره إلا باللغة، وبحسن أدائها لوظائفها في مواكبتها للفكر، وما الناظم لهما معاً ـ كما استخلص من الصفحات السابقة ـ سوى المفاهيم.

«فكراً، ولغة، وناظماً لهما هو المفهوم»

وكذلك الحال في المنظومة الأخرى المكملة للأولى:

«لغةً سليمةً، ونحواً وظيفياً، وناظماً لهما هو المفاهيم النحوية المعولة على المعاني»

وهذا يعني أنه لن يتهيأ إغناء لغتنا ولغة طلابنا واستمطار طاقاتها وتحسين أدائها لوظائفها في مواكبتها للفكر إلا بنحو وظيفي تربوي التنهيج، وما الناظم للغة والنحو ـ ومن ورائهما الفكر ـ سوى المفاهيم النحوية، تلك المفاهيم التي لابد لعلم التربية أن يسهم في تقديم مستحدثاته بشأنها، ويجري عليها أبحاثه وطرائقه، فيعود النحو وليس فيه مشكلة تعليمية.

إذا كانت السطور قد بينت ثلاثة عناصر في الدراسة هي النحو واللغة والفكر فإن مهمتنا فيما سيأتي أن نكشف العنصر القيادي في علاقات هذه

العناصر بوصفه نقطة البداية في المشكلة.. إنه النحو الذي يحمل العبء الكبير في إرهاف اللغة حين تنقل الغدق الفكري بين متواصلين. فإذا تذكرنا ما سبق قولنا فيه من أن تواصل الأفكار لا يكون إلا باللغة ثم أضيف إليه أن اللغة - ومن ورائها التواصل - رهينة بما يمنحها النحو من رهافة التعبير ودقة الحس اللغوي ..أمكن القول إذن:

إن أي قصور في النحو سيشد وراءه قصوراً في وظيفة اللغة وأي قصور لغوي سيفدحنا بخسارة بل خسائر في التواصل والفكر معاً.

وهذا يعني أن النحو وإن لم يكن أهم الأركان الثلاثة في قيمته، فهو مالك ناصيتها جميعاً لأنه أهمها وظيفة. ولابد إذا أريد لها جميعاً أن تتسق وتسمو من أن نتجه إلى هذا النحو في كل مجال: في المدارس، في الكتب المطبوعة، في أقلام المثقفين وألسنتهم.. نتجه إليه ليُرى هل هو في الوضع القويم: عناية، وفهماً، وتطبيقاً، وتعليماً، وطريقة.

بمعنى آخر:

- ما حاله في مدارسنا ومعاهدنا؟
- هل يستظهر فيها استظهاراً بظهر الغيب من مفاهيمه الأساسية؟
- هل يدرك بوعي كاف لتلك المفاهيم النحوية؟
- هل ثمة شكوى منه صارخة؟
- هل تقع المسؤولية (كلُّها أو جلها) عليه؟

هذا ما يجب أن نتلمس أصداءه من خلال جهود العلماء والمجامع اللغوية في تيسيره.

النحو مشكلة تربوية:

للإجابة عن السؤالين السابقين: إن الشكوى حاصلة وهي لا تدين النحو وحده ولكنها تدين معه علوماً لغوية أخرى، وإن كانت في النحو والإعراب أعلى، والشكوى منه قديمة بدليل الأسماء التي كان النحاة يطلقونها على كتبهم نحو: مختصر النحو للمتعلمين للجرمي سنة ٢٢٥هـ الإيضاح للزجاجي ٣٣٧هـ التسهيل لابن مالك

ولكن الشكوى القديمة لم تصل إلى الحد الذي استفحل الأمر فيه حتى بلغت هذه النهاية.

إن الشكوى بدأت مكبوتة ولكنها آخر الأمر باتت صارخة حين «بلغت الحلقوم» تجلجل أصداؤها الأسماع. فقد تفشى الخطأ وشاع، وجأرت الأصوات بالشكوى وتنوعت مسارب الشاكين من شكاة تقول: العربية صعبة، وأخرى تذهب إلى المناهج المدرسية وكتبها وطرائقها.. إلى غير ذلك.

الموجة الأولى من محاولات تيسير النحو:

كل هذا، وقع فعلاً ،وبدأت ردود الفعل تظهر، ولكن على صعد غير رسمية، أما في ردهات المؤتمرات الرسمية والندوات والمجامع واللجان فقد بدأت محاولات من نوع آخر منذ عام ١٩٣٨ حين شكلت وزارة المعارف المصرية لجنة من كبار الأساتذة للبحث في تيسير «قواعد العربية» وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات عدتها خطوة أولى في سبيل هذا التيسير، ثم أدرجت هذه المقترحات في تقرير رفع إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة.

ومما جاء في ذاك التقرير: قد نيسر النحو حتى نجعله من أيسر الأشياء

وأهونها وقد نصلح علوم البلاغة حتى نجعلها من أشد الأشياء لحاجة القارئ، ثم لا يبلغ ذلك بنا ما نريد من تعويد الشباب أن يتخذوا اللغة العربية الصحيحة وسيلة عملية، يؤدون بها ما يؤدى من الأغراض في غيرها من اللغات الحية، لأن الشباب لا يتعلمون هذه اللغة، كما يتعلم الشباب في الأمم الأخرى لغتهم (٢٠، ص ١٤).

يفهم من هذا النص أن الشكوى ليست في النحو وحده ولكنها أيضاً في الطريقة التربوية التي تبنى بها الذهنية النحوية في تلاميذنا بناءً جديداً. هذه اللفتة البارعة التي اهتدت إليها اللجنة (من أن القضية تربوية بقدر ما هي لغوية نحوية) هي أول لفتة من نوعها وأعلاها أهمية وشأناً.

درس المجمع التقرير والمقترحات المرفوعة إليه، ثم وكل أمرها إلى جهات التنفيذ العلمي لما أقر منها، فأحيلت إلى رجال التربية والتعليم، فأقروا «أنه لا مناص من أن نتخذ طريقة مرسومة مصطنعة يستعان بها في تعليم القواعد والتفطن إلى أصول اللغة ليتوكأ عليها في تقويم اللسان وتصحيح الكلام، ونخرج بتعليم اللغة من طريق الفطرة إلى طريق الفطنة».

أقروا قولهم ذاك، وكتبوا وكتب غيرهم، وبسطوا وعدّلوا، ولكن الشكوى ظلت قائمة، لا لشيء سوى أن العملية سارت في طريق التيسير النحوي وحده و لم تتعدّ ذلك إلى الجانب التربوي الهام من المشكلة وهو جانب تعليم النحو.

هذا التعثر الذي اعترض الموجة الأولى - من موجات أربع ـ في تيسير النحو وتعليمه في الثلاثينيات من هذا القرن، يؤكد بجلاء تام أن قضية النحو «قضية تربوية قبل كل شيء» (٢٠، ص ١٥) وهو ما اتفقت عليه المجامع

اللغوية في دمشق وبغداد والقاهرة.

الموجة الثانية:

ثم كانت سنة ١٩٤٢ فبدأت معها (الموجة الثانية) من حركة تيسير النحو وتعليمه، وذلك بتأليف لجنة في مجمع القاهرة في السنة نفسها، ثم بانعقاد جلسات خاصة في أثناء مؤتمر ١٩٤٥، وأخرى في المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧ بلبنان، ومثلها في مؤتمر ١٩٤٨ لمجمع القاهرة، وأخيراً بالدعوة التي وجهها المجمع نفسه إلى وزارات المعارف العربية والهيئات التعليمية العربية سنة ١٩٤٩ للأخذ بما تقرر في هذا الشأن (٢١، ص ٩٢- ٩٣).

الموجة الثالثة:

سنوات، ثم انطلقت (الموجة الثالثة) حين عقد بدمشق عام ١٩٥٦ المؤتمر الأول للمجامع اللغوية، وأقر الكثير مما تحقق في هذا المضمار ثم دخلت سنة ١٩٥٧ فانعقد مؤتمر مفتشي اللغة العربية للمرحلة الإعدادية في القاهرة (٢٢، ص ٦) فكان من نتائجه الملموسة... كتاب خاص بالمعلم، وآخر بالتلميذ، بمعنى أن ثمة خطوة أنجزت في اتجاه الحل التربوي للمشكلة النحوية. ثم وضعت هذه الخطوة موضع التجربة ثلاث سنوات أو تزيد، أعقبها انعقاد حلقة تيسير النحو في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦١.

وإذا كان مؤتمر ١٩٥٧ قد انتهى إلى وضع الكتابين الآنفي الذكر، فقد انتهت حلقة دار العلوم هذه إلى وضع مشروع مناهج جديدة للنحو في المراحل الثلاث (٢٣، ص ١- ٧).

وما كادت السبعينات تطل حتى تجددت الشكوى وأخذت بالتعاظم شيئاً فشيئاً، وكأن العصر تجاوز ما تمّ إنجازه في هذا السبيل، فبات لزاماً على رجال التربية والتعليم أن يغذّوا السير للوصول إلى حلول جذرية عبر محاولات علمية تربوية واضحة في تطوير تعليم اللغة العربية تتضمن أهدافاً ومحتوى وطرائق وتقويماً منهّجاً.

الموجة الرابعة

مرحلة المؤتمرات المتتابعة:

من هنا دخلت المشكلة مرحلتها الرابعة، فكانت بحق أغنى المراحل الأربع وأعرضها أفقاً وأعمقها جذوراً وأدقها تحديداً. ولا غرابة إذا سميناها «مرحلة المؤتمرات المتتابعة» لما كان فيها من نشاطات متواصلة استمرت سنين عدداً. عُنيت بدراسة المشكلات المتصلة بتعليم اللغة العربية، ضمن برنامج مستمر اقترحته إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لبحث هذه المشكلات وتيسير تعليمها (٢٤، ص ١).

وكان نصيب النحو من الأهمية:

المشكلة (١): يشتمل منهج النحو على قواعد كثيرة منها ما هو غير وظيفي في الحياة، ومنها ما هو أثر الصنعة النحوية. وهذا كله يشتت جهد التلاميذ وينفرهم من تعلم القواعد كما أنه يجعل من الصعب عليهم استيعابها وفهمها وإتقان استخدامها (٢٥، ص ١).

المشكلة (٢): وقد بذلت جهود متعددة لتيسير هذه القواعد سواء من جانب بعض الباحثين أو في إطار المجامع اللغوية والكليات الجامعية.

ولكن هذه الجهود لم تنته إلى عمل واضح متكامل يمكن أن يقوم على أساسه تعليم النحو في مدارس التعليم العام، وما زال التلاميذ إلى الآن يشكون من صعوبة القواعد النحوية واضطرابها، ومن طول الوقت الذي ينفقونه في تعلمها مع قلة العائد منها (٢٥، ص ٣٧).

ثم كانت ندوة الجزائر عام ١٩٧٦...

المشكلة، واتحاد المجامع اللغوية:

هذه الندوة التي حددت هدفها في عبارة مغايرة هي «تيسير تعليم النحو العربي (٢١، ص ١) بمعنى أنها لم تحرص على جمع مشكلات تعليم اللغة العربية بكل فروعها، بل كان حرصها وتوصياتها ومقرراتها وموضوعاتها والمناهج التي اقترحتها.. منصرفة إلى «تيسير تعليم النحو» وحده، مستفيدة في ذلك كله من خبرة المجامع اللغوية التي احتضنت قضية التيسير بشقيها: تيسير النحو، وتيسير تعليمه، مما أكسبها راعياً أميناً واعياً لها.

اللسانيات وتيسير تعليم اللغة:

وفي ندوة الرياض ١٩٧٧ طُرح جديد هو «أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية» وهذا يعني أن نستفيد من العقول الجبارة في تراث السلف وما عند العرب من علوم لسانية يمكن أن تخدم لغتنا واللغات الأخرى جمعاء بالإضافة إلى الاستفادة من التطور الذي وصلت إليه الدراسات اللغوية والتربوية في هذه البلدان المتقدمة، سعياً إلى توازن لغوي خلّاق بين الولاء للماضي العريق الفذّ، والالتزام بالحاضر المبشر بالإمكانات

الزاهية (٢٦، ص ٦٧).

وإذا كان تعليم اللغات مرهوناً بكيفيات الاكتساب، وهذه بدورها مرهونة بما ندعوه التربية اللسانية أو اللسانيات التربوية.. إذن إن مقومات ذاك التعليم: تربية ولسانيات ونظريات ومفاهيم ومناهج وتجربة..

وبعبارة الندوة نفسها بأن هناك «مجموعة من المفاهيم والتصورات العلمية وبجنبها مجموعة من المناهج التحليلية عند أقدم النحاة العرب، لا تقل أهمية عما أثبتته اللسانيات الحديثة» (٢٧، ص ١٠٤).

وفي موضع آخر: يجب على المربي «إحصاء المفاهيم التي يحتاج إليها المتعلم في مرحلة ما وتحديدها تحديداً علمياً» (٢٧، ص ١٣٠).

هذا القول وذاك يصلان بنا إلى النهاية الدقيقة في هذه السلسلة من الأمور المرهون بعضها ببعض، كما يصلان بنا إلى الجزم بأن كلمة مفاهيم لم تكن في النص عابرة، ولكنها الجزئية الأولى التي نبدأ منها البناء الفكري لنحونا العربي. وطبيعي ألا يسلم الكل ما لم يسلم الجزء أولاً. ومن هنا كانت المفاهيم محور أحدث الدراسات اليوم وأرقاها وأدقها في تطوير المواد المعرفية وكيفية اكتسابها.

ومن هنا برزت الحاجة إلى إعادة بناء المادة الدراسية النحوية في ضوء الاهتمام العالمي الحديث لدى التربويين بتعليم المفاهيم وتحديدها وتنظيمها بوصفه المدخل العلمي الصحيح لتيسير تعلم النحو، لأن تعلمها هو الأصل والمحور والأساس في كل استيعاب، ولأن المفاهيم نفسها هي الأصل والمحور والأساس في كل مادة علمية يراد إعادة بنائها.

من جهة أخرى تمر المفاهيم العلمية بالطالب والمدرس عبر مرحلتين:

مرحلة يكون المفهوم فيها هدفاً ـ تعليمياً تعلمياً ـ وذاك إبان النشاطات المؤدية إلى تشكيل المفهوم عند الطالب وترميزه بمصطلحه.

ومرحلة يكون المفهوم فيها وسيلة عقلية، أو ضابطاً ناظماً، أو معياراً مقنناً بشروطه الخاصة، لسلامة ما ينطق به الطالب أو يكتبه، مبرأ من الضعف والخطأ.

وإذا كان المصطلح «لفظاً» فإن وراء كل مصطلح «مفهوماً» هو حصيلة كل ما يتصل بذاك اللفظ من دلالة وشروط ووظيفة ومثال تطبيقي يحتذى، وناهيك بهذا معياراً.

معنى ذلك أن الطالب مستفيد من كلا المرحلتين في آن معاً، فهو يقارن، ويدرك الفروق ويربط ويصنف ويدرس الشروط، ويجرّد ويعمّم.. حتى يتشكل المفهوم عنده ويتحدد مصطلحه لديه.

ثم يحلّل، ويميّز، ويتحرّى الشروط، ويستنتج، ويحكم، ويتلمس المعنى الوظيفي.. حتى يتسنى له الاستخدام الصحيح، بإعراب قويم.

ونعني بالمفهوم الخصائص المشتركة التي يلتقي بها أفراد صنف واحد من الأشياء مثل العدد الكسر ـ الزواحف.

بناء المواد الدراسية على أساس المفاهيم:

أول ما يجب التسليم به أن فهم أساسيات العلم يعتمد أساساً على المفاهيم سواء باعتبارها نوعاً من التصميمات التي تلخص الصفات المشتركة بين الكثير من الحقائق الجزئية أو باعتبارها نقاطاً مبدئية لفهم المبادئ والقوانين والنظريات (٢٨، ص ٥).

وهذا يعني أن الاعتماد على المفاهيم في إعادة بناء المادة الدراسية يعطي ذاك البناء القدرة على تحويل المعارف إلى خبرات ومهارات تظهر في سلوك المتعلم ومناشطه في مختلف المجالات.

والمفهوم بكونه محور علاقات كلّ بجزء، مفهوم بسمة، وعلاقات جزء بكل حين ينقلب إلى سمة لمفهوم، وكلّ بكل كالمبتدأ والخبر، وهو بهذه المحورية يحرّك الكثير من العمليات العقلية فينميها كجمع الحقائق والتركيب واكتشاف العلاقات والموازنة والتعليل والربط والتصنيف والاستقراء والاستدلال والاستنتاج والتجريد والتعميم وإصدار الأحكام.

وإذا كانت دراسة المفاهيم كشفت عن أخطاء كثيرة في مفاهيم الطلاب الأمر الذي لا يتفق مع طبيعة المفهوم وطريقة تكوينه ونموه، فإن هذا يعني أنه لابد من توجيه أنظار المعلمين إلى الفروق بين أوجه التعلم المختلفة من حيث أسلوب تعلمها وبالتالي فإنه لابد عند وضع خطة التدريس من تحليل المادة العلمية لتعرف نوع متضمناتها (حقائق جزئية ومفاهيم ومبادئ ومهارات واتجاهات) ليتمكن المعلم من اختيار أساليب التدريس المناسبة لتعلم كل منها. فالحقيقة مثلاً يتعلمها الطالب عن طريق التعرف عليها مباشرة (عن طريق حواسه) بينما تعلم المفهوم يقتضي أن يمارس الطالب فيه عمليات المقارنة والتمييز والتجريد بين مواقف أو حقائق جزئية (٢٨، ص ٨٤).

وهذا ما أكدته الأبحاث التربوية والنفسية الحديثة كما عند برونر

وغالبرن وفيجوتسكي وبياجيه وهيلدا تابا.

إعادة بناء المفاهيم النحوية:

نتناول هنا مفاهيم علمية محددة المادة - وهي النحو - لتكون النموذج الحسي للنظام الذي يتوسم فيه القدرة على حل المشكلة النحوية تربوياً.

وتبنى المادة النحوية وفق الأسس التربوية والنفسية التالية:

أول هذه الأسس أو منطلقها الأول إنما هو التعريف الإجرائي للمفهوم النحوي الذي وصفناه وهو أنه «صيغة التفكير المجرد التي تعكس السمات الجوهرية لمجموعة من الكلمات ذات العلاقات القائمة بينها لتؤدي إلى فهم الظاهرة اللغوية، ويتم تكوين المفهوم النحوي من خلال تضافر هذه السمات للدلالة على الباب النحوي.

ذلك لأن التعريف السابق يتضمن في الحقيقة:

- المواد الأولية، أو العناصر التي تبنى بها القاعدة النحوية ووظيفة كل عنصر في البناء، والنمط العلائقي في طريقة تكوينه والفرضين - النفسي والنحوي - لما يمكن أن نسميه مجازاً «حركة القاعدة». ومعنى ذلك أن العناصر هي المفاهيم السابقة التأسيسية التي تشكل السمات الجوهرية للمفهوم الجديد والعلاقات القائمة بينها وأما وظائفها فهي على التوالي:

التأسيس، التشكيل، التضافر، الدلالة على الباب النحوي وأما النمط العلائقي فهو الصيغة التي تعكس السمات والعلاقات بتضافر ما بينها. وأما الفرضان، فالنفسي منهما هو التفكير المجرد، والنحوي هو فهم الظاهرة

اللغوية.

ولا تكون القاعدة النحوية حيّة فعالة إلا إذا كانت قادرة على تحريك الفكر نحو إدراك العلاقات بين الكلم.

هذا التوضيح للتعريف الإجرائي الذي وضع للمفهوم النحوي استند إلى عدد من الأسس التربوية والنفسية في ميدان بناء المفاهيم التي تبدأ بالمفاهيم التأسيسية السابقة ثم ترتيب السمات في القاعدة وبيان العلاقات من خلال تضافر السمات ليتكون المفهوم النحوي.

ومن ناحية أخرى فإن الاعتبارات التربوية يمكن إجمال الحديث عنها مجتمعة بقولنا:

هناك طبيعتان ليس بالإمكان تجاوزهما في عملية البناء هذه هما طبيعة هذه اللغة وأساليبها ونحوها وجهود العلماء فيه وطبيعة تلاميذ المرحلة الذين يدرسون هذه المفاهيم وقدراتهم العقلية إذ أن لطبيعة التلاميذ حدوداً يمكن ملاحظتها من خلال قوانين نمو المفاهيم العلمية في وعي التلاميذ، ذلك لأن عملية تكوين المفاهيم هي حركة للتفكير داخل هرم من المفاهيم تتغير باستمرار بين اتجاهين «من الخاص إلى العام، ومن العام إلى الخاص» ولكن خلال عملية عقلية تسهم فيها كل الوظائف العقلية الأولية في تضافر معين (٢٩، ص ١٩٨ - ١٩٩).

وتبدو فعاليات تكوين المفهوم ومراحله من خلال النص السابق هي نفسها المراحل والفعاليات الفكرية التي يمر بها التلميذ عندما يحل مشكلة ما. وهذا يعني أن النهج المفهومي الذي يطرح ليس غريباً على التلميذ، ولا مفروضاً عليه من خارج. بمعنى أنه إذا تم الانطلاق من سيكلوجية التلميذ،

وربطها بمراحل تكوين المفهوم مع مراعاة التوازي بينهما، فإننا نكون قد اتجهنا نحو تكوين سلوك عقلي متطور لن يلبث حتى يحل محل العادات اللغوية التي ورثها التلميذ من بيئة من غير خضوع لقواعد هذه اللغة ونحوها. ولاشك أن معرفة القناة التي يمر بها تفكير التلاميذ يطلعنا على كيفية استيعابهم للقواعد وتمثلها. ومعرفة هذه الكيفية تيسر على المعلم والمتعلم جهدهما المشترك.

هذا الاستيعاب الذي نسعى إليه ينطلق من استيعاب الأجزاء أي ـ السمات ـ لينتهي باستيعاب كلي للمفهوم، كما أنه بعد الانتقال من خاص إلى عام لابد في هذا النهج من عودة عكسية من عام إلى خاص أي من المفهوم الكلي إلى تطبيق سماته واحدة بعد أخرى على المثال، وبذلك تكون قد أوصلت المتعلم إلى الحقائق الدرسية لا بالحفظ والاستظهار ولكن بقدر من التفكير والمحاكمة العقلية. وهذا واحد من الفروق الهامة بين النحو التعليمي قديماً ونظيره المنشود حديثاً.

فالقواعد في النحو القديم «تعاريف» مكثفة مركبة تطرح كاملة لتحفظ، وهي في الجديد سمات يستوعبها التلميذ استيعاباً مرحلياً تراكمياً، سمة بعد سمة حتى تتضافر لديه ويتكون المفهوم، ومن هنا تكون القاعدة في هذا النحو التربوي الحديث على النحو الآتي:

القاعدة = مفاهيم مكونة من سمات مرتبة ذات حالات وأنواع وفق تنظيم المادة العلمية في نسق جديد، التنظيم نفسه يسهل العمليات العقلية المرافقة لاكتساب المفهوم أي يسهل التعلم ويعمق آثاره وهذا مطلب تربوي كبير ولا سيما في النحو العربي لأن بناء مفاهيمه بمقتضى هذا البحث

وتدريسه بالطريقة المفهومية سيؤديان بالتلميذ إلى أن يتعلم: كيف يتعلم النحو بطريقة نحوية لأن الطريقة أيضاً واحدة من الأسس والاعتبارات التربوية في هذا البناء (٤، ص ١٤٦).

إن التأكيد على خصوصية الطريقة هنا نظراً لمسوغين أساسيين:

أولهما: أن العلوم جميعاً يرتبط تدريسها وتعلمها بالعمليات العقلية.. الأمر الذي يجعل المقبلين على تعلمها متساوين في ذاك التعلم تقريباً، أما النحو فإن تدريسه يرتبط بالعمليات العقلية من جهة، وبجذور السليقة اللغوية الموروثة من جهة أخرى. وهذا يعطي تدريس اللغات وقواعدها مزيداً من الخصوصية في الطريقة فضلاً عن المضمون.

ثانيهما: أن وراء كل طريقة هدفاً تسير إليه، وكلما اشتد التحام الطريقة بالهدف، وزادت المواءمة بينهما كان بلوغ الهدف أسرع وأيسر وأحكم.

والهدف الذي يسير البناء وفقه هو قبل كل شيء البعد عن عملية الاستظهار الصماء ليحل محلها الوعي والاعتماد على النفس والجهد الفكري الذاتي وتكوين أنماط سلوكية في الدراسة والتعلم والتفكير والتدرج في تعليم المفهوم بتدرج تعليم سماته أي تشكل المفهوم النحوي نتيجة لتمثل سماته، وممارسة التطبيق النحوي نتيجة لتمثل القاعدة (انظر الشكل التوضيحي).

وفي هذا وضوح لارتباط طريقة التدريس بطرق التفكير ارتباطاً وثيقاً حين تنبع الطريقة من خصائص نمو التلاميذ في هذه المرحلة، ومن سيكلوجية تفكيرهم ومن تحرك نشاطهم الذاتي. وإذا ربطت الطريقة بالنشاط العقلي

للتلاميذ تكون قد ربطت المادة العلمية نفسها بالنشاط العقلي أيضاً. والنحو مادة دراسية تعتمل فيها أوابد اللغة، وموروثات الأمة النفسية والاجتماعية، وأنماط التفكير والتعبير الخاصة بها، وموسيقا النطق، وقسط غير قليل من المنطق.. مما يجعل التعويل على حركة الفكر في تعلم النحو بوجه خاص مطلباً أساسياً كبيراً، لاسيما في عملية تشكل المفاهيم النحوية في ذهن التلاميذ.

المراجع

١- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.

٢- أبو البقاء الكفوي: الكليات، دمشق، نشر وزارة الثقافة السورية ج/٤ ، ١٩٧٦.

٣- صدّيق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، دمشق، وزارة الثقافة السورية ج/١، ١٩٧٨.

٤- حورية الخياط: إعادة بناء مفاهيم النحو في المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة ـ عين شمس ١٩٨٢.

٥- طلعت منصور: التعلم الذاتي وارتقاء الشخصية، القاهرة، الجهاد العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار (بلا تاريخ).

٦- ابن خلدون: المقدمة، مصر، المكتبة التجارية، (بلا تاريخ).

٧- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، القاهرة، الانجلو المصرية ١٩٥٨.

٨- مازن المبارك: نحو وعي لغوي، دمشق، مكتبة الفارابي، ١٩٧٠.

٩- محمد الخضر حسين دراسات في العربية وتاريخها، دمشق، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح، ١٩٦٠.

١٠- علي النجدي ناصف: من قضايا اللغة والنحو، القاهرة، نهضة مصر ١٩٥٧.

١١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مصر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ج/ ١٣ ١٩٣٦- ١٩٣٨.

١٢- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصر، مكتبة القاهرة، سنة ١٩٦١.

١٣- عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والحديث، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦.

١٤- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧.

١٥- ابن فارس: الصاحبي، تحقيق مصطفى الشويحي، بيروت، نشر بدران، سنة ١٩٦٤.

١٦- تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

١٧- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، القاهرة، دار العروبة، ١٩٥٩.

١٨- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج/ ١ ١٩٥٢.

١٩- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧.

٢٠- صالح الخرفي تيسير تعليم اللغة العربية، سجل ندوة الجزائر، القاهرة، دار شوشة للطباعة ١٩٧٧.

٢١- اتحاد المجامع اللغوية مقترحات تيسير المناهج الدراسية، سجل ندوة الجزائر، والقواعد العملية دار شوشة للطباعة١٩٧٧.

٢٢- إبراهيم مصطفى وآخرون: تحرير النحو العربي، مصر، دار المعارف (بلا

تاريخ).

٢٣- وزارة التربية والتعليم المركزية: مناهج النحو التي أوصت بها حلقة تيسير النحو، القاهرة في فبراير ١٩٦١ (استنسل).

٢٤- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية، عمان، نوفمبر ١٩٧٤.

٢٥- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ندوة خبراء ومسؤولين لبحث وسائل تطوير إعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٧.

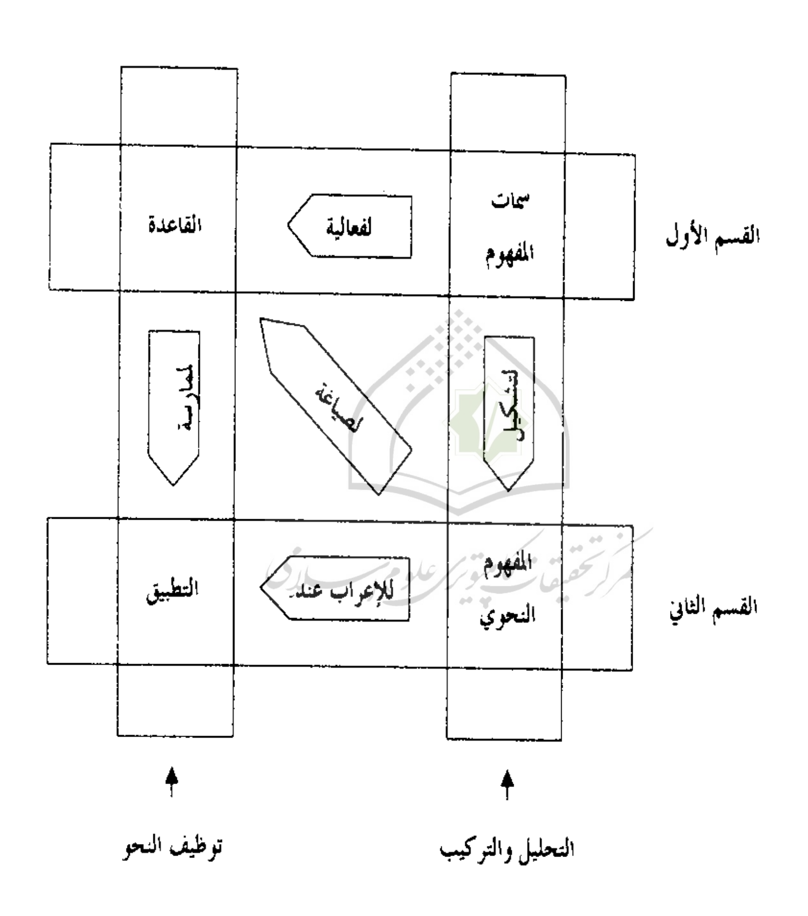
٢٦- حسام الخطيب: هموم اللغة العربية في عصرنا، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي العدد ١٧٨، ١٩٧٦.

٢٧- عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية، ندوة خبراء ومسؤولين وسائل تطوير إعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة ١٩٧٧.

٢٨- رشدي لبيب: نمو المفاهيم العلمية، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٤.

٢٩- ل. ب فيجوتسكي: التفكير واللغة، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٦.

الشكل التوضيحي



العلل التعليمية وأهميتها في النحو العربي

الدكتور سعد الكردي

ارتبط التعليل النحوي بمدلوله اللغوي، وهو السبب، من قولهم : هذا علة لهذا: أي السبب[1]

والعلة في مطلق معناها هي: «ما يتوقف عليه الشيء سواء كان المحتاج: الوجود أو العدم أو الماهية»[2].(والتعليل في العلوم قاطبةً يقوم على اقتران الظواهر أي أنه إذا ما اقترنت ظاهرتان وجوداً أو عدماً فإنهم يعتبرون إحدى الظاهرتين علة وسبباً للأخرى. وهذا ما تقتضيه بداهة العقل الإنساني)[3]

ويُراد بالعلة النحوية: «تفسير الظواهر اللغوية، والنفوذ إلى ما وراءها،وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه»[4] .

والإنسان مفطور على حب السؤال، وطلب الاستفسار عن الأسباب المؤدية إلى الظواهر، ومن ميزاته العقلية مراقبة الجزئيات،وجمع المتشابه منها لإطلاق الحكم العام عليها،فيصل بالظاهرة إلى القاعدة العلمية، وقد يكون التعليل قديماً مرافقاً للحكم النحوي منذ وجوده،وغرضه ضبط الظواهر بقواعد العلم وأحكامه[5] .

وهناك من توسّع في إيضاح مفهوم التعليل في النحو العربي، فبيَّن أنه

بحث عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر اللغوية، والقواعد النحوية، يتسم بجزئية الموضوع والنظرة،ولا يسلك جزئياته المعللة في إطار كلي،وهو يتوافق مع القاعدة النحوية، ولايناقضها، بل يسوّغها ويشرح بواعثَها وأهدافها،ويقف عند النصوص اللغوية المرويّة عن العرب أو المفترضة من قبل النحاة، مساوياً في المروي بين الفصحى واللهجات[٦] .وللعلة في كلامهم صور شتى يجمع ما بينها معنى السببية. فأطلقوا اسم العلة على مختلف القواعد والقوانين النحوية التي استنبطوها من استقراء كلام العرب، من ذلك قوانين الإعراب مثل رفع الفاعل ونصب المفعول به، وجر المضاف إليه، إلا أن هذا المفهوم توسع عند نحاة آخرين متجاوزاً قوانين الإعراب، ليشمل تعليل كل ما ليس من قبيل الإعراب، مما يرتبط بالعامل على صعيد الألفاظ المفردة أو العبارات المركبة، وارتباط عناصرها بعضها ببعض[٧] وهذا يعني أن العلل النحوية بصورتها البسيطة، قد رافقت في الأساس نظرية العوامل، بل امتزجت بها، فصعب على المرء التمييز بينهما.

وهناك من يجعل ظاهرة التعليل الفطرية البسيطة ترافق عمل أبي الأسود الدؤلي في البذور التي وضعها للحد من ظاهرة اللحن التي أخذت بالانتشار[٨] .

والأقرب إلى الصواب ربط ظاهرة التعليل في النحو العربي بعبد اللّه ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) لأن النحو في عهد أبي الأسود وتلاميذه كان يؤخذ تلقياً من دون تعليل. ويؤيد هذا أن الحركة العلمية التي واكبت نشأة النحو العربي بمظاهرها الدينية، والأدبية، والفكرية، كانت في أول عهدها بسيطة ساذجة تؤخذ تلقياً عن أعلامها بلا تعليل [٩].

ولذلك قال ابن سلام: وكان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي [١٠] ومفهوم العلة لا يتجاوز معناه التعليميّ الذي يُراد منه معرفة كلام العرب، بمعرفة أن كلّ فاعل مرفوع، وكل مفعول به منصوب وكل مضاف إليه مجرور [١١]. فلم يَعُد يكتفي بالتلقين وما فيه من عفوية وبساطة، ونقل عن السابقين، بل أصبح يتطلع إلى الأسباب والعلل، وحاول أن يشرح الظاهرة اللغوية ليبيّن المؤثرات التي أدّت إلى وجودها. ومصداق ذلك تعرضه للفرزدق وطلبه إليه أن يبيّن له السبب الذي دفعه إلى رفع كلمة (مُجَلَّف) من قوله:

وعضُّ زمانٍ يابنَ مروانَ لم يَدَعْ ... من المالِ إلا مُسْحتاً أو مُجَلَّفُ[١٢]

ثم جاء عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ)، واعتمد على التعليل لتسويغ أصوله في الاختيار [١٣] وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) واعتمد على التعليل في مذهبه النحوي وكان تعليله على شاكلة تعليل من سبقه لا يتجاوز معرفة كلام العرب[١٤].

وهذا يدلّ على أن التعليل بات واضح المعالم في مسيرة النحو العربي، وأصبح من الأسس التي اعتمدها النحاة في مذهبهم، لكن عللهم لم تتجاوز أن تكون عللاً تعليمية يُراد منها كلام العرب وضبطه، والاتساع به.

وما إن جاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) حتى نضجت العلة في النحو العربي وكثرت واتسع نطاقها، وهذا ناتج عن نضج الحركة العلمية التي واكبت مسيرة الدرس النحوي عند العرب في هذه المرحلة، ولم ينتج ذلك عن تأثر النحاة بالآثار الأجنبية - كما يزعم بعضهم - إذْ إنَّ العلوم الدينية والأدبية واللغوية والفكرية قد نضجت عند

العرب في هذه المرحلة، فالأحاديث النبوية بعد أن جمعت أخذت تصنّف على أبواب الفقه، وأخذت المسائل الفقهية تزداد وتدور حولها الآراء وتختلف نتيجة لاتساع نطاق الثقافة، فكَثُر الجدل، واشتغل العلماء بالنظر والاستدلال، وأكثروا من إيراد الشبه بأجوبتها، ووضعت القواعد والأصول، ورتّبت الأبواب والفصول، وضبط الفقه، ودونت أحكامه على يد الأئمة الكبار[١٥].

وشهدت هذه المرحلة تصنيف مفردات اللغة في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع، مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف، كما شهدت وضع المعاجم العامة الشاملة المنظّمة على يد العبقري الملهم الخليل بن أحمد في وضعه كتاب العين[١٦].

واستوى الكلام على سوقه: وآتى أُكُله نتيجة لما دار بين الفِرَق المختلفة من قدرية وجبرية، ومرجئة ومعتزلة من جدال طويل حول مسائل متعددة؛ مما أدّى إلى صبغ العقل العربي بالصبغة الجدلية، ومرّنه تمريناً واسعاً على دقة التعليل والمهارة في استنباط المعاني ودقائقها، والبراعة في تشعيبها وتوليدها، وروح المناظرة التي غلبت في الأوساط العلمية وانتشرت، ولم تقتصر على مسائل العقيدة فحسب بل وجهت المسائل اللغوية والنحوية وجهات جديدة فيها نظر وبحث ومناقشة[١٧].

هذه الأسباب مجتمعة أدّت إلى اتساع أسلوب التعليل في النحو على يد يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد ونضج العلة يدل على اكتمال الدرس النحوي، لأن العلة تفسير للظواهر اللغوية، المستقراة من كلام العرب، وتحليل لها. وعلى الرغم من الاتساع الذي أصابها بقي مفهومها تعليمياً

مرتبطاً بالواقع اللغوي، مسوّغاً لـه ومفسـراً. مثـل تعليـل يونـس بـن حبيـب العطف بالرفع على اسم (إنّ) في قولك: إن زيداً فيها وعمـروٌ، بمعنى وعمرٌو فيها [١٨]. وتعليله قول العرب: من أنت زيداً؟ فزعم أنه علـى قولـه: مـن أنـت تذكر زيداً؟ ولكنّه كَثُر في كلامهم واستعمل، واستغنوا عن إظهاره[١٩] .

فتعليله ليس فيه تكلف، ولا يجنـح إلى تفسـير الظواهـر علـى غـير مـا تحتمل لأنها تعتمد أساليب الكلام العربي وطبائعه. وكثيراً ما يقترن بالسماع بقوله في نهاية تعليله: «وهكذا سمعنا من العرب»[٢٠].

وأما الخليل بـن أحمـد فكـانت العلـة في نحـوه سـنداً لمـا يسـتنبطه مـن أحكام، وتدلّ على دقة فهمه لأسرار اللغة مفردة ومركبة، وأكثر منـه كـثرة لم يصل إليها أحد من سابقيه [٢١]. وأخـذ التعليـل علـى يـده صفـة المنهـج، وأكّد ضرورته، وحثّ على ملاحظته، ووسع نطاقه [٢٢]. بـل إنـه تـرك بـاب الاجتهاد مفتوحاً في استنباط العلل لمن جاء بعـده [٢٣] ومـن تعليلـه أنّ (إنْ) أم حروف الشرط، وأنها الأصل ومـا سـواها توابـع لهـا، مـن قبـل أن . روف الشـرط قـد يتصرفْـنَ فيكـن استفهاما (مثـل مَـنْ ومـا حـين يكونـان اسمـي استفهام) ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء (مثل أين وحيث وكيف الـتي لا تستعمل في الشرط إلا مضافاً إليها «ما») و(إنْ) على حال واحدة لا تفارق المجازاة[٢٤].

وتتميز العلة عنده بكثرة ركائزها اللغوية، مثل دفع الالتبـاس، وإيثـار الخفة، والتعويض، واعتماد الدلالـة، والبنيـة الخارجيـة، والظواهـر الصوتيـة، والتوهم[٢٥].

وهذا يعني أنّه «لم يخرج الخليل ومن تـابعوه في تعليلاتهـم النحويـة أو

معظمها على الأصل الذي يقوم عليه التعليل في العلوم قاطبة، وهو أنه إذا ما اقترنت ظاهرتان وجوداً أو عدماً فإنهم يعتبرون إحدى الظاهرتين علة وسبباً للأخرى، وهذا ما تقتضيه بداهة العقل الإنساني»[٢٦].

أما سيبويه (ت ١٨٠هـ) فقد حوى كتابه تعليلات كثيرة، منها ما كان يعلل بها للقواعد المطردة ومنها ما يعلل به للأمثلة التي تخرج على تلك القواعد، ولذلك يقول: «وليس شيءٌ يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً»[٢٧]. وهو لا يلجأ إلى التعليل المنطقي المتسم بالتجريدية، ولا إلى التعليل العقلي المتعب، وإنما هو تعليل فطري في متناول الكثير، مُسْتَمَدّ من فهم النص فَهْماً لا تُكلُّف فيه ولا صنعة [٢٨]. وعلله مثل علل الخليل تتميز بكثرة ركائزها اللغوية مثل العدل، ومراعاة الأصل، ودفع اللبس، ومراد المتكلم، وحال المخاطب، وطبيعة الشيء، وغلبة الكثرة، ومقتضى المشابهة، والخلاف....[٢٩].

من ذلك تعليله لكون الوجه في اسم كان معرفةً مثل: كان زيدٌ حليماً... وقولهم: كان إنسانٌ حليماً. فيه إلباس[٣٠]، وتعليله امتناع الاقتصار على أحد مفعولي الأفعال القلبية التي تفيد يقيناً أو ظناً مثل: رأيت زيداً [٣١] وتعليله لاقتصار من يعمل فعل القول إعمالَ الظنِّ على إعماله ذلك إذا كان مضارعَ مخاطبٍ مُسْتَفْهِماً عنه: مثل: أتقولُ الدارَ جامعةً؟ [٣٢].

فمثل هذه العلل عند سيبويه تعلمنا وجه الكلام الصحيح التام، وتطلعنا على أساليبهم وطرائقهم في التعبير الذي يجمع بين سلامة التركيب وصحة المعنى.

وبعد سيبويه بقليل أفردت للعلة كتبٌ خاصة بها [٣٣] وأخذت تلفت

أنظار النحويين، وتدور على ألسنتهم بكثرة بين موضوعات النحو، ومن الكتب الجامعة للعلة كتاب«الإيضاح في علل النحو» للزجاجي (ت ٣٣٧هـ).

وقد جمع مؤلفه فيه العلل النحوية التي عرفت حتى عصره، سواء ما اتصل منها بالحدود وأحكام الإعراب، وما اتصل منها بالفروض والظنون الجدلية[٣٤].

وتأتي أهمية العلة من خلال اتصالها بالقياس النحوي الذي هو حمل غير المنقول على المنقول في الحكم لعلة جامعة [٣٥]، ذلك أنه لا قياس بلا علة، ولتلك العلة أهمية كبيرة في الدرس النحوي، فاهتمّ بها كبار أئمة النحو - كما مر سابقاً - فأكثروا من الحديث عنها، وغدت علما له كتبه وشروطه، وأسسه، ومسالكه، وأنواعه؛ وبلغ الاهتمام بها غايته في كتاب الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي نظر لها تنظيراً دقيقاً، فتكامل الكلام فيه عليها.

أسباب نشوء التعليل:

وتضافرت عدة أسباب أدت إلى نشوء التعليل في النحو العربي، وتطوره، حتى غدا كما مر سابقاً علماً له كتبه وشروطه وأسسه ومسالكه وأنواعه ومرتكزاته، والباحث في طبيعة تلك الأسباب يجد أنها تعليمية أو تكاد أن تكون تعليمية، ومن تلك الأسباب:

١- قواعد التوجيه: يبدو أن منشأ العلل قواعد التوجيه، لأن التعليل يتمّ دائماً في ضوئها وينسجم معها لأن العلل تسوّغها وتفسرها، ويعني هذا أن

قواعد التوجيه تمثل الغايات التي تسعى إليها علل النحو التعليمية[٣٦].

٢- تعليل حركات الإعراب: من المسلّم به أن العرب كانوا ينطقون لغتهم سليقة وسجية، ولا حاجة بهم إلى قواعد يضبطون بها الألسنة، بل كان عمادهم في ذلك المحاكاة على الفطرة السليمة، يشب الناشيء، فتملأ العبارات الصحيحة سمعه، ويطلق بها لسانه، فتجود قريحته بسليم التراكيب، ومنسجم العبارات. وبقي العرب على تلك الحال حتى أظهر الله الإسلام، فاجتمعت فيه الألسنة المختلفة، ففشا الفساد في اللغة، وأخذ يتسرب اللحن إلى قراءة القرآن، وأحاديث الناس، فكان أثر ذلك عليهم شديداً، فبادروا إلى إعراب القرآن وضبط كلماته بنقط يثبتونها على أواخر الكلمات تدل على حركاتها، فأطالوا لذلك النظر في أواخر الكلمات حتى اهتدوا إلى سرٍّ من أسرار العربية، وهو أن هذه الحركات ترجع إلى علل وأسباب يطرد حكمها في الكلام. ويمكن الرجوع إليها والاحتجاج بها، فأظهروا فيها المرفوع والمنصوب والمجرور من الكلام ليتعلمه من فسد لسانه باللحن ليلحق بأهل الفصاحة[٣٧].

٣- كون العلة ركناً من أركان القياس، والقياس أصل مهمّ من أصول النحو العربي،أو هو النحو كما قال الكسائي: «إنما النحو قياس يتبع»[٣٨]، والقياس حمل فرع على أصل في الحكم لعلة جامعة، وقر في أذهانهم أنه لا قياس بلا علة، من هنا أتت أهمية العلة، فتسارع النحاة إلى استنباطها من تلك الظواهر اللغوية، حتى امتلأت بها أمهات كتب النحو، موقنين أن العرب كانوا يبنون عليها أحكام لغتهم.

٤- نضج الدرس النحوي عند الخليل، واكتمال أصوله وفروعه في

كتاب سيبويه، وأثر ذلك في تلاميذ سيبويه ومن أتى بعدهم، جعلهم في قناعة تامة أنّ النحو وصل إلى الغاية، فلجأ أغلب النحاة إلى الأحكام النحوية الواردة في الكتاب يحللونها، ويفسرونها، ويجعلونها ترتكز على دعائم من الأهداف التي توخت اللغة تحقيقها، ليؤكدوا ما في اللغة العربية من خصائص، وما لها من امتياز، فتجلى عملهم هذا من خلال تعليل ظواهر اللغة [٣٩].

٥- تعميق فَهْم الظواهر النحوية: العلة النحوية تؤدي إلى تعميق فَهْم الظواهر النحوية، لأنها تفسرها وتشرحها وتسوّغها، ولذلك تراها بعضُ المدارس اللغوية الحديثة مثل مدرسة القواعد التحويلية: (ضرورية لتعميق الفهم، ويرون حرمان البحث العلمي منها محاباة للدقة في العرض على حساب العمق في الفهم) [٤٠]. فتعليل الظواهر ذروة البحث العلمي وغايته، فما نفع العلم إن لم يتمكن من تحليل ظواهره وتفسيرها؟.

٦- إنجاح عملية التعليم: فكثيراً ما كان شداة العلم في حلقات الدرس يتساءلون عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر اللغوية، فيأتي شرح المعلمين وتفسيرهم وتعليلهم إجابة عن تلك التساؤلات. وكثيراً ما كان القارئ أو المتكلم يقع باللحن في أثناء الدرس، فيأتي تصحيح المعلم تعليلاً، كأن ينصب القارئ المرفوع، فيصحح له المعلم بالرفع، فيسأل الطالب لماذا؟ فيجيبه المعلم لأنه فاعل، وإذا لم يحصل مثل ذلك لا تكون العملية التعليمية ناجحة.

أصالة التعليل النحوي عند العرب:

تلك الأسباب مجتمعة تدل على أن نشأة التعليل ودوافعه، كانت

عربية إسلامية، نتيجة للظروف المحيطة بـالدرس النحـوي عنـد العـرب، الـتي نشأ فيها وترعرع، ونتيجة لما هيأته من استجابات دينيـة وعاطفيـة وعلميـة، وراء الفكرة الـتي تُعَـدّ السـبب الأساسـي في نشـأة التعليـل النحـوي، وسـبباً رئيسياً من أسباب استمراره وتطوّره دون أي تأثير غير عربي[٤١].

وهذا يعني أن عللهم عربية الأصل والنشأة، استقاها العـرب مـن ذات أنفسهم، و لم يأخذوها عن غيرهم بل كانت وليدة قرائحهم، وهذا ما قصده الدكتور مازن مبارك بقوله:

«ولسـت أعتقـد أن هـؤلاء المعلمـين الأول يسـتقون العلـل مـن عنـد غيرهـم- كما هو الأمر عند أكـثر الذيـن أتـوا بعدهـم- وإنما كـانت وليـدة قرائحهم، وكانوا أصحابها ومخترعيها»[٤٢].

ولكن على الرغم من كل هذا فقد أبى بعض البـاحثين إلا الادعاء: بأن مبدأ التعليل في النحو العربـي مـأخوذ عـن الفلسـفة اليونانيـة، فهذا جورجي زيـدان يقـول: «والغـالب في اعتقادنـا أن تعليـل الإعـراب لم ينضـج إلا بعـد نقـل كتـب الفلسـفة اليونانيـة إلى العربية في العصر العباسي الأول»[٤٣].

وهذا مجانب للصواب لأن العلة النحوية نضجت على يـد الخليـل بـن أحمد (ت ١٧٤هـ) نتيجة لنضج الحركة العلمية عند العرب بمظاهرها الدينيـة والأدبية واللغوية والفكريـة، و لم تكـن في عهـد الخليـل قـد ترجمـت الكتـب الفلسفية المنطقية، بل دخل المنطق اليونـاني إلى البيئـة العربيـة في القـرن الثـالث الهجري و لم يؤثر في الثقافة العربية ويستحكم بها إلا في نهاية القـرن الثـالث الهجري، على حين عرف مبدأ التعليل في النحـو العربـي ـ كمـا مـر سابقاًـ

عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)، وأخذ ينمو بقوته الذاتية حتى نضج عند الخليل، واكتمل في كتاب سيبويه، وليس بتأثير الفلسفة اليونانية[٤٤].

وكذلك المرحوم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور يجعل مبدأ التعليل فلسفياً عندما قال وهو يتحدث عن أركان القياس: «ومثل واحد من هذه الأصول كافٍ في توضيح ذلك ألا وهو مبدأ العلية، وقد كان لهذا المبدأ شأن في النحو العربي لايقل عن شأنه في المنطق الأرسطي، ذلك لأن العلة هي الدعامة التي يقوم عليها القياس النحوي والمنطق. وما نظرية العامل إلا وليدة مبدأ العلية الفلسفي»[٤٥].

إن العلل التي وقفنا عليها عند النحاة منذ أن وجدت العلة على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي إلى أن نضجت في كتاب سيبويه كانت عللاً تعليمية بسيطة تهدف إلى تعليم كلام العرب، ولم تتجاوز هذا المفهوم، ولذلك لم تكن فلسفية، بل لم تعرف العلل الفلسفية في النحو العربي إلا عند نحاة القرن الرابع الهجري.

والدكتور محمد عيد يعد التعليل النحوي صدى للتعليل المنطقي، فيقول: «إن التعليل النحوي لم يسلك طريق الفقه أو علم الكلام حتى وصل إلى النحو، بل هو صدى للتعليل المنطقي من ناحية وللمجهوذ الفكري العام الذي فرض سلطانه على الباحثين في الدين واللغة فيما بعد»[٤٦] ويتابع قوله مقتبساً من الدكتور تمام حسان ليقول: «وإن ذلك التأثير المنطقي هو امتداد لتأثير كتاب أرسطو في التحاليل الثمانية الذي فصل فيه القول عن العلة وأقسامها المادية والصورية والفاعلية والغائية»[٤٧] ثم

يقول: «وهذه الأخيرة هي التي اتسمت بها العلة النحوية»(٤٦) وهذا الرأي يجانب الحقيقة، لأن المتتبع لحركة الترجمة عامة، ولترجمة كتب أرسطو خاصة يجد أن كتب أرسطو لم يُباشَرْ في ترجمتها إلا في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، حيث كان النحو العربي قد اكتملت أصوله وفروعه في عهد الخليل بن أحمد (ت ١٧٤ هـ)، وتجلّى ذلك أثراً مدوّناً في كتاب سيبويه (١٨٠هـ)، وكانت بذور العلل قد ظهرت قبل ذلك في آثار عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) بصورتها التعليمية المناسبة للبحث النحوي المرتبطة بالواقع اللغوي دون أن تتجاوزه.

وهذا يعني أن هؤلاء النحاة لم يطلعوا على كتب أرسطو لأنها لم تكن مترجمة، في عهدهم، فمبدأ التعليل عندهم كان معروفاً قبل ترجمته، فمن أين لهم أن يطلعوا عليه؟ وعلل هؤلاء تختلف عن علل المتأخرين الذين تأثروا بالفلسفة ومنطق أرسطو، أما عللهم فلم تتجاوز أن تكون وصفاً للواقع اللغوي وتفسيراً له.

أضف إلى ذلك أن التعليل مأخوذ أصلاً عن الأعراب، وقد عقد ابن جني في كتابه (الخصائص) باباً في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها، وحملناه عليها. وقد صدّره بقوله: «اعلم أن هذا في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة، وللنفس به مُسْكة وعِصْمَة، لأن فيه تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا، وهو أحزم بها وأجمل، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلفت ماتكلفته، من استمرارها على وتيرة واحدة، وتقرّيها منهجاً واحداً تراعيه، وتلحظه، وتتحمل لذلك مشاقه

وكُلَفَهُ، وتعتذر من تقصيرٍ إن جرى وقتاً منها في شيء منه»[٤٨].

وهناك أدلة تؤكد ذلك على الرغم من أن الأعراب لم يبوحوا إلا بالقليل منه، من ذلك مااستدل به نقلاً عن سيبويه:

«وقال سيبويه حدثنا من نثق به أنّ بعض العرب قيل له: أما بمكان كذا وكذا وَجْذٌ؟ فقال: بلى وِجَاذاً، أي أعرف بها وجاذاً، وقال أيضاً: وسمعنا بعضهم يدعو على غنم رجل، فقال: اللهم ضَبُعاًوذئباً، فقلنا له: ماأردت؟ فقال: أردت اللهم اجمع فيها ضَبُعاًوذئباً، كلّهم يُفَسّرُ ماينوي». ثم عقّب على ذلك بقوله: «فهذا تصريح منهم بما ندعيه عليهم وننسبه إليهم»[٤٩].

ومنه ماحكاه الأصمعي عن أبي عمرو أنه قال: «سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ قال نعم، أليس بصحيفة؟»[٥٠]. وعلّق ابن جني على هذا الخبر فقال: «أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظروا، وتدربوا، وقاسوا، وتصرفوا، أن يسمعوا أعرابيا جافيا غفلا، يعلل هذا الموضع بهذه العلة، ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره، فلا يهتاجوا هُم لمثله، ولا يسلكوا فيه طريقته فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا، وقد شرّع لهم العربي ذلك، ووقفهم على سمته وأمّه»[٥١].

وهذا وأشباهه يدلّ على أنه وقر في نفوس النحاة أن العرب الفصحاء كانوا يدركون علل ما يقولون، وأنهم كانوا يعللون بعض مايقولون، ومن ثم جعل النحاة نص العربي على العلة، أو إيماءه إليها مسلكاً من مسالك العلة، ويوضح موقف النحاة من هذا قول سيبويه: «وليس شيءٌ يُضْطَرون

إليه إلا وهم يحاولون به وجهـا»[٥٢] ولعل سيبويه في رأيه هذا تابع رأي أستاذه الخليل بن أحمد الذي سئل ذات مرة: أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها من نفسك؟ فأجاب: «إن العرب نطقت على سجيتها، وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها»[٥٣].

فهذه العلل التي علل بها القوم النحو العربي بعيدة كل البعد عن التعليل الفلسفي لأنها علل تطرد على كلام العرب، تقبلها النفس، وينطوي الحس على الاعتراف بها، وهي مواطئة للطباع، وقد ظهر ذلك في قول ابن جني: «ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله والحسُّ منطوٍ على الاعتراف به، ألا ترى أن عوارض مايوجد في هذه اللغة شيء سبق وقت الشرع، وفُزع في التحاكم فيه إلى بديهة الطبع، فجميع علل النحو إذاً مواطئة للطباع»[٥٤]. ولذلك قال الدكتور مازن مبارك: إن تلك العلل منذ نشأتها حتى القرن الثالث الهجري «مستمدة من روح اللغة، معتمدة على كثرة الشواهد من حيث الدليل والبرهان، وعلى الفطرة والحسّ من حيث طبيعتها، ولم تكن ذات طبيعة فلسفية، وإن كانت فكرتها في الأصل مقتبسة من التفكير الفلسفي»[٥٥].

ويؤيد موقف هؤلاء النحاة الآخذين بمبدأ التعليل المرتبط بطبيعة اللغة، علم اللغة الحديث، وخصوصاً العلل التي تقوم على الخفة والثقل، والاقتصاد اللغوي، كما يؤيد شطراً منها علم النفس التجريبي، وخصوصاً ما يقوم منها على مرتبة الأولوية في النفس، والأصل والفرع، وأحقية الأصل بالتقدم على الفرع، كما يؤكد التعليل بوجه خاص أصحاب مدرسة القواعد التحويلية، فيرونه ضرورياً لتعميق الفهم، ويرون حرمان البحث اللغوي منها محاباة

للدقة في العرض على حساب العمق في الفهم[٥٦].

وقد قسم النحاة العلل إلى ثلاثة أقسام: العلل التعليمية وسماها بعضهم العلل الأول؛ والعلل القياسية وسماها بعضهم العلل الثواني؛ والعلل الجدلية، وسماها بعضهم العلل الثوالث أو علة العلة[٥٧].

ويهمنا كما ظهر من الكلام السابق القسم الأول من هذه العلل وهو العلل التعليمية أو العلل الأول لأهميتها في الدرس النحوي، وتأكيداً لما سبق هي التي تفيدنا الأحكام الإعرابية، كرفع الاسم بكونه فاعلاً أو نائباً عن الفاعل، أو مبتدأ أو خبرا، ونصب الفضلة أو ماشابه في اللفظ الفضلة[٥٨]، وجر المضاف إليه وغير ذلك[٥٩] وهي علل ضرورية موجبة أو غير موجبة، وعليها مقادُ كلام العرب، تحقق غاية النحو العربي فَيُتَوَصَّل بها إلى تَعلُّم كلام العرب، والاتساع به، وهي علة مستقيمة؛ لأنها تعطينا الحكم في الباب وطبيعته، أي تصف حكم الباب: الفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، والمضاف إليه مجرور وهكذا... فهي تعليمية لأنها تعلم الناشئة النحو الذي غايته صحة النطق عند المتكلم، وفهم كلام العرب، وهذا ماعبر عنه ابن السراج في أثناء حديثه عن أقسام العلة، فقال: «واعتلالات النحويين على ضربين: ضرب هو المؤدي إلى كلام العرب كقولنا: كل فاعل مرفوع...»[٦٠].

وفصّل ذلك الزجاجي في أثناء حديثه عن علل النحو وأقسامها، فقال: «وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية. فأما التعليمية فهي التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تعلم كلام العرب، لأنّا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظاً، وإنما سمعنا بعضاً

فقسنا عليه نظيره، مثال ذلك أنّا لمّا سمعنا قام زيد فهو قائم، وركب فهو راكب، عرفنا اسم الفاعل فقلنا: ذهب فهو ذاهب، وأكل فهو آكل، وما أشبه ذلك، وهذا كثير جداً وفي الإيماء إليه كفاية لمن نظر في هذا العلم. فمن هذا النوع من العلل قولنا: إن زيداً قائم، إن قيل: لم نصبتم زيداً؟ قلنا: بإنَّ؛ لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر؛ لأنّا كذلك علمناه ونعلمه. وكذلك قام زيد. إن قيل: لم رفعتم زيداً؟ قلنا: لأنه فاعل، اشتغل فعله به فرفعه. فهذا وما أشبهه من نوع التعليم، وفيه ضبط كلام العرب»[٦١] . كما بيّن ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الغاية من هذه العلة فقال: «والفرق بين العلل الأول والعلل الثواني أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر» [٦٢]. وبيّن في موضع آخر أنّ المرفوع والمنصوب والمجرور من كلام العرب يعلم بهذه العلل: «فإن قيل للاسم أحوال يرفع فيها، وأحوال ينصب فيها، وأحوال يخفض فيها قيل: إذا كانت تلك الأحوال معلومة بالعلل الأول، الرفع بكونه فاعلاً أو مبتدأ أو خبرا، أو مفعولاً به لم يُسمَّ فاعله، والنصب بكونه مفعولاً، والخفض بكونه مضافاً إليه»[٦٣]. وبهذا النوع من التعليل تهتمّ الدراسة الوصفية؛ لأنها تصف الظواهر ولا تتجاوز الطبيعة اللغوية مثل تنوين الاسم بأنه اسم، وهي العلل المطردة في كلام العرب، والاطراد في الأصول هو الغرض الذي من أجله ألف أبو بكر بن السراج كتابه «الأصول في النحو» على حدّ قوله: «وغرضي في هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا اطّردت وصل بها إلى كلامهم فقط...» [٦٤]. والتعليل التعليمي- في مراحله الأولى- تعليل جزئي، لم يصل إلى مرحلة الشمول والكلية وهو يوافق القواعد النحوية ولا يتعارض معها، بل يشرح

بواعثها وأهدافها، ولا يتجاوز ذلك إلى التأثير فيها أو تبديلها، ويحترم النصوص اللغوية المروية عن العرب أو المفترضة من قبل النحاة، مساوياً في المروي بين الفصحى واللهجات[٦٥] يسعى إلى طرد الظواهر لإبعاد سمة التضارب عن جزئياتها إلاّ إذا تضاربت النصوص التي تبدأ منها وترتكز عليها، وإذا حصل اختلاف في القواعد فلا يكون ناتجاً عن التعليل، وإنما يمتدّ بالضرورة عن عدم اتساق الظواهر الموصوفة، ويعود عدم الاتساق في الظواهر في أكثر الأحيان إلى الخلط في مستويات الأداء اللغوي، وعدم التمييز بين المستوى اللغوي ومستوى اللهجات، واعتبار المستويين يمثل الفصحى، فلم يتناول النحاة اللغة إلا على أنها مجموعة اللهجات القبلية، ولذلك فإنّ مابين العلل من خلاف قليل يمتد عن التصور الخاطئ للغة، ولا يمثل ركيزةً كبيرةً يقوم عليها الاختلاف في التعليل[٦٦].

وفي عهد الخليل وسيبويه تطور التعليل، وساعَدَ على تطوره فراغ النحاة من عملية التقعيد النحوي لظواهر اللغة، والتفاتهم إلى تعليل هذه القواعد، فشمل تعليلهم معظم ظواهر اللغة، وتعمقوا في ذلك، واتسم بالكلية مثل محاولة تفسير الحركة الإعرابية تفسيراً صوتياً كما فعل قطرب[٦٧] ، أو تفسيراً دلالياً كما فعل سيبويه[٦٨] . ورغم تطور التعليل بقي محترماً للقاعدة النحوية، وصلته بها صلة تسويغ وتفسير، ولا يتجاوز ذلك إلى التأثير فيها بالتغيير أو التبديل، كما بقي متسماً بالتعليمية.

والعلل التعليمية لا تقتصر على قضايا النحو، بل تشمل قضايا الصرف كذلك، وقد وصف ابن جني تلك العلل بأنها موجبة ومجوّزة فقال: اعلم «أن علل النحويين على ضربين: أحدهما واجب لابد منه، لأن النفس لا

تطيق في معناه غيره. والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه وهو ما لابد للطبع منه؛ من ذلك قلب الألف واواً للضمة قبلها، وياء للكسرة قبلها. أما الواو فنحو قولك في سائر: سويئر... وأما الياء فنحو قولك في تحقير قرطاس وتكسيره: قريطيس، وقراطيس. فهذا ونحوه لابد منه من قبل أنه ليس في القوة ولا احتمال الطبيعة وقوع الألف المدة بعد الكسرة ولا الضمة. فقلب الألف على هذا الحد علته الكسرة، والضمة قبلها. وليس كذلك قلب واو عصفور ونحوه ياء إذا انكسر ماقبلها، نحو: عصيفير وعصافير؛ ألا ترى أنه قد يُمْكِنُكَ تحمّلَ المشقةِ في تصحيح هذه الواو بعد الكسرة؛ وذلك بأن تقول عصيفِوْر وعصافِوْر»(٦٩).

فهذه العلة بضربيها الواجب والجائز تعليمية، فالعلة الواجبة تعلمنا قلب الألف ياء وجوباً للكسرة قبلها، وقلب الألف واواً وجوباً للضمة قبلها، كما تعلمنا أنّ الواو المكسور ما قبلها يجوز أن نقلبها ياء، وهو أخف، ويجوز لنا أن نتركها دون قلب مع تحمل المشقة والثقل.

ومن علل الصرف التعليمية التي تعتمد الخفة وتفرّ من الثقل تعليلهم قلب تاء الافتعال طاء إذا جاورت الصاد مثل (اصطخب)، أو الضاد مثل (اضطرب) أو الطاء مثل (اطّرد) أو الظاء مثل (اظّلم). وتعليلهم قلب تاء الافتعال دالاً إذا وقعت بعد زاي مثل (ازدهر) أو بعد دال مثل (ادّخر) أو بعد ذال مثل (اذّكر و ادّكر)..... وهكذا.

وعلى الرغم من أهمية العلل التعليمية في النحو العربي ثارَ نفرٌ يسير منذ القديم على مبدأ التعليل برمته ونعتوه بالفساد، من هؤلاء ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) الذي رأى أن علل النحو كلها فاسدة لايرجع شيء

منها إلى الحقيقة البتة، والمقبول من أهلها ضبطها ونقلها، ماعدا هذا فهو تحكم فاسد ومتناقض وكذب أيضاً، لأنّ قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فَنُقِلَ إلى كذا... شيء يعلم كلّ ذي حس أنه كذب لم يكن قطّ ولا كانت العرب عليه مدةً ثم انتقلت إلى ما سمع منها[٧٠] .

واستنكر أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ) ظاهرة التعليل في النحو العربي، وخصوصاً تعليل الوضعيات مثل رفع الفاعل وتقدم الفعل عليه، وأصل اشتقاق الفعل، وأصل صيغه، وامتناع الجر من الفعل، وامتناع الجزم من الاسم، واتصال تاء التأنيث الساكنة بالماضي دون المضارع والأمر.....، فذلك عنده ممنوع لأنه يؤدي إلى تسلسل السؤال[٧١] .

كما عدّ نفر من النحاة المحدثين أن التعليل في النحو العربي من الأمور المربكة، ولذلك دعوا إلى الاستغناء عنه، ووصفوه بأوصاف تدل على استيائهم منه، ومن هؤلاء جرمانوس فرحات في كتابه «بحث المطالب»في أثناء دعوته إلى تبسيط قواعد النحو العربي، جعل العلة من معوقات فهم النحو العربي، ووصفها بأنها مملة، وطالب بالاستغناء عنها[٧٢].

ومنهم عباس حسن الذي دعا إلى محاربة العلة في النحو العربي، وإراحة المتعلمين منها، فقال: «والغريب أن تعيش هذه العلة منذ نشأتها إلى اليوم يتلقاها النحاة بالقبول جيلاً فجيلاً، ويملؤون فيها فراغ أوقاتهم وكتبهم، ويصدعون بها الرؤوس، لايفكر أحد في محاربتها وإراحة المتعلمين منها، وما احتوته المراجع المطولة من ألوانها وضروب عبثها»[٧٣].

كما هاجم الدكتور تمام حسان مبدأ التعليل، ووصف العلة بالفساد، وجعلها أصل العامل[٧٤] .

والمنهج الوصفي البنيوي كذلك الذي يفسر البنية بعلاقاتها الساكنة لا بأسبابها ومسبباتها التي تتوالى في الزمن، رفض مبدأ التعليل، لأنه يسعى إلى شرح الكيفيات، ويعزف عن الغائية التي تتضمن الأسباب والغرض والحكمة التي من أجلها حصلت الظاهرة ويعدها من فلسفة العلم وليست من العلم ذاته، ولذلك فأنصاره يرفضون العلة في البحث اللغوي لأنها في رأيهم من فلسفة النحو وليست من النحو. ودعوة هؤلاء النحاة إلى رفض العلة في النحو العربي، ومحاربتها، والاستغناء عنها، فيها مغالاة شديدة، ولو أنهم رفضوا العلل الثواني والثوالث لهان الأمر، ولكنهم يرفضون العلل برمتها، وقد رأينا في ما سبق أن العلة التعليمية تمكننا من معرفة كلام العرب والإحاطة به، والاطلاع على أساليبه، وهذا يعني أن رفض العلة التعليمية رفض معرفة كلام العرب لأننا نعلّم في جامعاتنا ومدارسنا العلل التعليمية التي تبيّن لنا أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب والمضاف إليه مجرور، لتستقيم ألسنة الطلاب، وتصح كتابتهم لأن هذا هو الذي يؤهلهم للوصول إلى أساليب العرب وطرائقهم في التعبير؛ لأنها توضح العلاقات بين عناصر التركيب والعلاقات بين الظواهر بالكشف عن هذه العلاقات ومعرفة أحوال التركيب والتحليل وأداء الوظيفة، وتبيّن لنا الغايات والغرض والحكمة التي من أجلها كانت الظاهرة أي الأسباب التي أدت إلى حصول الظاهرة على هذا الوجه، حيث تجلّى قسم كبير منها بقولهم: «العرب تقول كذا» و«هكذا قالت العرب»... فجمعت بين ميزات البحث العلمي، وطابع التلقين التعليمي، عندما وصفت الظاهرة اللغوية ثم انتقلت إلى توضيح الأسباب الكامنة وراء حصول هذه الظاهرة على هذا الوجه.

لذلك كانت علتهم رابطة عقلية بين المستعمل الحسي الجاري على ألسنة العرب والمجرد العقلي أي القاعدة أو القانون، فأعطت المجرد نوعاً من التفسير والإيضاح الذي هو بحاجة إليه. وهذا يعني أنّ العلة التعليمية في جوهرها تفسير للطبيعة اللغوية، وتابعة لها، ولا تضيف شيئاً جديداً يناقضها، ولعل هذه الميزات المتوافرة لهذا النوع من التعليل جعلت ابن مضاء يكتفي بها في دراسة النحو العربي؛ لأن الاكتفاء بها يبعد النحو عن التكلف.

ولعل الدافع الذي حدا بالنحاة العرب القدماء إلى الأخذ بالعلل التعليمية أن يدفع بنا إلى الأخذ بها وتتبعها بنوعيها النحوي والصرفي واستخراجها من أمهات كتب النحو لنجرّدها من كل ما لا علاقة له بها، ونتبناها في صنع نحوٍ تعليميّ للناشئة في مدارسنا يخلو من الخلاف والجدل وتعدد الآراء، نصوغه بأسلوب بسيط سهل ميَّسرٍ ليكون سهل المنال من قبل المتعلمين فيقبلون عليه برغبة واندفاع، فينهلون منه لتستقيم ألسنتهم وتخلو كتابتهم من الأخطاء، ونكون بذلك قد أدينا خدمة نافعة لأبنائنا وللغتنا. وهذا لا يعني أننا في حالة ضجر من تراثنا النحوي، فتراثنا النحوي لا غبار عليه فهو ميدان للبحث العلمي، والتخصص، بل دعوتنا تلك إيماناً بالتفرقة بين نحوٍ تعليميّ للناشئة، ونحوٍ تخصصيّ لمن يريد التعمق في البحث.

الحواشي

(١) لسان العرب (علل): ٥/٤٧١.

(٢) الكليات للكفوي: ٢٥٠ .

(٣) القياس في النحو، د. منى إلياس: ٤٧.

(٤) أصول النحو العربي، د. محمد خير حلواني: ١٠٨.

(٥) النحو العربي، د. مازن مبارك: ٥١.

(٦) أصول التفكير النحوي، د.علي أبو المكارم: ١٦٧- ١٦٩.

(٧) القياس في النحو: ٤٧.

(٨) تطور الدرس النحوي، د. حسن عون: ٧١.

(٩) النحو العربي بين الأصالة والتأثر: ٥٣ .

(١٠) طبقات فحول الشعراء: ١٤.

(١١) الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ٣٥ والإيضاح في علل النحو، للزجاجي: ٦٤ والخصائص، لابن جني: ١/ ١٦٤.

(١٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٨٢، وطبقات فحول الشعراء: ١٩.

(١٣) الكتاب: ١/ ٣٩٨ والمقتضب: ٣/ ٢٧٢.

(١٤) الكتاب: ٢/ ٩٦.

(١٥) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/ ١٦٠ وطبقات الحفاظ، للسيوطي: ٦٩ وبحوث في اللغة والنحو والبلاغة، د. عبد الإله نبهان: ١٥٤ – ١٥٥.

(١٦) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ١٥، ٢٢.

(١٧) أبجد العلوم للقنوجي: ١/ ١٧٧ والنحو العربي بين الأصالة والتأثر:٥٣ .

(١٨) الكتاب: ١/ ٢٣٨.

(١٩) الكتاب: ٢٩٢/١ .

(٢٠) الكتاب: ٣/ ٥٠٦ .

(٢١) الإيضاح في علل النحو: ٦٤، ٦٦، ٦٧.

(٢٢) نفسه: ٦٦، وينظر: الكتاب: ١/ ٦٤.

(٢٣) ابن يعيش النحوي، د. عبد الإله نبهان: ٤٩٣.

(٢٤) الكتاب: ٣/ ٦٣ .

(٢٥) المفصّل في تاريخ النحو: ٢٨٨.

(٢٦) القياس في النحو: ٤٧.

(٢٧) الكتاب: ١/ ٣٢ .

(٢٨) تطور الدرس النحوي: ٤٦.

(٢٩) سيبويه إمام النحاة: ١٦٣- ١٦٤.

(٣٠) الكتاب: ١/ ٢٣ – ٢٤.

(٣١) الكتاب: ١/ ٣٩ والمقتضب: ٢/ ٣٤٠- ٣٤١ و٣/ ١٨٨- ٨٩،١٩٥.

(٣٢) الكتاب: ١/ ١٢٢ وشرح المفصل، لابن يعيش: ٧/ ٧٩ ومغني اللبيب: ٧٧٣ .

(٣٣) صنيع محمد بن المستنير تلميذ سيبويه المشهور بقطرب (ت ٢٠٦هـ) الذي ألف كتاب «العلل في النحو» الفهرست: ٥٨.

(٣٤) الإيضاح في علل النحو (مقدمة د. شوقي ضيف: ج).

(٣٥) الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو:٩٣.

(٣٦) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٩.

(٣٧) ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي: ١٢ وطبقات النحويين واللغويين: ١- ٢ وإحياء النحو ٩ – ١٠.

(٣٨) مطلع قصيدة له ذكرها القفطي في إنباه الرواة ٢/ ٢٦٧.

(٣٩) ينظر: تطور الدرس النحوي: ٦٣ - ٦٤، ٦٦- ٦٧، وأصول التفكير النحوي:١٦٢.

(٤٠) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٤.

(٤١) أصول التفكير النحوي: ١٦٢ .

(٤٢) النحو العربي: ٥٩ .

(٤٣) تاريخ آداب اللغة العربية: ٢/ ١٣١ .

(٤٤) للمتوسع في ذلك ينظر: بحوث في اللغة والنحو والبلاغة: ١٥٣ وما بعدها. ومقالنا في مجلة المعرفة السورية بعنوان «نظرة في حركة الترجمة ونقل العلوم عند العرب في القرنين الأول والثاني الهجريين» ص ١٥٢ وما بعدها.

(٤٦) أصول النحو العربي محمد عيد: ١٣٢ .

(٤٧) الأصول، د. تمام حسان: ١٨٩ .

(٤٨) الخصائص، لابن جني: ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٤٩) الخصائص: ١/ ٢٤٩ - ٢٥٠، وينظر الكتاب: ١/ ١٢٩، والوَجْذ موضع يمسك الماءَ كالحوض.

(٥٠) الخصائص: ١/ ٢٤٩.

(٥١) نفسه.

(٥٢) الكتاب: ١/ ٣٢ والخصائص: ١/ ٤٨.

(٥٣) الإيضاح في علل النحو: ٦٥ - ٦٦.

(٥٤) الخصائص: ١/ ٥١.

(٥٥) النحو العربي: ٦٩.

(٥٦) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٤.

(٥٧) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ٣٥ والإيضاح في علل النحو: ٦٤ - ٦٥، والرد على النحاة: ١٥٢ - ١٦٠.

(٥٨) كخبر كان ومفعولي ظنّ.

(٥٩) الخصائص: ١/ ١٦٤، والرد على النحاة ١٦٠ - ١٦١.

(٦٠) الأصول في النحو: ١/ ٣٥.

(٦١) الإيضاح في علل النحو: ٦٤.

(٦٢) الرد على النحاة: ١٥٢.

(٦٣) نفسه: ١٦٠ - ١٦١.

(٦٤) الأصول في النحو: ١/ ٣٦.

(٦٥) أصول التفكير النحوي: ١٦٧ - ١٦٩.

(٦٦) نفسه: ٢١٣ - ٢١٤.

(٦٧) الإيضاح في علل النحو: ٧٠ - ٧١.

(٦٨) الكتاب: ١/ ١٣.

(٦٩) الخصائص: ١/ ٨٨.

(٧٠) نظرات في اللغة عند ابن حزم: ٤٤.

(٧١) همع الهوامع: ٢/ ٢١، ٢/ ١٣١، والنحو العربي: ١٣٨ وما بعدها والأصول د. تمام حسان: ١٨٧ - ١٨٨.

(٧٢) ينظر حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام: ١٨٦.

(٧٣) رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية: ٦٩ - ٧٠.

(٧٤) اللغة بين المعيارية والوصفية: ٥٣ - ٥٤.

المصادر والمراجع

- أبجد العلوم، للقنوجي، وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٧٨.
- ابن يعيش النحوي، د. عبد الإله نبهان، اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٧.
- أخبار النحويين البصريين، للسيرافي، ح طه الزيني وخفاجي ط١ ١٩٥٥.
- أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية ١٩٧٣.
- الأصول، د. تمام حسان: دار الثقافة المغرب، ط١، ١٩٨١.
- الأصول في النحو، لابن السراج، ح د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٥.
- أصول النحو العربي، د. محمد خير حلواني، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩.
- أصول النحو العربي، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة.
- الإغراب في جدل الإعراب، عبد الرحمن الأنباري، ح سعيد الأفغاني/ ط٢، بيروت، دار الفكر.
- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ح د. مازن مبارك، ط٢ بيروت ١٩٧٣.
- بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، د. عبد الإله نبهان، ط١ مطبعة اليمامة حمص ١٩٩٥.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال بمصر ١٩٥٧.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط٣ حيدر آباد، ١٩٥٥.
- تطور الدرس النحوي، د. حسن عون، معهد البحوث والدراسات العربية،

القاهرة، ١٩٧٠.

- حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام، د. نشأة ظبيان، دمشق ١٩٧٧.

- الخصائص لابن جني، ح د. محمد علي النجار، ط٢ بيروت.

- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، ح د. شوقي ضيف، ط١ دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧.

- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٣.

- شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت، ومكتبة المثنى القاهرة (بلا تاريخ).

- طبقات الحفاظ للسيوطي، ح علي محمد عمر، ط١، ١٩٧٣.

- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ح محمود شاكر، ط دار المعارف ١٩٥٢.

- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، ح أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، ١٩٥٤.

- الفهرست، ابن النديم، ح رضا تجدد، طهران ١٩٧١.

- الكتاب، سيبويه، ح عبد السلام هارون، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

- الكليات، للكفوي، ح د. عدنان درويش وزميله، وزارة الثقافة دمشق ١٩٨١.

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٦٨.

- معاني القرآن، للفراء، ح أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٢ عالم الكتب بيروت ١٩٨٠.

- المفصل في تاريخ النحو، د. محمد خير حلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠.

- المقتضب، للمبرد، ح عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.

- مغني اللبيب، لابن هشام، ح د. مازن مبارك وزميله: ط٢ دار الفكر بيروت ١٩٦٩.

- النحو العربي، د. مازن مبارك، ط٢ دار الفكر، ١٩٧١.

- النحو العربي بين الأصالة والتأثر، سعد الكردي، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، جامعة دمشق ١٩٨٤.

- نظرة في حركة التأليف عند العرب، د. أمجد طرابلسي، دار الفتح بدمشق ط٥، ١٩٧١.

- همع الهوامع وشرح جمع الجوامع، للسيوطي، ط١ مطبعة السعادة، ١٣٢٧ هـ.



أبواب الفعل الثلاثي

دراسة لغوية تحليلية إحصائية باستخدام الحاسوب

الدكتور محمد جواد النوري

تمهيد:

يمثل المعجم الوسيط، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في طبعته الثانية سنة ١٩٧٣م، عينة لغوية صالحة لدراسة الكثير من الظواهر اللغوية في العربية. فهذا المعجم - كما جاء في تصديره - "يمت إلى الماضي بصلة وثيقة، ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير"[١]. وهو - بالإضافة إلى ذلك - نتاج هيئة علمية لغوية مرموقة في عالمنا العربي، كما أنه يعد - كما يقول الدكتور عدنان الخطيب - "أفضل محاولة معجمية في هذا العصر"[٢].

ومن الظواهر التي يمكن دراستها، من خلال المعطيات التي يقدمها هذا المعجم، ظاهرة أبواب الفعل الثلاثي. وليس البحث في أبواب الفعل الثلاثي ودراستها بالأمر الجديد، فقد كان هذا الموضوع موضع عناية اللغويين القدامى واهتمامهم منذ بزغ فجر الدرس اللغوي، عند العرب، على يد

(١) تصدير المعجم الوسيط ص٩.

(٢) د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص٦٤.

رائده سيبويه في سفره الخالد "الكتاب"، ومن جاء بعده من العلماء مثل: ابن جني، في "المنصف" و"الخصائص"، وابن درستويه في شرحه للفصيح، والزمخشري في "المفصل"، وابن يعيش في "شرح المفصل"، وابن الحاجب في "الشافية"، وغيرهم.

ولقد أولى اللغويون المحدثون أيضاً هذه الظاهرة بعض العناية، فتناولوها - كما فعل القدماء - بالدرس والتحليل من منطلقات صوتية ودلالية نجدها مبعثرة في كتب اللغة بعامة والصرف بخاصة. ولعل ما قام به أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس - في هذا المجال - يعد محاولة ناضجة لدرس هذه الظاهرة وتحليلها والتعليل لها[٣].

وسنحاول - في هذا البحث - دراسة هذه الظاهرة دراسة إحصائية تحليلية بوساطة استخدام الحاسوب، منطلقين - في درسنا - من المعطيات التي يقدمها لنا المعجم الوسيط في هذا الصدد، باعتباره - كما ذكرنا في السطور السابقة - عينة لغوية يمكن الاعتماد عليها في رصد هذه الظاهرة تمهيداً للبحث فيها وصفاً وإحصاءً وتحليلاً.

وستتناول دراستنا لهذه الظاهرة الجوانب التالية:

أ - إحصاء جذور الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط، مع الإشارة إلى الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها كل فعل من هذه الأفعال.

---

(٣) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ٣٠-٤٥. وانظر كذلك كتابه في اللهجات العربية، ١٦٨- ١٧٣.

ب - عرض تكرار أبواب الأفعال الثلاثية بالإحصاء وذلك في حالة ورودها مفردة، أو متعددة، أي في حالة اشتراك بعض الأبواب في الجذر الثلاثي نفسه، وفي مجموع الحالتين السابقتين معاً، ثم ترتيب ذلك كله ترتيباً تصاعدياً.

جـ - وبالإضافة إلى ذلك، فإن بحثنا سيتناول دراسة تأثير أحرف الفعل الثلاثي (ف، ع، ل) في حركات عين ماضيه ومضارعه.

ونود الإشارة، في هذا التمهيد الموجز، إلى أن الدراسات الإحصائية لمواد المعاجم اللغوية، تعد من الأمور الحديثة نسبياً، في ميدان الدراسات اللغوية العربية. ومن الدراسات التي لها صلة بهذا الجانب اللغوي، تلك الدراسة التي قام بها "غرينبرغ" Greenberg لأنماط مورفيمات الجذور في السامية. وقد اعتمد هذا الباحث، في دراسته، على المعطيات التي استمدها من معجمي لين ودوزي Lane And Dozy ينظر لذلك:

Al – Ani S. H. (ED) Readings in Arabic Linguistics,
Indiana University Linguistics Club ١٩٧٨, P: ٤٣١- ٤٥٦.

ومن تلك الدراسات أيضاً، دراسة "هيردان" Herdan، لأنماط الجذور الفعلية السامية بحسب التحليل التجميعي. وقد بنى هيردان دراسته على معطيات استمدها من دراسة "غرينبرغ" (ينظر المرجع السابق ص: ٤٥٧- ٤٦٤).

ومن الدراسات العربية، التي يمكن الإشارة إليها، في هذا المجال، تلك الدراسة التي قام بها الدكتور علي حلمي موسى، لجذور معجم الصحاح

للجوهري، في كتابه: "دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر"، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م.

١: جذور الأفعال الثلاثية والباب أو الأبواب التي ينتمي إليها كل جذر:

يعين الجدول رقم (١)، بصفحاته الثماني والعشرين[٤]، جذور الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط، وعددها (٤٥٤٦) جذراً[٥]. وقد خصصنا كل صفحة، من صفحات هذا الجدول، لحرف من الحروف العربية الثمانية والعشرين. ويظهر هذا الحرف، الذي يمثل فاء الجذر الثلاثي، في أعلى الصفحة.

١:١ بنية الجدول رقم (١):

يتألف هذا الجدول - في كل صفحة من صفحاته - من:

أ - حرف "أبتثي" يظهر - كما ذكرنا قبل قليل - في أعلى الصفحة، وهو يمثل فاء الأفعال الثلاثية الواردة في الصفحة.

ب - عمود رأسي: يشتمل على الحروف العربية التي يمثل كل واحد منها عيْناً لجذر ثلاثي.

ج- سطر أفقي: يشتمل على الحروف العربية التي يمثل كل واحد

(٤) سوف نكتفي بإيراد الصفحة الأولى، من جداول المعطيات، بوصفها نموذجاً أو عينة لها، وذلك من أجل الاختصار.

(٥) اقتصرنا في إحصائنا لهذه الأفعال على تلك الأفعال الثلاثية التي أوردها المعجم الوسيط مجردة، وذكر معها صيغة الفعل المضارع.

منها لاماً لجذر ثلاثي.

د - مجموعة مربعات في داخلها: وتظهر في بعض هذه المربعات - كما هو واضح - رموز من أرقام (١-٩)، أو حروف (أ-ي)، فضلاً عن الإشارات الثلاث: (*، /، +). وتعين هذه الرموز، بأنواعها المختلفة، الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها كل فعل من الأفعال الثلاثية في المعجم الوسيط[٦].

١: ٢ استعمال الجدول رقم (١):

من أجل التعرف إلى وجود جذر ما في المعجم الوسيط، ثم التعرف إلى الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها، في حالة وجوده، فإننا نقدم المثالين التاليين من الصفحة الأولى لهذا الجدول:

* يتعين الجذر "أرق" بالبحث في المربع، عنده السطر الأفقي، المبدوء بالحرف (ر) - وهو عين الفعل - مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ق)، وهو لام الفعل. ويلاحظ - في داخل هذا المربع - وجود الرقم (٧). وهذا يعني أن الفعل "أرق" موجود في المعجم الوسيط، من جهة، وأنه ينتمي إلى الباب السابع، أي باب (فَعِل - يَفْعَل)، من جهة أخرى، وذلك على نحو ما يتضح في الشكل (١) الوارد في الصفحة (١٦٣).

* ويتعين الجذر "أخذ"، أيضاً، بالبحث في المربع، يتقاطع عنده السطر الأفقي، المبدوء بالحرف (خ)، مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ذ). ويلاحظ - في داخل هذا المربع - وجود الرمز (ك) الذي يعني أن الفعل

(٦) للتعرف على مدلولات هذه الرموز، ينظر (٢: ١) و(٢:٢) من هذا البحث.

"أخذ" موجود في المعجم الوسيط، وأنه ينتمي إلى الأبواب: الثاني، والخامس، والسابع، كما يتبين من الجدول رقم (٢)، وهذه الأبواب هي: فعَل - يفعُل، وفعُل - يفعُل، وفعِل - يفعَل. وذلك على نحو ما يتضح في الجدول (١) الوارد في الصفحة (١٦٤).

وفي حالة خلو مربع ما من أي رمز، فإن هذا يشير إلى خلو المعجم من جذر ما لفعل ثلاثي. ومثال ذلك المربع الخالي من الرموز والمناظر للجذر "أبج" في الصفحة الأولى نفسها. وفي هذا المربع يتقاطع السطر الأفقي المبدوء بالحرف (ب) مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ج). إن خلو هذا المربع، من أي رمز من الرموز، يعني خلو المعجم الوسيط من هذا الجذر الفعلي الثلاثي.

٢: أبواب الفعل الثلاثي الأحادية والمتعددة:

يبين الجدول رقم (٢) الأبواب المختلفة التي يمكن أن تتخذها حركات العين في ماضي الأفعال الثلاثية ومضارعها. ويبلغ عدد هذه الأبواب وتنوعاتها المختلفة – كما هو واضح في العمود الرأسي الأول – أربعين حالة.

ولقد استعملنا الرموز (١–٩) للدلالة على الحالات التي يمكن أن ترد فيها الأفعال أحادية الباب، والرموز الألفبائية (أ–ي)، والرموز الثلاثة الأخيرة وهي (*، /، +) للدلالة على الحالات التي ترد فيها الأفعال متعددة الأبواب.

جدول رقم (١)

أ

	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ا	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ب	١	٢	٧	٠	٠	٠	٠	ث	٠	د	٣	٣	٣	ر	ر	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٠	ك	٠	ج	ث	٢	ث
ت	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	ر	٢	٠	٢	٣
ث	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	ذ	٧	٠	٠	٢	٠
ج	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٢	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	ر	ك	٠	٠	٠
ح	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠
خ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ك	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠
د	٠	ذ	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	ل	٠	٠	٢	٣
ذ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٧
ر	٠	ل	٠	٠	ر	٠	١	٠	٠	ج	٣	٣	٢	٠	ك	د	٠	٠	٠	٠	٧	د	٠	ر	د	٠	٢	ر
ز	٠	ر	٠	٠	ر	٣	٠	٠	٠	د	ج	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٣	٠	٣	ر	٠	٠	٢	ر
س	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	ر	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٥	٠	د	٠	٢	ر
ش	٠	ق	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ص	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٣	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ك	٠	٠	٠	٠	٠
ض	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠
ط	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٠	٠
ظ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ع	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
غ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ف	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٧	٠	ر	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	ر	ر	ق	٠	ر	٠	٠	٠
ق	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ك	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	د	٠	٠	٠	٠	٠
ل	٠	د	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٣	٣	ق	٧	٠	ث	٢	٧
م	٠	٠	٣	٠	ر	٣	٠	٧	٠	ك	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	د	ص	د	ج	٧
ن	٠	٠	٣	٥	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	ل	٠	٠	د	٠	٠	٠	٠	د	٧	٠	٠	٠	٣	٠	٠	ر
ه	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٢	٠	٣
و	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٢	٠	د	٢	٥	٢	٠	٣
ي	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٣	٣	٠	٠	٠

جدول رقم (٢)

	الحركات المفردة		الحركات المشتركة معها	
	رموز	مكوناتها	عددها	صورها
١	١	١	١٥	ا ب ت ث ج ض ط ظ ع غ ن ه و ي +
٢	٢	٢	١٥	ا ح خ د ض ط ظ ف ق ك ن ه لا / +
٣	٣	٣	١٥	ب ح ذ ر ز ض ع ف ق ل م ن و لا +
٤	٤	٤	٠	
٥	٥	٥	١٦	ت خ ذ س ش ط غ ف ك ل ه و ي لا / +
٦	٦	٦	٠	
٧	٧	٧	١٩	ث د ر س ص ظ ع غ ق ك ل م ن ه و ي لا / +
٨	٨	٨	٠	
٩	٩	٩	٧	ج ز ش ص م ي /
١٠	ا	٢١	٦	ض ط ظ ن ه +
١١	ب	٣١	٥	ض ع ن و +
١٢	ت	٥١	٦	ط غ ه و ي +
١٣	ث	٧١	٨	ظ ع غ ن ه و ي +
١٤	ج	٩١	١	ي
١٥	ح	٣٢	٦	ض ف ق ن لا +
١٦	خ	٥٢	٧	ط ف ك ه لا / +
١٧	د	٧٢	٨	ظ ق ك ن ه لا / +
١٨	ذ	٥٣	٥	ف ل و لا +
١٩	ر	٧٣	٨	ع ق ل م ن و لا +
٢٠	ز	٩٣	١	م
٢١	س	٧٥	٩	غ ك ل ه و ي لا / +
٢٢	ش	٩٥	٢	ي /
٢٣	ص	٩٧	٣	م ي /
٢٤	ض	٣٢١	٢	ن +
٢٥	ط	٥٢١	٢	ه +
٢٦	ظ	٧٢١	٣	ن ه +
٢٧	ع	٧٣١	٣	ن و +
٢٨	غ	٧٥١	٤	ه و ي +
٢٩	ف	٥٣٢	٢	لا +
٣٠	ق	٧٣٢	٣	ن لا +
٣١	ك	٧٥٢	٤	ه لا / +
٣٢	ل	٧٥٣	٣	و لا +
٣٣	م	٩٧٣	٠	
٣٤	ن	٧٣٢١	١	+
٣٥	ه	٧٥٢١	١	+
٣٦	و	٧٥٣١	١	+
٣٧	ي	٩٧٥١	٠	
٣٨	لا	٧٥٣٢	١	+
٣٩	/	٩٧٥٢	٠	
٤٠	+	٧٥٣٢١	٠	

٢: ١ دلالات الرموز الرقمية:

يمكن توضيح دلالات الرموز الرقمية، الواردة في العمود الرأسي الثاني من الجدول، على النحو التالي:

١- يعني الرقم (١) الباب الأول، وهو باب (فَتْح - فَتْح)، أي فتح عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع. ومن أمثلته: فتَح - يفتَح -، وشرَح - يشرَح.

٢- يعني الرقم (٢) الباب الثاني، وهو باب (فَتْح - ضَم)، أي فتح عين الفعل الثلاثي في الماضي، وضمها في المضارع. ومن أمثلته: نَصَر - ينصُر، وسبَر - يسبُر.

٣- يعني الرقم (٣) الباب الثالث، وهو باب (فتح - كسر)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي، وكسرها في المضارع. ومن أمثلته: جلَس - يجلِس، وحبَس - يحبِس.

٤- يعني الرقم (٤) الباب الرابع، وهو باب (ضَم - فَتْح)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي وفتحها في المضارع, وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية، باستثناء ما رواه بعض القدماء، كسيبويه، من أن "بعض العرب قد قال: كُدتَ - تَكادُ فقال فَعُلْتَ - تَفْعَل"[٧] . وقد علق ابن جني

(٧) سيبويه، الكتاب ٤/٤٠، ط٣ تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م. وكذلك، ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٣٧٣، ط٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣م.

على ما حكاه سيبويه بقوله: "وهذا من الشاذ"[٨].

٥- يعني الرقم (٥) الباب الخامس، وهو باب (ضَم - ضَم)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع, ومن أمثلته: سهُل - يسهُل، وظرُف - يظرُف.

٦- يعني الرقم (٦) الباب السادس، وهو باب (ضَم - كَسْر)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي، وكسرها في المضارع. وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية.

٧- يعني الرقم (٧) الباب السابع، وهو باب (كَسْر - فَتْح)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي، وفتحها في المضارع. ومن أمثلته: سمِع - يسمَع، وعجِل - يعْجَل.

٨- يعني الرقم (٨) الباب الثامن، وهو باب (كسر - ضم)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي، وفتحها في المضارع. وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية باستثناء ما رواه ابن قتيبة عن أبي عبيدة: "يقال: فَضِل منه شيء قليل، فإذا أرادوا المستقبل ضموا الضاد فقالوا: "يفْضُل". وليس في الكلام حرف من السالم يشبهه، وقد جاء من المعتل مثله، قالوا: "مِتَّ" فكسروا ثم قالوا "تموت" وكذلك "دِمْتَ" ثم قالوا "تدوم". وقال سيبويه: بلغنا أن بعض العرب يقول: "نَعِم - ينْعُم" مثل "فَضِل - يفْضُل"[٩]

---

(٨) ابن جني، المنصف، شرح لكتاب التصريف للمازني ١٨٩/١، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٤م.

(٩) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣٧٢- ٣٧٣ وكذلك:

- السيوطي، المزهر، ٢٦٤/١ -٢٦٥.

=

وقد علق سيبويه على ذلك بقوله: "...إن فَضِلَ – يَفْضُل شاذ من بابه"[١٠] .

٩- يعني الرقم (٩) الباب التاسع، وهو باب (كَسْر – كَسْر)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع. ومن أمثلته: ورث – يرِث، ووفِق – يَفِق.

والشكل التالي يلخص هذه الأبواب ويوضحها:[١١]

مضارع / ماض	فتح	ضم	كسر
فتح	١	٢	٣
ضم	×٤	٥	×٦
كسر	٧	×٨	٩

(شكل رقم ١)

(حركات عين الفعل الماضي والمضارع بحسب الأبواب)

٢:٢ دلالات الرموز الألفبائية، والرموز*، و/، و+:

تعبر الرموز الألفبائية، والرموز الثلاثة الأخيرة، الواردة في العمود الرأسي الثاني في هذا الجدول، عن الأبواب المتعددة، التي ترد فيها بعض الأفعال، والتي تظهر مكوناتها في العمود الرأسي الثالث.

- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١/١٧٧.

(١٠) سيبويه، الكتاب، ٤/٤٠.

(١١) تعني الإشارة (×) الواقعة داخل بعض مربعات الشكل رقم (١)، أن الباب الذي يشير إليه المربع غير موجود في العربية.

فالرمز (أ) - على سبيل المثال - يجاوره، في العمود الرأسي الثالث من الجدول، المكونان الرقميان (١،٢)، وهذا يعني وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى بابين هما: الباب الأول، والباب الثاني، ومن أمثلته الفعل: قحَم - يقحُم.

ويعني الرمز (ض)، الذي تجاوره، في العمود الثالث، المكونات الرقمية (١،٢،٣) وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى ثلاثة أبواب هي: الباب الأول، والباب الثاني، والباب الثالث، ومن أمثلته الفعل: نَحَب - يَنْحُب، يَنْحَبُ، ينحِبُ.

ويعني الرمز (ن)، الذي تجاوره، في العمود الثالث، المكونات الرقمية (١، ٢، ٣، ٧) وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى أربعة أبواب هي: الباب الأول، والباب الثاني، والباب الثالث، والباب السابع، ومن أمثلته الفعل: مَخَض - يَمْخَض، يَمْخُض، يَمْخِض، ومخِض - يَمْخَض.

ويعني الرمز (+) الذي يقع في نهاية العمود الرأسي الثاني الذي تجاوره، في العمود الثالث المكونات الرقمية (١،٢،٣،٥،٧) وجود مجموعة فعلية تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى خمسة أبواب هي: الأول، والثاني، والثالث، والخامس، والسابع، وتتسم هذه المجموعة بأنها أحادية العنصر الفعلي وهو الفعل: دخَن، يَدْخَن، يَدْخُن، يَدْخِنُ، ودخُن - يَدْخُن، ودخِنَ - يَدْخَنُ. وهكذا الشأن مع بقية الرموز الأخرى.

٢ : ٣ اشتراك أبواب فعلية في الجذر نفسه:

يتبين، عند استعراض عناصر العمود الرأسي الثالث من الجدول رقم (٢)، أن الرقم (١) الذي رمزنا به للباب الأول (فتح - فتح) يتكرر وروده

خمس عشرة مرة في العمود الثالث نفسه وهي: (١- ٢، ١- ٣، ١- ٥، ١- ٧، ١- ٩، ١- ٢- ٣، ١-٢- ٥، ١- ٢- ٧، ١- ٣- ٧، ١-٥-٧، ١- ٢- ٣- ٧، ١- ٢- ٥- ٧، ١- ٣- ٥- ٧، ١- ٥- ٧- ٩، ١- ٢- ٣- ٥- ٧).

وهذا يعني أن الباب الأول تشاركه أبواب أخرى مختلفة في بعض الجذور بحيث يمكن تصنيف هذه المشاركات إلى خمس عشرة فئة تظهر رموزها في السطر الأفقي الأول الوارد في العمود الخامس من الجدول نفسه، وهذه الرموز هي: (أ،ب،ت،ث،ج،ض،ط،ظ، ع، غ،ن،هـ،و، ي،+). ولتوضيح ذلك نقول: إن الفعل الثلاثي "أبه" - على سبيل المثال يقع - كما هو ظاهر في الصفحة الأولى من رقم (١) - ضمن الفئة ذات الرمز (ث)، التي تعني - كما هو واضح في الجدول رقم (٢) - أن الفعل ينتمي إلى البابين: الأول (فتح - فتح)، والسابع (كسر - فتح).

ويتبين من العمود الرأسي الثالث، في هذا الجدول أيضاً، أن الرقمين (١-٢) اللذين يمثلهما الرمز (أ)، الذي يشير إلى اجتماع البابين الأول والثاني في جذور بعض الأفعال الثلاثية، يتكرر ورودهما ست مرات في العمود الثالث نفسه وهي : (١-٢-٣،١-٢-٥،١-٢-٧،١-٢-٣-٧،١-٢-٣-٥-٧).

وهذا يعني أن البابين الأول والثاني تشاركهما - في بعض الجذور الثلاثية - أبواب أخرى مختلفة، بحيث يمكن تصنيف هذه المشاركات إلى ست فئات تظهر رموزها في العمود الخامس ذي السطر الأفقي المبدوء بالرقم (١٠)، وهذه الرموز هي: (ض، ط،ظ،ن،هـ،+).

ولتوضيح ذلك نقول: إن الفعل الثلاثي "ذرع - على سبيل المثال - يقع - كما ورد في المعجم الوسيط - ضمن الفئة ذات الرمز (هـ) التي تعني - كما هو واضح في الجدول رقم (٢) - أن هذا الفعل يقع ضمن أربعة أبواب مختلفة، من بينها البابان الأول والثاني ......

وعلى نحو مماثل يمكن فهم علاقة المشاركة بين أيٍّ رمز ممثل لأبواب معينة في العمود الثالث، والرموز المقابلة له في العمود الخامس، والواقعة معه في السطر الأفقي نفسه.

٣: تكرارات أبواب الفعل الثلاثي:

٣: ١ رموز الحركات:

يقدم العمود الرأسي الأول، في الجدول رقم (٣)، الرموز الرقمية، والألفبائية، والرموز الثلاثة الأخرى التي تعين نوع حركة عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع.

٣: ٢ تكرارات الحركات المفردة:

يشتمل العمود الرأسي الثاني، في هذا الجدول، على نوعين من الأفعال الثلاثية:

أولهما: الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط، "أحادية الباب"، أي تلك الأفعال التي تأخذ عين الفعل الماضي والمضارع فيها وزن باب معين من الأبواب الستة الرئيسية. ويشمل هذا النوع، أعداد الأفعال الواردة في العمود الرأسي الثاني المجاورة للرموز الرقمية (١-٩)، وهذه الأعداد هي: (٥٤٩+ ١٠١٨+ ٨١٨+ ٥٦+ ٥٢١+ ٤).

وثانيهما: الأفعال الثلاثية التي ترد في المعجم الوسيط "متعددة

الأبواب"، أي تلك الأفعال التي ترد، عين الفعل الماضي والمضارع فيها، على أكثر من وزن باب واحد من الأبواب الرئيسية. ويشمل هذا النوع من الأفعال أعداد الأفعال الواردة في العمود الرأسي الثاني المجاورة للرموز الألفبائية والرموز الأخرى (أ-+).

وفيما يلي دراسة توضيحية لهذين النوعين من الأفعال:

٣: ٢: ١ الأفعال الأحادية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية التي وردت في المعجم الوسيط أحادية الباب (٢٩٦٦) فعلاً، وتتوزع هذه الأفعال في ستة أبواب رئيسية مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهذه الأبواب هي:

١- الباب الثاني (فتح - ضم)، ويتحقق هذا الباب في (١٠١٨) فعلاً.

٢- الباب الثالث (فتح - كسر)، ويتحقق هذا الباب في (٨١٨) فعلاً.

٣- الباب الأول (فتح - فتح)، ويتحقق هذا الباب في (٥٤٩) فعلاً.

٤- الباب السابع (كسر - فتح)، ويتحقق هذا الباب في (٥٢١) فعلاً.

٥- الباب الخامس (ضم - ضم)، ويتحقق هذا الباب في (٥٦) فعلاً.

٦- الباب التاسع (كسر - كسر)، ويتحقق هذا الباب في (٤) أفعال هي: "ورث" و"ورم" و"وفق" و"ومق".

٣: ٢: ٢: الأفعال المتعددة الأبواب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، (١٥٨٠) فعلاً. وتكمل هذه الأفعال، مع الأفعال الأحادية الباب، مجموعة الأفعال الثلاثية العربية الواردة في المعجم الوسيط والبالغة (٤٥٤٦) فعلاً، وتتوزع هذه الأفعال في أربعة أقسام رئيسية هي:

جدول رقم (٣)

حركات	تكرار الحركات: مفردة	مشتركة	مجموع	تكرارات الحركات مرتبة تصاعديا: مفردة		مشتركة		مجموع	
١	٥٤٩	٣٦٢	٩١١	ج	٠	+	٠	٨	٠
٢	١٠١٨	٨٠٦	١٨٢٤	٨	٠	/	٠	٦	٠
٣	٨١٨	٦٦٧	١٤٨٥	٦	٠	ي	٠	٤	٠
٤	٠	٠	٠	٤	٠	م	٠	+	١
٥	٥٦	٣٦٥	٤٢١	+	١	٨	٠	/	١
٦	٠	٠	٠	/	١	٦	٠	ي	١
٧	٥٢١	١٢١٢	١٧٣٣	ي	١	٤	٠	ج	١
٨	٠	٠	٠	ن	١	*	١	ن	٢
٩	٤	١٥	١٩	ش	١	و	١	و	٣
ا	١٢	١٧	٢٩	و	٢	هـ	١	م	٣
ب	١١	١١	٢٢	ض	٢	ن	١	ش	٣
ت	٤٦	٤٦	٩٢	*	٣	ج	١	*	٤
ث	٢٣٥	٥٣	٢٨٨	م	٣	ض	٢	ض	٤
ج	٠	١	١	ط	٣	ش	٢	هـ	٧
ح	١٦٩	٩١	٢٦٠	ظ	٤	ز	٣	ز	٧
خ	٧٢	٩٣	١٦٥	ز	٤	ف	٤	ع	٩
د	٣٧٦	١٦٥	٥٤١	٩	٤	ع	٤	ط	١٠
ذ	٤١	٤٣	٨٤	ع	٥	ق	٥	ص	١٠
ر	٣١١	١٢٢	٤٣٣	ص	٥	ص	٥	ف	١١
ز	٤	٣	٧	هـ	٦	ل	٦	ظ	١٢
س	٤٦	١٤٩	١٩٥	ف	٧	ط	٧	٩	١٩
ش	١	٢	٣	ب	١١	ظ	٨	ب	٢٢
ص	٥	٥	١٠	ا	١٢	غ	١٠	ا	٢٩
ض	٢	٢	٤	ل	٣٠	ك	١١	ل	٣٦
ط	٣	٧	١٠	غ	٣٣	ب	١١	غ	٤٣
ظ	٤	٨	١٢	ذ	٤١	٩	١٥	ق	٨٢
ع	٥	٤	٩	س	٤٦	ا	١٧	ك	٨٣
غ	٣٣	١٠	٤٣	ت	٤٦	ذ	٤٣	ذ	٨٤
ف	٧	٤	١١	٥	٥٦	ت	٤٦	ت	٩٢
ق	٧٧	٥	٨٢	ك	٧٢	ث	٥٣	خ	١٦٥
ك	٧٢	١١	٨٣	خ	٧٢	ح	٩١	س	١٩٥
ل	٣٠	٦	٣٦	ق	٧٧	خ	٩٣	ح	٢٦٠
م	٣	٠	٣	ح	١٦٩	ر	١٢٢	ث	٢٨٨
ن	١	١	٢	ث	٢٣٥	س	١٤٩	٥	٤٢١
هـ	٦	١	٧	ر	٣١١	د	١٦٥	ر	٤٣٣
و	٢	١	٣	د	٣٧٦	١	٣٦٢	د	٥٤١
ي	١	٠	١	٧	٥٢١	٥	٣٦٥	١	٩١١
*	٣	١	٤	١	٥٤٩	٣	٦٦٧	٣	١٤٨٥
/	١	٠	١	٣	٨١٨	٢	٨٠٦	٧	١٧٣٣
+	١	٠	١	٢	١٠١٨	٧	١٢١٢	٢	١٨٢٤

جدول رقم (٤)

تكرارات الحروف في المواقع

حرف	ف	ع	ل	مج
أ	١٥٧	١٠٥	١٤٥	٤٠٧
ب	٢١٢	٢٦٠	٢٤٢	٧١٤
ت	٦٤	١٤٠	٩٧	٣٠١
ث	٦٧	٨٩	٩٢	٢٤٨
ج	١٨٢	١٥٥	١٤٢	٤٧٩
ح	٢٣٧	١٥٣	١٥٩	٥٤٩
خ	١٨٥	٩٣	٨٨	٣٦٦
د	١٧١	١٨٧	٢١٣	٥٧١
ذ	٥٢	٩٠	٣٥	١٧٧
ر	٢٧٤	٣٣٣	٣٤٩	٩٥٦
ز	١٣١	١٣٧	١١٠	٣٧٨
س	٢٠٥	١٤٥	١٨٤	٥٣٤
ش	١٨٥	١٢٤	١٢٣	٤٣٢
ص	١١٥	١٠٢	١٠٧	٣٢٤
ض	٨٤	٨٣	٧٠	٢٣٧
ط	٨٩	١١٤	١٢٣	٣٢٦
ظ	١٦	٣٤	٣٦	٨٦
ع	٢٣٠	١٦١	٢١٩	٦١٠
غ	١٣٠	٩٣	٥٤	٢٧٧
ف	١٨٠	٢١٣	٢٣١	٦٢٤
ق	٢١٥	١٥٦	١٩٩	٥٧٠
ك	١٧٠	١٤٥	١٠٢	٤١٧
ل	١٩٨	٢٦٤	٢٩٦	٧٥٨
م	٢٢٨	٢٦٤	٢٩٩	٧٩١
ن	٣٣٥	١٨٠	٢٣٠	٧٤٥
هـ	١٧٤	١٧٦	٧٨	٤٢٨
و	٢٤٤	٣١٥	٢٤٨	٨٠٧
ي	١٦	٢٣٥	٢٧٥	٥٢٦

ترتيب تصاعدي لتكرار الحروف في المواقع

ف	ع	ل	مج
ي ١٦	ظ ٣٤	ذ ٣٥	ظ ٨٦
ظ ١٦	ض ٨٣	ظ ٣٦	ذ ١٧٧
ذ ٥٢	ث ٨٩	غ ٥٤	ض ٢٣٧
ت ٦٤	ذ ٩٠	ض ٧٠	ث ٢٤٨
ث ٦٧	غ ٩٣	هـ ٧٨	غ ٢٧٧
ض ٨٤	خ ٩٣	خ ٨٨	ت ٣٠١
ط ٨٩	ص ١٠٢	ث ٩٢	ص ٣٢٤
ص ١١٥	أ ١٠٥	ت ٩٧	ط ٣٢٦
غ ١٣٠	ط ١١٤	ك ١٠٢	خ ٣٦٦
ز ١٣١	ش ١٢٤	ص ١٠٧	ز ٣٧٨
أ ١٥٧	ز ١٣٧	ز ١١٠	أ ٤٠٧
ك ١٧٠	ت ١٤٠	ط ١٢٣	ك ٤١٧
د ١٧١	ك ١٤٥	ش ١٢٣	هـ ٤٢٨
هـ ١٧٤	س ١٤٥	ج ١٤٢	ش ٤٣٢
ف ١٨٠	ح ١٥٣	أ ١٤٥	ج ٤٧٩
ج ١٨٢	ج ١٥٥	ح ١٥٩	ي ٥٢٦
ش ١٨٥	ق ١٥٦	س ١٨٤	س ٥٣٤
خ ١٨٥	ع ١٦١	ق ١٩٩	ح ٥٤٩
ل ١٩٨	هـ ١٧٦	د ٢١٣	ق ٥٧٠
س ٢٠٥	ن ١٨٠	ع ٢١٩	د ٥٧١
ب ٢١٢	د ١٨٧	ن ٢٣٠	ع ٦١٠
ق ٢١٥	ف ٢١٣	ف ٢٣١	ف ٦٢٤
م ٢٢٨	ي ٢٣٥	ب ٢٤٢	ب ٧١٤
ع ٢٣٠	ب ٢٦٠	و ٢٤٨	ن ٧٤٥
ح ٢٣٧	م ٢٦٤	ي ٢٧٥	ل ٧٥٨
و ٢٤٤	ل ٢٦٤	ل ٢٩٦	م ٧٩١
ر ٢٧٤	و ٣١٥	م ٢٩٩	و ٨٠٧
ن ٣٣٥	ر ٣٣٣	ر ٣٤٩	ر ٩٥٦

جدول رقم (٥)

النسب المئوية للحركات بحسب الحروف

حرف	ف	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ع	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ل	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	مد	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩
ا	٢٣٦	٢	٢٩	٢٩	٧	٣٣	٠	١٣٨	٥٨	٣	٥	٨	٢٥	١	١٩٧	٥٨	٤	٣	٨	٢٨	٠	٥٧٠	٣٥	١٤	١٤	٨	٢٩	٠
ب	٢٩٤	٢٠	٣٢	١٢	١١	٢٥	٠	٣٨٥	٩	٢٩	٢٨	٦	٢٧	١	٣٧٠	٩	٢٨	٢١	٩	٣٢	١	١٠٦٠	١٢	٢٩	٢١	٩	٢٩	٠
ت	٨٨	٩	٢٥	٣٤	٢	٢٩	١	١٨٧	١١	٣٤	٢٩	٥	٢٠	٠	١٣١	٨	٣٤	٣٣	١٠	١٥	٠	٣٨٤	١٠	٣١	٢٩	٧	٢٣	٠
ث	٩٥	١٢	٣١	٢٢	٦	٢٩	٠	١٢٣	٥	٣٥	٢٥	٨	٢٦	١	١٤٧	١٥	٣٣	٢٠	٣	٢٨	١	٣١٢	١١	٣١	٢٢	٦	٢٩	١
ج	٢٥٥	٢٠	٢٩	١٨	٧	٢٥	٠	٢٢٣	٩	٤٠	١٣	٨	٣٠	٠	١٩٦	٩	٣٧	٢٢	٣	٢٩	٠	٦٤٥	١٤	٣٤	١٧	٦	٢٨	٠
ح	٣٤٣	٤	٣٤	٢٧	٧	٢٨	٠	٢٠٨	٤٤	١٤	١٠	٨	٢٤	٠	٢٠٧	٤٨	١٣	١٤	٦	٢٠	٠	٧٣٨	٢٨	٢٢	١٨	٧	٢٥	٠
خ	٢٨٠	٦	٢٩	٢٧	٥	٣٢	٠	١٤٧	٢٠	٢٧	١٤	١٢	٢٩	٠	١١٥	٣٧	٢٣	١٦	٣	٢١	٠	٥١٨	١٧	٢٧	٢٠	٧	٢٩	٠
د	٢٣١	٢٤	٣٣	١١	٣	٢٩	٠	٣٦٦	١٥	٢٧	٢٥	٧	٢٥	٠	٣٠٥	٨	٣٣	٢٤	٦	٢٩	٠	٧٩٩	١٦	٣٠	٢٠	٦	٢٨	٠
ذ	٧٨	١٨	٢٩	٢١	٦	٢٦	٠	١١٩	٩	٣٠	٢٩	٥	٢٦	٠	٤٣	٥	٤٢	٢٦	٢	٢٦	٠	٢٢٥	١٢	٣٠	٢٦	٥	٢٦	٠
ر	٤٠٥	١٩	٣٤	١٥	٨	٢٤	٠	٥٦٨	٧	٣٦	٢٠	٩	٢٧	١	٥٥٦	١٠	٣٤	١٩	٧	٣١	٠	١٤٨٠	١١	٣١	١٨	٨	٣١	٠
ز	١٨٣	١٩	٣١	٢١	٢	٢٧	٠	١٩٠	١٢	٢٧	٣١	٦	٢٤	٠	١٥١	٩	٣٢	٣٤	٦	١٨	٠	٤٩٨	١٤	٢٩	٢٩	٥	٢٣	٠
س	٢٩٧	١٩	٣٠	١٣	٩	٢٩	٠	٢٠٢	١١	٣٣	٢٥	٩	٢٢	٠	٣٦٤	٨	٢٩	٣٠	٦	٢٧	١	٧٢٥	١٤	٢٩	٢٢	٨	٢٧	١
ش	٢٥٠	١٦	٣٣	١٥	٦	٣١	٠	١٨١	٩	٣١	٢٥	٤	٣٠	٠	١٦٧	١١	٣٤	٢٩	٣	٢٣	٠	٥٧٤	١٣	٢٢	٢٣	٥	٢٩	٠
ص	١٥٤	١٤	٢٧	٢٣	٨	٢٨	٠	١٤٩	٩	٣٠	٣١	٦	٢٣	٠	١٤٩	١٠	٢٧	٢٨	٣	٣٢	٠	٤٢٠	١٣	٢٧	٢٧	٦	٢٨	٠
ض	١٠٦	١٨	٢٨	٢١	٨	٢٥	٠	١١٨	١٤	٢٦	٢٦	٧	٢٥	١	١٠٧	١١	٣١	٢٩	١١	١٨	٠	٣١٣	١٥	٢٧	٢٦	٩	٢٣	٠
ط	١٢٠	١١	٢٣	٢٣	٧	٣٦	٠	١٥٨	١٣	٣٤	٢٥	٧	٢٢	٠	١٦٩	١١	٢٩	٣٣	٤	٢٣	٠	٤٢٨	١٢	٣١	٢٧	٦	٢٤	٠
ظ	٢١	٢٩	١٠	١٩	٥	٣٨	٠	٣٩	٣	٤٤	١٨	١٣	٢٣	٠	٤٠	١٥	٢٨	٢٥	٣	٣٠	٠	٩٣	١٤	٢٧	٢٧	٨	٢٥	٠
ع	٣٤٥	١	٢٨	٣٣	٧	٣٠	٠	٢٢٩	٤١	١١	٨	٧	٣٠	٠	٣١٨	٤٣	٩	٨	٨	٢٨	٠	٨٧٩	٢٨	١٦	١٨	٨	٣٠	٠
غ	١٨٥	٠	٢٧	٣٣	٤	٣٦	٠	١١٨	٤٤	١٣	٩	٨	٢٦	٠	٦٨	٤٠	٢٢	١٥	٧	١٦	٠	٣٧٠	٢١	٢١	٢٢	٦	٢٩	٠
ف	٢٥٤	١٩	٢٥	٢٢	٨	٢٦	٠	٣٠٢	١٠	٢٥	٣٦	٥	٢٤	٠	٣٤٠	١٠	٢٢	٣٣	٨	٢٧	٠	٨٦٠	١٣	٢٣	٣٠	٧	٢٦	٠
ق	٣١٣	١٣	٢٥	٢٧	٦	٢٨	٠	٢٢٢	٨	٣٣	٢٢	٧	٣١	٠	٢٨٩	٧	٢٩	٢٧	٧	٢٩	٢	٧٩٦	١٠	٢٨	٢٥	٧	٣٠	١
ك	٢٣٢	١٣	٢٩	٢٨	٦	٢٤	٠	٢٠٠	٩	٤١	١٦	٦	٢٩	١	١٣٦	١٠	٣٩	٢١	٦	٢٤	٠	٥٤٦	١١	٣٤	٢٢	٦	٢٦	٠
ل	٢٥٥	٢٢	٢٩	١٢	٣	٣٤	٠	٤١٩	١١	٢٤	٢٧	٦	٣٣	٠	٤٥٥	٨	٣٤	٢٠	٨	٣٠	٠	١٠٨٣	١٢	٢٩	٢٠	٦	٣٣	٠
م	٣٠٩	٢٤	٣٦	٩	٧	٢٣	٠	٣٩٩	٩	٣٥	٢١	٩	٢٦	٠	٤٣٩	٩	٢٣	٢٨	٩	٣١	٠	١١٣٧	١٣	٣٠	٢٠	٩	٢٨	٠
ن	٣٦٩	٢١	٣٢	٢١	٦	٢٠	٠	٢٤٢	١٢	٢٥	٢٤	٥	٣٣	٠	٣٢٤	٦	٣١	٢٧	١١	٢٥	٠	١٠٠٢	١٥	٣٠	٢٣	٧	٢٥	٠
ه	٢٣٦	٩	٢٥	٣٩	٢	٢٥	٠	٢٣٧	٤١	٨	٩	١٠	٣٢	٠	١٠٧	٢٢	١٧	١١	٧	٤١	٢	٥٧٤	٢٥	١٦	٢١	٦	٣١	١
و	٣٣٣	٨	١	٥٥	١١	٢٠	٤	٣٧٤	١	٧٤	٥	١	٢٠	٠	٣٦٣	١	٩٣	٠	٦	٠	٠	٩٧٠	٤	٥٤	٢١	٦	١٥	١
ي	٢٦	١٥	٤	٢٣	١٢	٣٨	٨	٢٥٨	٠	٠	٨٤	٠	١٥	٠	٣٤٠	٨	٠	٤٧	٠	٤٤	١	٦٢٠	٥	٠	٦٢	٠	٣٣	١

جدول رقم (٦)

النسب المئوية للحركات بحسب الحروف

حرف	ف	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ع	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ل	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	مد	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩
ا	٩٠	١	٢٩	٣١	٣	٢١	٠	٧٧	٧٠	٥	٥	٤	١٦	٠	٩٩	٧٢	٦	٥	٢	١٤	٠	٢٦٥	٤٨	١٧	١٥	٣	١٧	٠
ب	١٤٤	٢٢	٤٣	١٦	٣	١٧	٠	١٥٦	١٤	٢٤	٣٦	٢	١٤	٠	١٢٨	١٥	٣٣	٢٥	١	٢٦	٠	٤٣٦	١٨	٢٥	٣٦	٢	١٩	٠
ت	٤٣	٩	٢٨	٢٣	٢	٢٧	٠	٩٧	١٥	٤٠	٢١	١	١٢	٠	٦٩	٩	٣٩	٣٩	٤	٩	٠	١٩٨	١٣	٢٥	٣٣	٣	١٧	٠
ث	٤٣	١٩	٣١	٣٦	٢	٢١	٠	٥٧	٤	٤٣	٣٦	٤	٢١	٠	٦٨	١٩	٤٣	١٩	٣	١٦	١	١٥٤	١٥	٣٦	٢٤	٢	٢١	١
ج	١٢١	٢٤	٣٦	٢٥	٢	١٢	٠	٩٦	١٣	٥٣	١١	١	٢٢	٠	٩١	١٢	٤٣	٢٤	٣	١٩	٠	٢٩٩	١٧	٤٣	٢٠	٣	١٧	٠
ح	١٥٢	٧	٤٣	٣٠	١	١٨	٠	١١٠	٥٦	١٩	٩	١	١٥	٠	١١٦	٥٦	١٧	١٦	٠	١٠	٠	٣٦٤	٢٨	٢٧	٢٠	١	١٥	٠
خ	١٠٢	١١	٢٥	٢٩	٢	٣٢	٠	٥٣	٣٢	٢٦	١٧	١٣	٢١	٠	٣٢	٤٨	٢٤	١٦	٠	١٣	٠	٢١٣	٢٥	٣٠	٢٢	٤	٢٠	٠
د	١١٩	٢٤	٣٨	٩	٠	٣٨	٠	١١٩	٢٥	٣٣	٢٤	٢	١٧	٠	١٢٢	١١	٣٨	٣٠	٢	٢٠	٠	٢٥٧	٢٤	٢٥	٢٢	١	١٨	٠
ذ	٣٢	٢٨	٢٨	٢٥	٠	١٩	٠	٣٦	١١	٣٢	[illegible]	٢	١٨	٠	٢٨	٧	٣٣	٣٢	٠	١٨	٠	١١٣	١٦	٣١	٣٤	١	١٩	٠
ر	٢٦٦	٢٦	٤٣	١٥	٢	١٤	٠	١٤٤	٨	٢٨	٣٢	٤	٢٥	١	١٧٨	١٥	٤٤	٢٣	١	١٧	٠	٤٨٢	١٧	٣٩	٢٢	٢	٢٢	٠
ز	٨٩	٢٦	٣٣	٢٥	٠	١٧	٠	٩٠	١٤	٣٦	٢٤	٢	١٣	٠	٧٥	١٥	٣٣	٤٣	١	٨	٠	٢٤٨	١٩	٣٣	٢٤	١	٢٣	٠
س	٢٢٢	٢٥	٣٩	١٣	٤	١٩	٠	٩٥	١٣	٤٣	٢٤	٣	١٧	٠	١١٥	١٣	٣٣	٤٣	١	١٢	٠	٣١٨	١٨	٢٧	٢٧	٢	١٦	٠
ش	١٢٧	١٩	٢٦	١٧	٢	٢٦	٠	٧٥	١٩	٢٩	٢٧	٣	٢٣	٠	٨٤	١٨	٢٦	٣٥	١	١٤	٠	٢٧٨	١٩	٣٣	٢٥	٢	٢١	٠
ص	٨٠	١٥	٣٣	٢٤	٣	٢٦	٠	٦٧	١٦	٢٧	٢٧	١	٧	٠	٦٦	١٤	٢٦	٣٩	٣	١٨	٠	٢٠٢	١٦	٣٢	٣٢	٢	١٨	٠
ض	٦٥	٢٠	٢٤	٢٢	٥	٢٠	٠	٥٧	١٨	٣٣	٢٣	٢	١٨	٠	٤٥	١٦	٢٨	١٦	٠	١١	٠	١٥٩	١٩	٣٣	٢٠	٢	١٦	٠
ط	٦١	١١	٤٤	٢١	٣	٢٠	٠	٧٧	١٧	٤٩	٢٧	١	٩	٠	٨٤	٢٠	٣٢	٢٨	١	٨	٠	٢١٤	١٧	٤٠	٢٩	٢	١٣	٠
ظ	١١	٤٥	١٨	٠	٩	٢٧	٠	٣٠	٣	٥٠	١٧	٧	٢٣	٠	٣٣	١٦	٣١	٣٤	٠	١٩	٠	٦٦	١٧	٣٣	٢٤	٥	٢١	٠
ع	١٣٣	٣	٣٤	٤١	٣	٢٠	٠	١٠٠	٤٦	١٦	١٣	٢	٢٣	٠	١٢٨	٥٧	١٤	١٣	٢	١٤	٠	٣٣٦	٣٥	٢١	٢٣	٢	١٩	٠
غ	٨٣	٠	٣٥	٣٣	١	٣١	٠	٦٩	٥٧	١٤	٧	٣	١٩	٠	٤٣	٤٤	٢٣	١٩	٠	١٤	٠	١٩٤	٣٠	٢٥	٢١	٢	٢٣	٠
ف	١١٥	٢٤	٢٩	٢٠	١	١٧	٠	١٢٥	١٦	٢٩	٤١	١	١٣	١	١٤١	١٤	١٦	٤١	٥	١٤	٠	٢٨١	١٨	٢٧	٢٨	٢	١٥	٠
ق	١٣٤	١٤	٣٤	٣٧	١	١٣	٠	٩٨	١٣	٣٧	٢٧	٠	٢٣	٠	١٢٣	٨	٣١	٣٣	١	٢٥	٢	٣٤٥	١٢	٣٤	٢٩	١	٢١	١
ك	١١٣	١٧	٣١	٢٨	٢	١٢	٠	٩٤	١٠	٥٣	٢١	٠	١٦	٠	٦٩	٧	٢٦	٢٩	٣	١٤	٠	٢٦٦	١٤	٤١	٢٠	٢	١٥	٠
ل	٤٦٦	٢٥	٣٦	١٢	١	٢٧	٠	١٣٧	١٣	٢٨	٣٨	٠	٢١	٠	١٦٣	١١	٣٩	٢٥	٤	٢١	٠	٤٢٨	١٦	٣٤	٢٤	٢	٢٣	٠
م	١٥٦	٢٩	٤٤	١٥	١	١٢	٠	١٥٢	١٨	٣٩	٢٤	٢	١٦	١	١٥٧	٩	٢٩	٣٥	٢	٢٥	١	٤٥٩	١٩	[illegible]	٢٥	٢	١٨	٠
ن	٢١٩	٣١	٣٧	٢٣	١	٧	٠	١٣٨	١٤	٢٩	٢٤	٢	٣٠	٠	١٥٢	٩	٢٤	٣٤	٥	١٨	٠	٤٨٥	٢٠	٣٤	٢٦	٣	١٧	٠
هـ	١١٨	٩	٣٩	٤٨	٠	١٤	٠	١١٩	٣٦	٥	١٣	٤	٣٣	٠	٥٣	٢١	٢١	١٧	٠	٤٣	٠	٢٨٦	٢٧	١٧	٢٨	٢	٢٦	٠
و	١٧٤	٨	٢	٧٥	٢	١٠	٢	٢٥٧	١	٨٨	٤	٠	٧	٠	٢٣٣	٠	٩٨	٠	١	٠	٠	٦٦٤	٣	٦٩	٢١	١	٥	١
ي	٩	٣٣	٠	١١	٠	٥٦	٠	٢١٢	٠	٠	٩٢	٠	٨	٠	٢١١	١٠	٠	٤٨	٠	٤٢	٠	٤٢٠	٦	٠	٦٦	٠	٢٥	٠

٣: ٢: ٢: ١ الأفعال الثنائية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الثنائية (١٣٢٩) فعلاً. وهي تتوزع في (١٣) مجموعة مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهي:

- المجموعة (د) وتتألف من (٣٧٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والسابع.
- المجموعة (ر) وتتألف من (٣١١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثالث والسابع.
- المجموعة (ث) وتتألف من (٢٣٥) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والسابع.
- المجموعة (ح) وتتألف من (١٦٩) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والثالث.
- المجموعة (خ) وتتألف من (٧٢) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والخامس.
- المجموعة (ت) وتتألف من (٤٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والخامس.
- المجموعة (س) وتتألف من (٤٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الخامس والسابع.
- المجموعة (ذ) وتتألف من (٤١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثالث والخامس.
- المجموعة (أ) وتتألف من (١٢) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والثاني.
- المجموعة (ب) وتتألف من (١١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والثالث.
- المجموعة (ص) وتتألف من (٥) أفعال تنتمي إلى البابين السابع والتاسع.
- المجموعة (ز) وتتألف من (٤) أفعال، تنتمي إلى البابين الثالث والتاسع.
- المجموعة (ش) وتتألف من فعل واحد فقط ينتمي إلى البابين الخامس والتاسع.

وتتوزع هذه الأفعال - كما هو واضح - في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً وهي:

١) الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (٩٧٣) فعلاً.

٢) الباب الثاني، يتحقق هذا الباب في (٦٢٩) فعلاً.

٣) الباب الثالث، يتحقق هذا الباب في (٥٣٦) فعلاً.

٤)الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (٣٠٤) أفعال.

٥)الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (٢٠٦) أفعال.

٦)الباب التاسع، يتحقق هذا الباب في (١٠) أفعال هي:

(تيس، جهي، خضب، وثق، وعق، وكم، ولي، يئس، يبس).

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الثنائية (٢٦٥٨) صورة فعلية تتوزع في ثنائيات بحيث يتفق عنصرا كل ثنائية منها في الجذر ويختلفان في بابيهما.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الجذر الثلاثي "أجل" - على سبيل المثال - ينتمي إلى البابين: الثاني (فتح - ضم)، والسابع (كسر - فتح)، وهو عنصر في المجموعة الفعلية (د) التي يبلغ عددها (٣٧٦) فعلاً، كما ذكرنا في (٣: ٢: ٢: ١). ويولد هذا الجذر - بسبب ثنائية أبوابه - صورتين فعليتين من مجموع الصور ذات الباب الثنائي والبالغ عددها (٢٦٥٨) صورة.

٣: ٢: ٢: ٢ الأفعال الثلاثية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية ذات الأبواب الثلاثية (٢٣٦) فعلاً. وهي تتوزع في (١٠) مجموعات مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهي:

١)المجموعة (ق) تتألف من (٧٧) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والثالث والسابع.

٢)المجموعة (ك) تتألف من (٧٢) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والخامس والسابع.

٣)المجموعة (غ) تتألف من (٣٣) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الأول والخامس والسابع.

٤)المجموعة (ل) تتألف من (٣٠) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثالث

والخامس والسابع.

٥)المجموعة (ف) تتألف من (٧) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والثالث والخامس.

٦)المجموعة (ع) تتألف من (٥) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثالث والسابع.

٧)المجموعة (ظ) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثاني والسابع.

٨)المجموعة (ط) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثاني والخامس.

٩)المجموعة (م) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الثالث والسابع والتاسع.

١٠)المجموعة (ض) تتألف من فعلين ينتميان إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث.

وتتوزع هذه الأفعال - كما هو واضح - في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١)الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (٢٢٤) فعلاً

٢)الباب الثاني، يتحقق في (١٦٥) فعلاً

٣)الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (١٤٥) فعلاً.

٤)الباب الثالث، يتحقق هذا الباب في (١٢٤) فعلاً.

٥)الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (٤٧) فعلاً.

٦)الباب التاسع، يتحقق هذا الباب في (٣) أفعال هي: وبق، ورى، وله.

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الثلاثية (٧٠٨) صور فعلية تتوزع في ثلاثيات بحيث تتفق عناصر كل ثلاثية منها في الجذر وتختلف في أبوابها.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الجذر الثلاثي "أصل" - على سبيل المثال - ينتمي إلى ثلاثة أبواب مختلفة هي: الباب الثاني (فتح - ضم)، والباب الخامس (ضم - ضم)، والباب السابع (كسر - فتح). وهو عنصر في المجموعة الفعلية (ك) التي يبلغ عددها (٧٢) فعلاً، كما ذكرنا في (٣: ٢: ٢: ٢☺. ويولد هذا الجذر - بسبب ثلاثية أبوابه - ثلاث صور فعلية من مجموع الصور الفعلية ذات الباب الثلاثي والبالغ عددها (٢٣٦) صورة.

٣: ٢: ٢: ٣ الأفعال الرباعية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الرباعية، (١٤) فعلاً. وهي تتوزع في (٦) مجموعات مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١) المجموعة (هـ) وتنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والثاني، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد هذه المجموعة (٦) أفعال، وهي: "ذرع"، و"زعم"، و"سفه"، و"قدم"، و"لحم"، و"نحل".

٢) المجموعة(*) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الثاني، والثالث، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة (٣) أفعال، وهي: "خرق"، و"عرف" و"قصر".

٣) المجموعة (و) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول والثالث، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلين اثنين فقط، هما: "بلت" و"رضع".

٤) المجموعة (ن) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والثاني، والثالث،

والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط، هو الفعل: "مخض".

٥)المجموعة (ي) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والخامس، والسابع، والتاسع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط هو الفعل: "ورع".

٦)المجموعة (/) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الثاني، والخامس، والسابع، والتاسع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط هو الفعل: "حسب".

وتتوزع هذه الأفعال - كما هو واضح - في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١)الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (١٤) فعلاً.

٢)الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (١٣) فعلاً.

٣)الباب الثاني، يتحقق هذا الباب في (١١) فعلاً.

٤)الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (١٠) أفعال.

٥)الباب الثالث، يتحفو هذا الباب في (٦) أفعال.

٦)الباب التاسع، يتحقق هدا الباب في فعلين هما: "حسب" و"ورع".

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الرباعية (٥٦) صورة فعلية تتوزع في رباعيات بحيث تتفق عناصر كل رباعية منها في الجذر وتختلف في أبوابها.

٣: ٢: ٢: ٤ الأفعال الخماسية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الخماسية، فعلاً واحداً فقط. وقد أشرنا إلى المجموعة، التي تتضمن هذا الفعل، بالرمز (+). وينتمي هذا

الفعل إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث والخامس والسابع، وهذا الفعل هو: "دخن".

ويتوزع هذا الفعل في خمسة أبواب رئيسية فقط هي:

١) الباب الأول: دخَن: يدخَن.

٢) الباب الثاني: دخَن: يدخُن.

٣) الباب الثالث: دخَن: يدخِن.

٤) الباب الخامس: دخُن: يدخُن.

٥) الباب السابع: دخِن: يدخَن.

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الخمسة، خمس صور فعلية تتفق فيما بينها في الجذر ولكنها تختلف في نوع الباب الذي تنتمي إليه.

٣: ٢: ٣ عدد تشكلات الأفعال في الأبواب:

وبناء على ما سبق، فإن عدد التشكلات الفعلية المبنية على الأفعال المتعددة الأبواب يبلغ (٣٤٢٧) تشكلاً، ويقدم هذا العدد من التشكلات، مع عدد الأفعال الأحادية الباب، العدد الكلّي للأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط بمختلف تنوعات أبوابها، وذلك على النحو التالي:

(٢٩٦٦) فعلاً أحادي الباب + (٣٤٢٧) فعلاً متعدد الأبواب = (٦٣٩٣) فعلاً تؤلف المجموع الكلي للتشكلات الفعلية المختلفة.

٣ :١ الحركات المشتركة: يبين كل عدد وارد في العمود الرأسي الثالث، في الجدول رقم (٣) أيضاً، عدد الأفعال التي تشترك، مع العدد المجاور له في العمود الرأسي الثاني، في وزن الباب الذي يشير إليه الرمز المقابل لهما والوارد في العمود الرأسي الأول، غير أن هذه الأفعال التي وردت

أعدادهـا في العمـود الرأسـي الثـالث، ذات طبيعـة متعـددة أو مركبـة في نـوع حركة عين ماضيها ومضارعها؛ بمعنى أن كل فعل منها له - في حركة عـين ماضيه ومضارعه - تنوعات أو تشكلات تنتمي إلى غير باب.

فالعدد (٣٦٢)، الواقع في بداية هذا العمود، يدل على وجود (٣٦٢) فعلاً يشتمل كل واحد منها على الباب الأول الذي يشير إليه الرمز (١) المقابل له في العمود الأول. وهذا العدد (٣٦٢)، ناجم من تكرر ورود الرمز (١) الذي يشير إلى الباب الأول ضمن خمسة عشر رمزاً سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي الأول في الجدول رقم (٢). وهذه الرموز هي: (أ،ب،ت،ث،ج،ض،ط،ظ،ع،غ،هـ،و،ي،+)[١٢]. وتُعدُّ أعداد الأفعال، التي تمثلها هذه الرموز المختلفة، روافد تزود الرمز الرئيسي (١)، الذي يشير إلى الباب الأول - كما ذكرنا - بأعداد من الأفعال المنتمية إلى هذا الباب، وذلك على النحو التالي:

(١٢،١١،٤٦،٢٣٥،٠،٢،٣،٤،٥،٣٣،١،٦،٢،١،١) على الترتيب. ويبلغ مجموع هذه الروافد (٣٦٢) فعلاً ثلاثياً.

ويعني العدد (١٧)، الوارد في العمود الرأسي الثالث والمناظر للرمز (أ) الواقع في العمود الأول وجود (١٧) فعلاً يشتمل كل واحد منها على البابين: الأول والثاني، وهما البابان اللذان يشير إليهما الرمز (أ) المقابل له في الجدول الثاني. وهذا العدد (١٧) ناجم من تكرر ورود الرمزين (١،٢) ضمن ستة رموز سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي العاشر الوارد في الجدول رقم (٢). وهذه الرموز هي: (ض،ط،ظ،ن،هـ،+). وتعد أعداد

(١٢) انظر الجدول رقم (٢).

الأفعال، التي تمثلها هذه الرموز، روافد تزود الرمز (أ)الذي يشير إلى البابين الأول والثاني - كما ذكرنا -، بأعداد من الأفعال المنتمية إلى هذين البابين، وذلك على النحو التالي: (٢،٣،٤،١،٦،١). ويبلغ مجموع هذه الروافد (١٧) فعلاً ثلاثياً وبالمثل يمكن فهم بقية الأعداد الواردة في العمود الثالث.

٣: ٤ مجموع صور الأبواب:

يقدم العمود الرأسي الرابع، الوارد في الجدول رقم (٣) أيضاً، مجموع الأفعال التي ترد حركة عين الماضي والمضارع فيها، وفق الباب الذي يشير إليه الرمز المقابل لها في العمود الأول. فالعدد (٩١١)، الواقع في بداية هذا العمود، يعني وجود هذا العدد من الأفعال المنتمية إلى الباب الأول. غير أن بعض هذه الأفعال يرد أحادي الباب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو (٥٤٩) فعلاً في حين يرد بعضها الآخر متعدد الأبواب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو (٣٦٢) فعلاً.

ويعني العدد (١٨٢٤)، الواقع في هذا العمود أيضاً، وجود هذا المقدار من الأفعال المنتمية إلى الباب الثاني، غير أن بعض هذه الأفعال يرد أحادي الباب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو: (١٠١٨) فعلاً، في حين يرد بعضها الآخر متعدد الأبواب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو: (٨٠٦) أفعال.

ويدل العدد (٨٤)، الواقع في هذا العمود أيضاً، والمناظر للرمز (ذ) الواقع في العمود الأول، يدل على وجود (٨٤) فعلاً ثلاثياً ينتمي كل واحد منها إلى البابين الثالث والخامس. ومن هذه الأفعال (٤١) فعلاً تنتمي إلى البابين الثالث والخامس المذكورين فقط، و(٤٣) فعلاً تنتمي إلى هذين البابين - الثالث والخامس - بالإضافة إلى أبواب أخرى تعينها الرموز التالية:

(ف،ل،و،*،+) التي سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي الثامن عشر الوارد في الجدول رقم (٢).

وتقدم الأعمدة الرأسية الثلاثة الأخيرة في هذا الجدول إعادة المعلومات الرقمية الواردة في الأعمدة السابقة، على هيئة تكرارات مرتبة ترتيباً تصاعدياً.

٣: ٥ استنتاجات:

لنا على الجداول الثلاثة السابقة ملحوظات نورد - فيما يأتي - بعضاً منها:

١- يبلغ عدد الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط - دون حساب التشكلات الفعلية المختلفة للأبواب - (٤٥٤٦) فعلاً، غير أن هذا العدد يرتفع ليصل إلى (٦٣٩٣) فعلاً في حالة إدخال التشكلات الفعلية المختلفة للأبواب.

٢- تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني (فتح - ضم) أكثر الأفعال الثلاثية العربية التي ترد في المعجم الوسيط أحادية الباب، فهي تبلغ (١٠١٨) فعلاً. وتليها في ذلك الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث: (فتح - كسر) فهي تبلغ (٨١٨) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الأول (فتح - فتح)، ويبلغ عددها (٥٤٩) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع (كسر - فتح)، ويبلغ عددها (٥٢١) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الخامس (ضم - ضم)، ويبلغ عددها (٥٦) فعلاً، وأخيراً الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب التاسع (كسر - كسر)، ويبلغ عددها (٤) أفعال فقط.

٣- تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع (كسر - فتح)، أكثر

الأفعال العربية التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، فهي تبلغ (١٢١٢) فعلاً، يرد منها (٩٧٣) فعلاً ثنائي الباب، و(٢٢٤) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٤) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. وتلي الباب السابع في ذلك الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني، فهي تبلغ (٨٠٦) أفعال، يرد منها (٦٢٩) فعلاً ثنائي الباب، و(١٦٥) فعلاً ثلاثي الباب، و(١١) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث وعددها (٦٦٧) فعلاً، يرد منها (٥٣٦) فعلاً ثنائي الباب، و(١٢٤) فعلاً ثلاثي الباب، و(٦) أفعال رباعية الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الخامس وعددها (٣٦٥) فعلاً يرد منها (٢٠٦) أفعال ثنائية الباب، و(١٤٥) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٣) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الأول وعددها (٣٦٢) فعلاً، يرد منها (٣٠٤) أفعال ثنائية الباب و(٤٧) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٠) أفعال رباعية الباب، وفعل واحد خماسي الباب. وتليها - أخيراً - الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب التاسع وعددها (١٥) فعلاً، يرد منها (١٠) أفعال ثنائية الباب، و(٣) أفعال ثلاثية الباب وفعلان اثنان رباعيا الباب.

٤ - تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني، أكثر الأفعال العربية التي ترد في المعجم الوسيط تابعة لأحد الأبواب، سواء أكانت أحادية الباب، أم متعددة الأبواب. فهي تبلغ (١٨٢٤) فعلاً. وتليها، في ذلك، الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع وعددها (١٧٣٣) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث وعددها (١٤٨٥) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب

الأول، وعددها (٩١١) فعلاً، ثم الأفعال المنتمية إلى الباب الخامس وعددها (٤٢١) فعلاً، وأخيراً الأفعال المنتمية إلى الباب التاسع وعددها (١٩) فعلاً. وبهذا يتضح أن الباب الثاني هو أوسع الأبواب جميعاً. وهذا يخالف – فيما نرى – ما ذهب إليه ابن جني عندما اعتبر البابين: فعَل يفعِل، وفعِل يفعَل، أصولاً، في حين اعتبر الباب الثاني: فعَل يفعُل داخلاً على باب فعَل يفعِل[١٣].

٥- يبلغ عدد الأفعال الثلاثية الأحادية الباب، الواردة في المعجم الوسيط (٢٩٦٦) فعلاً. وهي بهذا تفوق – بنسبة الضعف تقريباً – عدد الأفعال الثلاثية التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، والتي يبلغ عددها (١٥٨٠) فعلاً. بيد أن هذه الأفعال الأخيرة، تفوق في عددها الأفعال الثلاثية الأحادية الباب، في حالة حساب الصور الفعلية والتشكلات المختلفة للأبواب التي تتوزع فيها هذه الأفعال، فهي تبلغ (٣٤٢٧) صورة فعلية تجسد الأفعال ال (١٥٨٠) التي ترد في المعجم الوسيط – كما ذكرنا – متعددة الأبواب.

٦- ترد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث، أحادية الباب، بقدر أكبر من ورودها متعددة الأبواب، فهي ترد أحادية الباب في (٢٣٨٥) فعلاً، في حين ترد متعددة الأبواب (١٨٣٥) فعلاً.

وهذا ينطبق على أعداد أفعال هذه الأبواب إذا أُخذ كل واحد منها بمفرده. أما الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الأبواب: الخامس والسابع والتاسع، فإنها ترد متعددة الأبواب بقدر أكبر من ورودها أحادية الباب. فهي ترد متعددة الأبواب في (١٥٩٢) فعلاً، في حين ترد أحادية الباب في (٥٨١) فعلاً، وهذا ينطبق على أفعال هذه الأبواب إذا أُخذ كل واحد منها بمفرده أيضاً.

(١٣) ابن جني، المنصف ١٨٦/١.

٧- تعد الأفعال الثلاثية، ذات الحركات المتخالفة في عين الماضي والمضارع، أكثر من تلك الأفعال الثلاثية ذات الحركات المتجانسة في عين الماضي والمضارع سواء في ذلك الأفعال الثلاثية التي ترد أحادية الباب، أو الأفعال الثلاثية التي ترد متعددة الأبواب، أو بمجموعهما معاً. فقد بلغ المجموع الكلي للأفعال المتخالفة في حركة عين الماضي والمضارع (٥٠٤٢) أفعال، في حين بلغ المجموع الكلي للأفعال المتجانسة في حركة عين الماضي والمضارع (١٣٥١) فعلاً.

ويرى بعض اللغويين أن الأبواب التي وقعت فيها المخالفة أصل بالنسبة إلى غيرها مما اتحدت فيه حركة العين في الماضي والمضارع[١٤]. فها هو ذا سيبويه ينص في (باب الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها) على أن (الأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية على فعَل - يَفْعُل، وفعَل - يفعِل، وفعِل يفعَل)[١٥]، ثم يذكر، في موضع آخر من كتابه، أن الأصل في باب فعَل هو يفعَل ويفعُل في المضارع، فهو يقول: "وإذا قلت فعَل ثم قلت يفعُل، علمت أن أصله الكسر أو الضم... ..."[١٦].

ويذهب ابن جني إلى أن حركة عين المضارع تخالف حركة عين الماضي أبداً إلا باب "فعُل - يفعُل". وهو يرى أن أساس المخالفة في حركة عين الماضي والمضارع يكمن في بابي فعَل - يفعِل، وفعِل - يفعَل" لأن كل واحد منهما بناء على حياله... لمقاربة الكسرة الفتحة، واجتماعهما في مواضع

(١٤) د. محمد بدوي المختون، دراسة نظرية تطبيقية في تصريف الأفعال، ص٧٠

(١٥) سيبويه، الكتاب، ٤/٥.

(١٦) السابق ٤/١٠٤.

كثيرة، وإمالة كل واحدة إلى صاحبتها ... فهذا ونحوه يدل على مناسبة الكسرة للفتحة"[١٧] . أما الباب الثالث الذي تخالف فيه حركةُ عين المضارع حركةَ عين الماضي فهو باب فعَل - يفعُل، ويعد ابن جني هذا الباب داخلاً على باب فعَل - يفعِل[١٨] .

أما أبواب الفعل التي ترد فيها حركة عين الماضي والمضارع متماثلة، فقد اعتبرها الصرفيون أبواباً خاصة متميزة عن سابقتها، فباب "فعُل - يفعُل"، يعده اللغويون باباً مستقلاً، بمعنى أن كل فعل يرد ماضيه مضموم العين، تكون عينه في المضارع مضمومة أيضاً، ولو كانت هذه العين حرفاً حلقياً، يقول سيبويه: "... ... لأن ما كان على ثلاثة أحرف قد يبنى على فعَل، وفعِل، وفعُل وهذه الأبنية كلُّ بناء منها إذا قلت فيه فعُل لزم بناءً واحداً في كلام العرب كلها. وتقول ضبُح - يَصبُح لأن يفعُل من فعُلت لازم له الضم لا يصرف إلى غيره..."[١٩] ويقول ابن جني: "فأما قولهم "كرُم - يكرُم فإنهم إنما أقروا في عين المضارع حركة الماضي لأن هذا باب على حدته"[٢٠] ويقول في موضع آخر: "... لأنه على حياله[٢١] ".

أما باب "فعَل - يفعَل" فإن اللغويين العرب يعدونه خارجاً عن الأصل،

(١٧) ابن جني، المنصف، ١٨٧/١.

(١٨) السابق، ١٨٦/١.

(١٩) سيبويه، الكتاب، ١٠٣/٤.

(٢٠) ابن جني، المنصف، ١٨٨/١.

(٢١) السابق نفسه.

ويشترطون في الحرف الذي يشغل موقع العين أو اللام فيه أن يكون حلقياً[٢٢].

ولقد اعتبر بعض الصرفيين الباب الأخير الذي يرد متماثل حركة العين في الماضي والمضارع، وهو باب "فعِل – يفعِل" باباً شاذاً. ولعل السبب في ذلك عائد إلى أن وزن هذا الباب يقل في الأفعال الصحيحة، ويكثر في الأفعال المعتلة، فضلاً عن كون عدد الأفعال، التي جاءت على وزنه قليلاً. يقول ابن عصفور: "وشذَّ من "فَعِل" شيء فجاء مضارعه على "يفْعِل" بكسر العين نحو: نَعِم ينْعِم، وحَسِبَ يَحْسِبُ"[٢٣].

٤: حروف الفعل الثلاثي وتأثيرها في نوع حركة عين ماضيه ومضارعه:

يقدم الجدول رقم (٥) عدد الأفعال الثلاثية، بحسب مواقع الفاء والعين واللام فيها، مع الأخذ بالاعتبار تنوع أبواب الفعل وتعددها، والنسب المئوية التقريبية لكل باب من الأبواب الرئيسية في كل حالة.

وينقسم هذا الجدول إلى أربعة أجزاء، وقد جاء الجزء الأول خاصاً بفاء الفعل، والجزء الثاني خاصاً بعينه، والجزء الثالث خاصاً بلامه. أما الجزء الأخير، فقد خصصناه لمجموع الأفعال الثلاثية التي يظهر فيها الحرف المعين مرة واحدة أو أكثر. وسنقدم – فيما يأتي – بياناً وتوضيحاً لجزأين من هذه الأجزاء الأربعة:

٤: ١ النسب المئوية للحركات بحسب فاء الفعل:

يقدم العمود الرأسي الثاني، الواقع في هذا الجزء من الجدول، والمبدوء

---

(٢٢) المراجع السابقة، وكذلك: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٣/٧.

(٢٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف ١٧٦/١.

بالروز (ف)، أعداد الأفعال الثلاثية التي تكون فاؤها أحد الحروف الأبتثية المجاورة لها في العمود الرأسي الأول. فالعدد (٢٣٦) الواقع في بداية هذا العمود - على سبيل المثال - يمثل عدد الأفعال الثلاثية المبدوءة بالحرف (أ) التي يمكن أن تختلف في حروفها في موقعي العين واللام مثل أبد، وأخذ وأكل... ...، أو في تنوعات أبواب الفعل مثل: أجَل - يأجُل، وأجِل - يأجَل .... إلخ.

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن عدد الأفعال الثلاثية المبدوءة بالحرف (أ) والمختلفة في حروفها في موقعي العين واللام يبلغ (١٥٧) فعلاً. أما الأفعال المتبقية وعددها (٧٩) فعلاً، فإنها تطابق بعض الأفعال ال (١٥٧) السابقة في حروفها، ولكنها تختلف عنها في تنوعات الأبواب التي تنتمي إليها. فالفعل "أسل" - على سبيل المثال - يحسب مرة واحدة في المجموع الوارد في الجدول رقم (٥) والبالغ (٢٣٦). والسبب في ذلك عائد إلى أن هذا الفعل ينتمي إلى الباب الخامس (ضم - ضم) فقط، في حين يحسب الفعل "أنس" ثلاث مرات، في ذلك المجموع، لأنه ينتمي إلى ثلاثة أبواب من أبواب الفعل في آنٍ واحد.

أما الأعمدة الرأسية الستة التالية، فإنها خاصة بالنسب المئوية التقريبية لأبواب الفعل الستة. ففي السطر الأفقي السابع عشر المبدوء بالحرف (ظ)، - على سبيل المثال - تتوزع النسب المئوية لأبواب الفعل الستة في الأفعال التي فاؤها (ظ)، وعددها كما هو وارد في المعجم الوسيط، بأبوابها المتنوعة (٢١) فعلاً، على النحو التالي: (٢٩٪، ١٠٪، ١٩٪، ٥٪، ٣٨٪، ٠٪).
وهذا يعني أن الأفعال الثلاثية التي فاؤها (ظ)، ترد حركة عين ماضيها

ومضارعها تبعاً للباب السابع بنسبة ٣٨٪، وتبعاً للباب الأول بنسبة ٢٩٪، وتبعاً للباب الثالث بنسبة ١٩٪، وتبعاً للباب الثاني بنسبة ١٠٪، وتبعاً للباب الخامس بنسبة ٥٪، ولكن لا ترد حركة عين أي فعل مبدوء بهذا الحرف على وزن الباب التاسع (كسر - كسر).

ويمكن إيجاد النسبة المئوية الأولى وهي ٢٩٪ - على سبيل المثال - باتباع الخطوات التالية:

نحسب عدد الأفعال الثلاثية التي فاؤها (ظ)، التي تنتمي إلى الباب الأول، فنجدها تبلغ في المعجم الوسيط ستة أفعال، وبعد ذلك نجد قيمة المقدار:

$$\frac{٦}{٢١} \times ١٠٠\% = ٢٩\%$$ تقريباً

ويمكن - بالمثل - إيجاد النسب المئوية لبقية الأبواب الأخرى.

٤ : ٢ النسب المئوية للحركات بحسب وجود ما في الجذر (المجموع):

يتألف الجزء الأخير، من الجدول، من سبعة أعمدة، يمثل أولها، الواقع تحت الرمز (مج)، مجموع الأفعال الثلاثية التي يظهر فيها حرف ما مرة واحدة أو أكثر بمعنى أن الفعل يحسب مرة واحدة، سواء كان هذا الفعل مشتملاً على الحرف المعين في موقع فائه أو عينه، أو لامه، أو في أكثر من موقع واحد من هذه المواقع. ومن الأمثلة على ذلك الفعل "أبا"، الذي يشتمل على الحرف (أ) في موقعي الفاء واللام، ولكنه يحسب في المجموع بوصفه فعلاً واحداً، لأن الهدف، في هذا الجزء من الجدول، يتمثل في معرفة تأثير الفعل المشتمل على الحرف المعين، في

موقع واحد منه أو أكثر، على نوع الباب الذي تختاره عين الماضي والمضارع.

وكذلك، فقد حسب الفعل المضعَّف مرة واحدة في المجموع أيضاً، لأن الحرفين اللذين يشغلان موقعي العين واللام متماثلان. فالفعل المضعف "هبّ" – على سبيل المثال – يشتمل في موقعي العين واللام – على حرفين متماثلين هما: الحرف (ب)، ولهذا، فقد اعتبرناه – في المجموع – فعلاً واحداً.

ولتوضيح محتوى هذا الجزء من الجدول، فإننا نورد المثال الآتي:

يتضح من الأجزاء الثلاثة السابقة في هذا الجدول، أن مجموع الأفعال الثلاثية التي فاؤها، أو عينها، أو لامها (ظ) يبلغ (١٠٠) فعل، غير أن مجموع هذه الأفعال الوارد في عمود المجموع، هو (٩٣) فعلاً ويعود السبب في هذا الفرق العددي الى تداخل بعض الافعال الممثلة بالأفعال السابقة،فالافعال المضعفة :

(بظّ، حظّ، عظ، فظ، كظ، لظ، مظ،) مشتركة في الجزأين الثاني والثالث لهذا الجدول اللذين يمثلهما العدد (٣٩) في موقع العين، والعدد (٤٠) في موقع اللام. وبناء على ذلك، فإن العدد الذي اعتبرناه لمجموع الأفعال المشتملة على الحرف (ظ) هو: ٢١+ ٣٩+ ٤٠- ٧= ٩٣ فعلاً.

ويقدم هذا الجزء من الجدول، بياناً بالنسب المئوية لكل من الأبواب الستة في جذور الأفعال الثلاثية التي تشتمل على حرف معين. فالأفعال التي تشتمل على الحرف (أ) التي يبلغ مجموعها (٥٧٠) فعلاً، تتوزع النسب المئوية التقريبية لتكرارات أبوابها على النحو التالي: (٣٥٪، ١٤٪، ١٤٪،

٨٪، ٢٩٪، ٠٪).

ومعنى هذا أن الأفعال المشتملة على الحرف (أ)، في أي موقع من مواقع الفعل الثلاثي، ترد على وزن الباب الأول بنسبة ٣٥٪، وترد على وزن البابين الثاني والثالث بنسبة ١٤٪ في كل واحد منهما، وترد على وزن الباب الخامس بنسبة ٨٪، وترد على وزن الباب السابع بنسبة ٢٩٪ ولا يرد أيٌّ فعل من هذه الأفعال على وزن الباب الأخير وهو الباب التاسع.

٤: ٣ العلاقة بين أبواب الفعل وأحرف الجذر في مواقعها الثلاثة:

إذا رجعنا الآن إلى الجدول رقم (٥)، الذي يتناول – كما ذكرنا – تأثير كل حرف من أحرف الفعل الثلاثي، في نوع الباب، أو الأبواب التي يؤثرها الفعل، فإننا نلاحظ ما يأتي:

٤: ٣: ١ أحرف الجذر والباب الأول:

إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الأول: (فتح – فتح)، تكون مع الأفعال التي فاؤها: (ظ،د،م،ل)، أو عينها، أو لامها: (أ، ح، غ، ع هـ، خ). في حين تعد الأفعال التي فاؤها: (ع،أ،ح،خ،و،هـ)،أو عينها: (و، ظ، ث، ر، ق، ب، ج، ذ، ش، ص، ك، م)، أو لامها: (و، ذ، ن، ق، ت، د، س، ل، ي)، من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد أي فعل فاؤه (غ)، أو عينه (ي) على وزن هذا الباب.

ويتضح لنا من هذا ما يلي:

أ – يكثر وورد الأفعال التي عينها، أو لامها أحد الأحرف الحلقية[٢٤]

---

(٢٤) استعملنا مصطلح الحلق في هذا البحث بالمفهوم التراثي له، ويختلف هذا المفهوم =

وهي:

(أ،ح،غ،ع،هـ،خ) على وزن هذا الباب. وقد لمح القدماء والمحدثون من اللغويين هذه الظاهرة، ونصوا عليها. فسيبويه – على سبيل المثال – يرى أن باب (فعَل – يفعَل) يتحقق – في الأعم الأغلب – في حالة كون عين الفعل أو لامه أحد الأحرف الحلقية الستة السابقة. ويعلل سيبويه كثرة مجيء الأفعال ذات العين الحلقية على وزن هذا الباب، بأن الأحرف الحلقية، حروف مستفلة في الحلق، ولا يناسبها من الحركات، إلا ما كان مثلها مستفلاً، وهو يعني – بذلك – الفتحة، التي يرى أنها بعض الألف، يقول سيبويه: "وأما ما كانت فيه (يقصد أحرف الحلق) عيناتٍ، فهو كقولك: سأَل يسأَل، وذهَب يذهَب ..... وبعَث يبعَث...، ونحَل ينحَل...، ومغث يمغَث...، وذخَر يذخَر، وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سَفَلَتْ في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف في حيزها، وهو الألف (يعني الفتحة) وإنما الحركاتُ من الألف والياء والواو. وكذلك حركوهن إذ كنَّ عَيْناتٍ،ولم يُفْعَل هذا بما هو من موضع الواو والياء

= عما يعنيه هذا المصطلح في علم الأصوات الحديث.

فالحلق - Pharynx في المفهوم الحديث – هو عبارة عن مخرج – Point of Articulation – ينسب إليه صوتان فقط هما: الحاء والعين. ويقع الحلق بهذا المفهوم – فوق الحنجرة، Larynx/ Glottis – التي ينسب إليها صوتا الهمزة والهاء، وأسفل كل من اللهاة Uvula التي ينسب إليها صوت القاف، والطبق، أو سقف الحنك الرخو Velum/ soft Palate الذي تنسب إليه أصوات الخاء، والغين، والكاف.

(يعني الضمة والكسرة)، لأنها من الحروف التي ارتفعت، والحروف المرتفعة حيِّزٌ على حدة، فإنما تَتناول للمرتفع حركة من مرتفع، وكُره أن يُتناول للذي قد سَفَل حركةٌ من هذا الحيز[٢٥].

أما ورود الأفعال ذات اللام الحلقية على وزن هذا الباب، فيرى سيبويه أن حركة عين الفعل تكتسب خاصة الفتح لسبقها اللام الحلقية، وذلك قياساً على ظاهرة الإدغام التي يكتسب فيها الحرف السابق صفات الحرف اللاحق، يقول سيبويه: "... ومع هذا أَن الذي قبل اللام فَتَحْتْه اللامُ (في قرَأ يقرَأ) حيث قَرُب جواره منها لأن الهمز، وأَخواتِه لو كنَّ عيناتٍ فُتحن، فلما وقعَ مَوْضِعَهُنَّ الحرفُ الذي كنَّ يُفْتحن به لو قَرُبَ فُتِح..."[٢٦]

وقد وضح ابن يعيش كلام سيبويه وشرحه بقوله: "أما فعَل - يفعَل، فلم يأت عنهم إلا أن تكون العينُ أو اللامُ أحدَ حروف الحلق، وليس ذلك بالأصل، وإنما هو لضرب من التخفيف بتجانس الأصوات..... وإنما فعلوا ذلك لأن هذه الحروفَ الستةَ حلقيةٌ مستفلة، والضمة والكسرة مرتفعان من الطرف الآخر من الفم، فلما كان بينهما هذا التباعد في المخرج، ضارعوا بالفتحة حروف الحلق لتناسبَ الأصوات، ويكونَ العملُ من وجهٍ واحد"[٢٧].

ولقد كان شارح الشافية، أكثر وضوحاً من غيره، في تعليله لهذه الظاهرة، عندما قال: "ثم إن حروفَ الحلق سافلةٌ في الحلق يتعسر النطق بها، فأرادوا أن يكون قبلها - إن كانت لاماً - الفتحةُ التي هي جزء الألف، التي

(٢٥) سيبويه، الكتاب، ١٠١/٤.

(٢٦) السابق ١٠٥/٤.

(٢٧) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٣/٧.

هي أخفُّ الحروف، فتعدل خفتُها ثقلَها، وأيضاً فالألف من حروف الحلق فيكون قبلها جزءٌ من حرف من حيِّزها، وكذا أرادوا أن يكون بعد حرف الحلق بلا فصل إن كانت عيناً، الفتحةُ الجامعةُ للوصفين، فجعلوا الفتحة قبل الحلقي إن كان لاماً، وبعده إن كان عيناً ليسهل النطق بحروف الحلق الصعبة"(٢٨).

وقد ألمح السيوطي إلى هذه الظاهرة، عندما روى ما قاله ابن درستويه في شرح الفصيح: "كل ماكان ماضيه على فَعَلت، بفتح العين، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه حروف اللِّين، ولا الحلق، فإنه يجوز في مستقبله يفعُل بضم العين، ويفعِل بكسرها..."(٢٩).

ويعني هذا الكلام أن "حروف الحلق تؤثر – كما يذكر أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين – الفتح، للتقارب المخرجي، واقتصاداً للجهد النطقي"(٣٠).

وهذا الرأي الذي نص عليه الدكتور عبد الصبور، هو – في الحقيقة – إعادةٌ لما ردده القدماء، ابتداءً بشيخهم سيبويه، الذي يذكر أن الفتحة بعض الألف أو هي – كما ينصون – من الألف، التي مخرجها بين الهمزة والهاء الحلقيتين(٣١).

غير أننا لا نرى – كما يذكر أستاذنا الدكتور عبد الصبور، وغيره

(٢٨) الرضي، شرح الشافية، ١/١١٩.

(٢٩) السيوطي، المزهر، ١/٢٠٧.

(٣٠) د. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٦٦.

(٣١) سيبويه، الكتاب، ٤/١٠١ – ١٠٢.

من شيوخنا القدامى - أن هناك تقارباً مخرجياً حقيقياً بين أحرف الحلق والفتحة، ذلك أن الفتحة - في الوصف الصوتي الحديث - حركة أمامية واسعة يتم النطق بها من منطقة الغار، أو الحنك الصلب كما يسمى Hard Palate [٣٢]، عندما يكون اللسان مستوياً، أو شبه مستو في قاع الفم، مع ارتفاع خفيف في وسطه، فهي - على هذا الوصف - ليست قريبة في مخرجها من مخرج الحرف الحلقية. وفي رأينا، أن السبب، الذي دعا الحروف الحلقية إلى إيثار الفتحة، يعود إلى أن كلاً من الكسرة والضمة حركة ضيقة يرتفع مقدم اللسان، مع أولاهما، وهي الكسرة، في اتجاه منطقة الغار، ويرتفع مؤخر اللسان، مع ثانيتهما، وهي الضمة، في اتجاه منطقة الغار، ويرتفع مؤخر اللسان، مع ثانيتهما، وهي الضمة، في اتجاه منطقة الطبق أو الحنك اللين كما يسمى Soft Palate [٣٣]، الأمر الذي يؤدي إلى تضييق في مجرى الهواء عبر القناة الصوتية، وبذل جهد إضافي في تكييف بعض الأعضاء النطقية في مناطق مقدم اللسان ومؤخره مع الغار والطبق، فضلاً عن الشفتين. وفي مقابل ذلك فإن اللسان يكون مع الفتحة، بعيداً عن الغار، ومستوياً أو شبه مستو في قاع الفم كما ذكرنا، مما يمكن تيار الهواء من

---

(٣٢) يقصد بالغار، أو الحنك الصلب ذلك الجزء العظمي من سقف الحنك، وهو ذو شكل مقعَّر، ومحزَّز، ويقع خلف منطقة اللّثة.

(٣٣) يقصد بالطبق، أو الحنك اللين، ذلك الجزء الليِّن من سقف الحنك، ويقع في موضع متوسط بين اللهاة من الخلف، والغار أو سقف الحنك الصلب من الأمام، ويمتاز هذا العضو بقابليته للحركة حيث يؤدي ارتفاعه إلى إغلاق ممر الهواء إلى التجويف الأنفي، في حين يؤدي انخفاضه إلى فتح ذلك الممر.

الانطلاق الحر في أثناء النطق بالحروف المفتوحة بعامة، والحروف الحلقية بخاصة. وقد نص القدماء على أن "حروف الحلق أشد علاجاً، وأصعب إخراجاً، وأحوج إلى تمكين آلة الصوت من غيرها"(٣٤). كما نصوا أيضاً على أن النطق بالفتحة أخفُّ من النطق بغيرها من الحركات(٣٥). وعلى هذا فإن خفة النطق بالفتحة من شأنها أن تعدل النطق بالحروف الحلقية الثقيلة كما ذكر الرضي(٣٦).

ولعل الدكتور إبراهيم أنيس كان يعني هذا، الذي نذهب إليه، عندما حاول تفسيرَ هذه الظاهرة، والتعليلَ لها بقوله: "إن كل أصوات الحلق - يعد صدورها - من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً وتلك هي الفتحة"(٣٧).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض القدماء من اللغويين قد ذهبوا - في أثناء حديثهم عن ظاهرة الحروف الحلقية في باب: فعَل - يفعَل - إلى أنه كلما كان الحرف الحلقي أكثر استفالاً في الحلق كان الفعلُ المشتملُ على هذا الحرف، في موقع العين أو اللام، أكثرَ وروداً على وزن هذا الباب، من وروده على الأصل الذي يقصدون به وزني "فعَل - يفعُل"، و"فعَل يفعِل".

---

(٣٤) ابن عصفور. الممتع في التصريف، ٦٩٩/٢.

(٣٥) الرضي، شرح الشافية، ١١٩/١ و٢٤٢/٣ وكذلك سيبويه، الكتاب، ٤٢٠/٤.

(٣٦) الرضي، شرح الشافية ١١٩/١.

(٣٧) د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٧٠

ومن هذا المنطلق، فقد رتب سيبويه، أحرف الحلق، من حيث الاستفال أو الاستعلاء في الحلق على النحو التالي: (أ،ه-،ع،ح،غ،خ)[٣٨] .

ولكن المعطيات التي يقدمها الجدول رقم (٥)، تبين أن هذا الاتجاه الذي ذهب إليه سيبويه، ليس دقيقاً على نحو مطلق، فقد جاء ترتيب الحروف الحلقية فيه، في موقع العين، على النحو الآتي: (أ،ح، غ، ع، هـ، خ). وجاء ترتيبها في موقع اللام على النحو التالي (أ، ح، ع، غ، خ، هـ). ومهما يكن من أمر، فإن ظاهرة الحروف الحلقية، في هذا الباب، يجب ألاّ تؤخذ على إطلاقها، ذلك أن هناك تفاوتاً في نسب ورود الأفعال ذوات العين، أو اللام الحلقية على وزن هذا الباب. ومن الأمثلة على ذلك حرفا الخاء والهاء، حيث ترد الأفعال التي عينها "خاء"، والمتعددة الأبواب والأحادية، والأحادية الباب فقط بنسبة ٢٠٪ و٢٣٪، على التوالي. أما مع الحرف الثاني - فإن النسبتين المناظرتين للأفعال التي لامها "هاء" هي: ٢٢٪، و٢١٪ على التوالي. في حين تتسم الأحرف الحلقية الأخرى بأنها ذات نسب عالية، فهي تتراوح في موقع العين بين ٥٨٪ -٤١ ٪ مع الأفعال ذات الأبواب المتعددة، وبين ٧٠٪ -٤٦ ٪ مع الأفعال الأحادية الباب وتتراوح في موقع اللام بين ٥٨٪ - ٣٧٪ مع الأفعال الأولى، وبين ٧٣٪ - ٤٤٪ مع الأفعال الأخيرة[٣٩] .

---

(٣٨) سيبويه، الكتاب، ٤/١٠١ - ١٠٢.

(٣٩) يقدم الجدول رقم (٦) الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط أحادية الباب، أي تلك الأفعال التي تأخذ عين الفعل الماضي والمضارع فيها وزن باب معين من الأبواب الستة الرئيسية للفعل. ويبلغ عدد هذا النوع من الأفعال -

ب - وفي مقابل ذلك فإن وقوع الأحرف الحلقية في موقع الفاء من الفعل الثلاثي لا يؤهلها للورود على وزن الباب الأول إلا في حالات قليلة ونادرة. فقد جاء ترتيب هذه الحروف في موقع الفاء على الترتيب التالي: (غ،ع،أ،ح،خ،هـ) وبالنسب (.. ٪، ١٪، ٢٪، ٤٪، ٦٪، ٩٪)، على التوالي: ويرى سيبويه أن السبب في ذلك راجع إلى وقوع الفاء الحلقية في المضارع ساكنة - بالضرورة - قبل العين، فلا تتأثر العين اللاحقة بالفاء الحلقية السابقة، على غرار ما تتأثر العين السابقة باللام الحلقية اللاحقة[٤٠].

وقد نص على ذلك شارح الشافية عندما قال: "... فجعلوا الفتحة قبل الحلقي إن كان لاما، وبعده إن كان عيناً، ليسهلَ بحروف الحلق الصعبة، و لم يفعلوا ذلك إذا كان الفاء حلقياً: إمّا لأن الفاء في المضارع ساكنة فهي ضعيفة بالسكون (ميِّتة)، وإمّا لأن فتحة العين إذن تبعد من الفاء، لأن الفتحة تكون بعد العين التي بعد الفاء"[٤١].

وقد وضح ذلك ابن يعيش بقوله: "فإن كانت هذه الحروف (يعني

كما مر معنا في (٣: ٢: ١) (٢٩٦٦) فعلاً، من مجموع الأفعال الثلاثية الواردة في هذا المعجم والبالغ عددها الكلي (٤٥٤٦) فعلاً.

ولقد اتضح لنا، من خلال الدراسة المتأنية لهذا الجدول، أن هناك شبهاً كبيراً بين النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الجدول، وتلك النتائج المناظرة لها في الجدول رقم (٥). بيد أن النسب المئوية العليا أو الدنيا ترد - مع الأفعال الأحادية الباب - أكثر علواً، أو أكثر انخفاضاً، من نظائرها في الأفعال ذات الأبواب المتعددة.

(٤٠)سيبويه، الكتاب، ٤/١٠٤- ١٠٥.

(٤١)الرضي، شرح الشافية، ١/١١٩.

حروف الحلق) فاءات نحو: أمر - يأمُر، لم يلزم الفتح فيه لسكون حرف الحلق في المضارع، والساكن لا يوجب فتح ما بعده لضعفه بالسكون"(٤٢).

٤: ٣: ٢: حروف الجذر والباب الثاني:

إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الثاني: (فتح - ضم) تكون مع الأفعال التي فاؤها: (م،ح،ر،د،ش،ط،ن). أو عينها: (و، ظ، ك، ج) أو لامها، (و، ذ، ك، ج). في حين تعد الأفعال التي فاؤها: (و، ي، ظ)، أو عينها أو لامها: (أ، هـ، ح، ع، غ)من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد فعل عينه أو لامه (ي) على وزن الباب الثاني.

ويتضح لنا من هذا ما يلي:

١- يكثر مجيء الأفعال التي عينها أو لامها: (و) على وزن هذا الباب، فهذه الأفعال ترد بنسبة: ٧٤٪، ٩٣٪ على التوالي. وقد نص علماء الصرف على اطراد مجيء الفعلين الأجوف والناقص الواويين على وزن الباب الثاني، يقول ابن عصفور: "فإن كان معتلَّ العين أو اللام بالواو، كان المضارع أبداً على "يَفْعُل" بضم العين نحو: غزا، يغزُو، وقال يقُول"(٤٣). ويقول أيضاً وأما "فَعَل" من ذوات الواو فمضارعها أبداً على "يَفْعُل" بضم العين"(٤٤).

وقد علل أولئك العلماء ذلك بإرادة اللغة، أو لنقل أصحاب اللغة، التفرقةَ بين ذوات الواو وذوات الياء، فالتزموا - كما يذكر ابن عصفور - في

---

(٤٢)ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٤/٧.

(٤٣)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١٧٤/١.

(٤٤)السابق، ٤٤٤/٢، وكذلك: الرضي، شرح الشافية، ١١٨/١، ١٢٥.

ذوات الواو "يفْعُل" بضم العين، لأن الضمة من جنس الواو[٤٥].

ولا تقتصر عناصر هذا الباب على الأفعال المعتلة العين أو اللام بالواو، وإنما تشتمل أيضاً على أفعال أخرى فاءاتها: (م،ح،ر،د،ش،ط،ن)، ولكن نسبها، في هذا الصدد، أقل من نسبة تلك الأفعال المعتلة الجوفاء أو الناقصة الواوية.

ومن الجدير ذكره أن الإحصائية التي يقدمها هذا الجدول تشير إلى نسبة ورود الناقص الواوي، على وزن هذا الباب، أكبر من نسبة ورود الأجوف الواوي، فنسبة ورود الناقص الواوي، كما ذكرنا قبل قليل، هي ٩٣٪، أما نسبة ورود الأجوف الواوي فهي ٧٤٪.

٢- وفي مقابل ذلك، فإن من النادر ورود الأفعال المعتلة المثال بنوعيه: الواوي، واليائي، على وزن هذا الباب، فقد جاء أولهما – وهو المثال الواوي – بنسبة ١٪ فقط، وجاء ثانيهما – وهو المثال اليائي – بنسبة ٤٪. ويعود السبب في ذلك إلى استثقال الواو مع الياء، يقول سيبويه: "ولا يجيء في هذا الباب (أي باب فعَل – يفعُل) يفعُل.... واعلم أن ذا (يعني المثال الواوي) أصله على قتلَ – يقْتل، وضرَب يضرِب، فلما كان من كلامهم استثقال الواو مع الياء... كانت الواو مع الضمة أثقل، فصرفوا هذا الباب إلى يفْعِل... وقد قال ناس من العرب: وَجَد يَجُد، كأنهم حذفوها من يَوْجُد، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام"[٤٦]. ويقول أيضاً: "وأما ما كان من الياءَ فإنه لا يحذف منه، وذلك قولك: يَئِسَ يَيْئِسُ، ويَسر يَيْسِر، ويَمَن يَيْمِن،

---

(٤٥)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٤٤٧/٢.

(٤٦)سيبويه، الكتاب، ٥٢/٤.

وذلك أنّ الياءَ أخفُّ عليهم، ولأنهم قد يفرون من استثقال الواو مع الياء إلى الياء في غير هذا الوضع، ولا يفرون من الياء إلى الواو فيه؛ وهي أخف(٤٧) .

وإلى هذا، أو مثله، ذهب الرضي عندما قال في شرحه للشافية: "ولم يضموا في المثال، يعني معتل الفاء الواوي واليائي، فلم يقولوا: وعَد يوْعُد، ويسَر يَيْسُر، لأن قياس عين مضارع فعَل المفتوح العين على ما تقدم إمَّا الكسر أو الضم، فتركوا الضم استثقالاً لياء يليها ياء، أو واو بعدها ضمة، إذ فيه اجتماع الثُّقَلاء"(٤٨) .

٣- لا ترد أية أفعال معتلة العين أو اللام بالياء على وزن هذا الباب، وإنما ترد هذه الأفعال - في الأعم الأغلب - على وزن الباب الثالث: (فتح - كسر). والسبب في ذلك يعود - فيما نرى - إلى وجود مناسبة بين الياء، التي ترد في موقع عين الفعل أو لامه، والكسرة، أو - كما يقول ابن عصفور - "لأن الكسرة من جنس الياء"(٤٩) . وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك علة صرفية توجب ضبط عين مضارع المعتل الأجوف أو الناقص اليائي بالكسر لا بالضم وتتمثل تلك العلة في أن ضبط عينات هذا النوع من الأفعال أو لاماتها بالضم يوجب قلب الياء في الحالتين إلى واو، وهذا من شأنه أن يوقع في اللبس وعدم التمييز بين الواوي واليائي.

وقد بسط الرضي هذا الأمر عندما قال: "ولزموا الضم في الأجوف بالواو والمنقوص بها حرصاً على كون الفعل واوياً، لا يائياً، إذ لو قالوا في

---

(٤٧)السابق، ٥٤/٤.

(٤٨)الرضي، شرح الشافية، ١٢٩/١.

(٤٩)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٤٤٧/٢.

قال وغزا: يَقْوِل ويَغْزِوُ، لوجب قلب واو المضارعين ياءً لما مرَّ من أن بيان البنية عندهم أهم من الفَرق بين الواوي واليائي، فكان يلتبس إذن الواويُّ باليائي في الماضي والمضارع. ولهذا بعينه التزموا الكسر في الأجوف والناقص اليائيين، إذ لو قالوا في باع ورمى: يَبْيُعُ، ويرْمُيُ، لوجب قلب الياءين واواً لبيان البنية، فكان يلتبس بالواوي اليائيُّ في الماضي والمضارع"(٥٠). ثم يسترسل قائلاً: "ولنا أن نعلل لزومَ الكسر في عين مضارع نحو قال وغزا، ولزوم الكسر في عين مضارع نحو، باع، ورَمَى، بأنه لما ثبت الفرق بين الواوي واليائي في مواضي هذه الأفعال أتبعوا المضارعات إياها في ذلك"(٥١).

٤- يتميز هذا الباب، من سابقه، في ظاهرة الحروف الحلقية، ففي الوقت الذي يعد فيه شغل موقعيْ العين واللام بالحروف الحلقية معياراً أساسياً يميز الباب الأول (فتح - فتح) من غيره من الأبواب، فإننا نجد أن شغل هذين الموقعين بحرف الواو، معيار أساسي يميز الباب الثاني (فتح - ضم) من غيره من الأبواب أيضاً.

كما نلاحظ أن نوع الحروف، التي تشغل موقعي العين واللام، ولا تشغل هي بعينها موقع الفاء، يعد معياراً مهماً يمكّن من التمييز بين كل باب من البابين الأول والثاني، وغيره من البواب الأخرى. فالباب الأول يتميز، من غيره من الأبواب الأخرى، بشغل موقعي العين واللام بالحروف الحلقية وندرة شغل موقع الفاء فيه بهذه الحروف في حين يتميز الباب الثاني، من

(٥٠)الرضي، شرح الشافية، ١/١٢٥- ١٢٦.

(٥١)السابق، ١/١٢٧.

غيره من الأبواب الأخرى بشغل موقعي العين واللام بحرف الواو، وندرة شغل موقع الفاء فيه بهذا الحرف.

٤: ٣: ٣: حروف الجذر والباب الثالث:

إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثالث: (فتح - كسر) تكون مع الأفعال التي فاؤها: (و،هـ، ع، غ، أ، ك، ح، خ، ق). أو عينها أو لامها: (ي،ف،ز)، في حين تعد الأفعال التي فاؤها (م،د،ب،س،ل) أو عينها أو لامها: (أ،و، ع،ه-، غ،ح،خ) من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد أي فعل لامه (و) على وزن هذا الباب.

ويتضح لنا من هذا:

١- يكثر ورود الأفعال التي فاؤها: (و) على وزن الباب الثالث. فهي ترد بنسبة ٥٥٪، وقد عزا سيبويه ذلك إلى استثقال اجتماع الواو مع الضمة[٥٢].

وتجدر الإشارة إلى أن واو هذه الأفعال تسقط - في الأعم الأغلب - في المضارع فنقول في وعَد، يَعِد، وفي وَرِث يَرِث. ويعود السبب في ذلك، كما يذكر ابن جني إلى "أنهم أرادوا حذف الواو لثقلها فقصروه على كسر العين ليجب عن ذلك حذف الواو[٥٣]". وقد فسَّر ابن عصفور هذه المسألة على نحو واضح وميسور عندما قال: "فإن قيل فلأي شيء التزموا في مضارع "فَعَل" الذي فاؤه واو "يَفْعِل" بكسر العين، وقد كان نظيره من الصحيح

(٥٢)سيبويه، الكتاب، ٥٢/٤، وكذلك: الرضي، شرح الشافية، ١٢٩/١.

(٥٣)ابن جني، المنصف، ١٨٥/١- ١٨٦.

يجوز فيه "يَفْعُل" و "يفْعِل" بضم العين وكسرها؟ فالجواب أنهم التزموا "يفْعِل" لأنه يؤدي إلى حذف الواو، فيخفُّ اللفظ"(٥٤).

ولقد عرض بعض المحدثين هذه القضية، وقدم تفسيراً لسقوط الواو من بنية مضارع المثال الواوي في مثال "يوعد". ومؤدى ذلك إلى أن وقوع النبر "على الجزء "يَوْ"، فيها لا يتحقق في النطق دون ثقل ظاهر، لأن النبر إثقال وضغط، وصعوبة تحقيقهما في نطق الجزء المذكور، والفم في وضع انفتاح لنطق (الياء) مفتوحة، صعوبة واضحة، وبشكل عفوي تجنب العربي الثقل بإسقاط الواو(٥٥).

٢- يكثر ورود الأفعال المعتلة العين أو اللام بالياء، أي الجوفاء أو الناقصة اليائية، على وزن هذا الباب، فهي ترد بنسبة ٨٤٪، ٤٧٪، على التوالي. والسبب في ذلك يعود - فيما نرى - إلى التجانس الصوتي بين الياء والكسرة. ولقد سبق لنا أن ذكرنا - في أثناء حديثنا عن الباب الثاني - آراء الصرفيين العرب حول هذا الموضوع. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة ورود الأجوف اليائي، على وزن هذا الباب، أكبر من نسبة ورود الناقص اليائي، وذلك خلافاً للوضع الذي ترد فيه الأفعال الجوفاء والناقصة الواوية في الباب الثاني.

٣- لا ترد أية أفعال معتلة اللام بالواو على وزن الباب الثالث، في حين يكثر ورود هذا النوع من الأفعال على وزن الباب الثاني: "فتح - ضم". والسبب في ذلك يعود - فيما نرى - إلى عدم وجود تجانس صوتي

---

(٥٤)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/ ٤٢٧.

(٥٥)د. كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص ٢٩٣.

بين الكسرة والواو.

٤- يشترك هذا الباب، مع الباب السابق، وهو باب: (فتح - الضم)، في ظاهرة الحروف الحلقية، حيث يقل ورودها شاغلة موقعي العين أو اللام في الأفعال التي ترد على وزن هذين البابين. وهذا من شأنه أن يدعم رأي الصرفيين الذين ذهبوا - كما ذكرنا في أثناء حديثنا عن الباب الأول - إلى أن حروف الحلق تؤثر صوت الفتحة "الذي يعد قسيماً للضمة والكسرة"(٥٦)

٥- يتميز هذا الباب - من البابين السابقين - في أن معيارية تميزه لاتعتمد على نوع الحروف التي يمكن أن تشغل موقعي العين واللام فقط، وإنما تعتمد - بالإضافة إلى ذلك - على نوع الحروف التي يمكن أن تشغل موقع الفاء أيضاً. ومما يلاحظ - في هذا المجال - أن هذا الباب يؤثر، في مواقع فائه وعينه ولامه، نوعاً معيناً من الأصوات التي تجمعها صفة العلة أو تصف العلة.

كما تتميز الأفعال الواردة على وزن هذا الباب أيضاً بتمتع الأحرف الحلقية بنسبة تكرر عالية في موقع فاءاتها. وهو - بهذا - يخالف الباب الأول الذي تضعف نسبة تكرر الأحرف الحلقية في موقع فاءات الأفعال التي ترد على وزنه.

٤ : ٣: ٤: حروف الجذر والباب الخامس:

تتقارب النسب المئوية لفاءات الأفعال، أو عيناتها، أو لاماتها التي ترد على وزن الباب الخامس: (ضم - ضم)، فضلاً عن كون هذه النسب غير مرتفعة على نحو عام.

---

(٥٦)د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٩٦.

ونود الإشارة - في هذا المجال - إلى أمور منها:

١- يعد هذا الباب باباً خاصاً ومتميزاً، حيث لا يرد لعين ماضيه المضمومة سوى صورة واحدة في المضارع، ونعني بها المضارع المضموم العين، في حين تتنوع عين الماضي المفتوحة (فعَل) إلى ثلاث صور هي: (فعَل: يفعَل - يفعُل - يفعِل). وتتنوع عين الماضي المكسورة (فعِل) إلى صورتين هما: (فعِل: يفعَل، يفعِل)، يقوم سيبويه: "وهذه الأبنية كل بناء منها إذا قلت فيه فعُل لزم بناء واحداً في كلام العرب كلها. وتقول: صبُحَ، يَصبُح، لأن يَفْعُل من فعُلت لازم له الضم لا يُصرف إلى غيره، فلذلك لم يفتح هذا"[٥٧] . ويقول أيضاً: "وقالوا: وَضُؤ، يَوْضُؤ - ووَضُع، يَوْضُع - فأتموا ما كان على فَعُل، كما أتموا على فَعِل، لأنهم لم يجدوا في فَعُل مَصْرِفاً إلى يفعِل كما وجدوه في باب فَعَل: نحو ضرَب، وقتَل، وحَسِبَ، فلما لم يكن يدخله هذه الأشياء، وجرى على مثال واحد سلموه وكرهوا الحذف، لئلا يدخل في باب ما يختلف يَفْعَل منه، فألزموه التسليم لذلك"[٥٨] .

٢- لا يرد أي فعل أجوف يائي، أو ناقص يائي على وزن هذا الباب، وقد علل الرضي ذلك "لأن مضارع فعُل يفعُل بالضم لا غير، فلو أتيا منه لاحتجت إلى قلب الياء ألفاً في الماضي، وفي المضارع واواً نحو: يبُوعُ ويَرْمُو، من البيع والرمي، فكنت تنتقل من الأخف إلى الأثقل[٥٩] . وإلى هذا ذهب ابن عصفور أيضاً عندما قال: "فإن قيل: ولأي شيء امتنع بناء "فَعُل"

(٥٧)سيبويه، الكتاب، ٤/ ١٠٣.

(٥٨)السابق، ٤/ ٥٣- ٥٤.

(٥٩)الرضي، شرح الشافية، ١/ ٧٦.

من ذوات الياء، فالجواب أن الذي منع من ذلك أنهم لو فعلوا ذلك لأدى إلى الخروج من الخفيف إلى الثقيل، لأنه يلزم فيه - كما ذكرنا - قلبُ الياء واواً، والياء أخفُّ من الواو، مع أنه يلزم أن يكون المضارع على "يفعُل" فكنت تقول: "رَمُو" فيجتمع لك في الماضي والمضارع ضمة وواو وذلك ثقيل[٦٠].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن من النادر مجيء الناقص الواوي على وزن هذا الباب، كما أننا لم نعثر على أفعال جوفاء واوية على وزن هذا الباب، اللهم إلا الفعل أَوُن: يأْوُن، الذي سلكناه في عداد باب (فعُل: يفْعُل) حملاً له على الفعلين "رفه"، و"ودع"، اللذين يتفقان مع هذا الفعل في المعنى. ولعل السبب في ذلك يعود إلى استثقال النطق بالواو والضمة مجتمعتين في كلمة واحدة.

٤: ٣: ٥: حروف الجذر والباب السابع:

وعلى غرار الباب السابق، فإن النسب المئوية لفاءات الأفعال أو عيناتها أو لاماتها، التي ترد على وزن الباب السابع: (كسر - فتح) تتقارب كثيراً. وعلى الرغم من انخفاض هذه النسب، إلا أنها أعلى من تلك النسب التي ترد في الباب الخامس (فعُل: يفْعُل). ولنا على أفعال هذا الباب ملحوظات منها:

١- إنّ أعلى النسب، التي يرد فيها هذا الباب، تكون مع الأفعال التي فاؤها أو لامها (ي)، فهي ترد بنسبة: (٣٨٪، ٤٤٪) على التوالي.

---

(٦٠)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/ ٥٢٠.

٢- وإن أعلى النسب، التي ترد فيها هذا الباب، تكون مع الأفعال التي عينها: (ر،ن،ل،هـ) أو لامها، (هـ).

٣- لا يرد أيُّ فعل ناقص واوي على وزن هذا الباب، وذلك ناجم عن صعوبة اجتماع الكسرة والواو. وقد عبر عن ذلك ابن عصفور بقوله: "وإن كان (يعني الفعل على وزن فعِل) من ذوات الواو قُلبت الواوُ ياءً، نحو: شَقِيَ" و"رَضِيَ" لأن الواو وقبلها كسرة بمنزلة الياء والواو، لأن الكسرة بعضُ الياء، فكما أن الياءَ والواو إذا اجتمعتا في مثل "سيِّد" و"ميِّت" قلبت الواو ياء، والأصل "سَيْوِد، ومَيْوت" فكذلك يُفْعل بالكسرة مع الواو"[٦١].

٤- تتقارب في هذا الباب - النسب المئوية لفاءات الأفعال، أو عيناتها، أو لاماتها. ويبدو لنا أن هذا الباب لا يخضع لقواعد أو ضوابط صوتية حادة، باستثناء ما ألمحنا إليه من تأثير نسب الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب بالأفعال المعتلة بالواو أو بالياء سلباً أو إيجاباً. وربما كان هذا هو السبب الذي دفع اللغويين إلى البحث عن ضوابط أخرى تحكم الأفعال المنتمية إلى هذا الباب. ولقد كانت الضوابط الدلالية من أهم ما ذكره أولئك اللغويون في هذا المجال. فسيبويه - على سبيل المثال - يذكر من تلك الضوابط "ما كان من الترك والانتهاء، وما جاء من الأدواء، وما كان من الذعر والخوف، وما كان من الجوع والعطش[٦٢] .....إلخ. ويصف الدكتور إبراهيم أنيس الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب بأنها أفعال إجبارية[٦٣]

(٦١)السابق، ٢/ ٥٢٢- ٥٢٣.

(٦٢)سيبويه، الكتاب ٤/ ١٦، ١٧، ١٨، ٢١.

(٦٣)د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٣٨.

. Involuntary

٤: ٣: ٦: حروف الجذر والباب التاسع:

يبلغ عدد الأفعال الواردة في المعجم الوسيط على وزن الباب التاسع (كسر - كسر)، (١٩) فعلاً. وقد جاءت (١٣) فعلاً منها معتلة الفاء بالواو (مثال واوي). وهذه الأفعال هي: (وبق، وثق، ورث، ورع، ورم، وره، وري، وعق، وفق، وكم، وله، ولي، ومق). وجاء منها أيضاً فعلان اثنان من معتلة الفاء بالياء (مثال يائي)، وهذان الفعلان هما: (يئس، يبس)، أما الأفعال الأربعة المتبقية: فقد ورد منها فعلان معتلا العين أو اللام بالياء (أجوف أو ناقص يائي) وهذان الفعلان هما: (تيس، جهي)، وورد الفعلان الأخيران صحيحين وهما: (حسب، خضب).

وتجدر الإشارة إلى أن (٤) من الأفعال، التي ترد على وزن هذا الباب، هي من النوع الأحادي الباب، و(١٠) أفعال من النوع الثنائي الباب، و(٣) أفعال ثلاثية الباب، وفعلين اثنين من النوع الرباعي الباب.

وهكذا، فإن من الواضح أن الطابع العام لهذه الأفعال هو العلة، حيث يرد (١٧) فعلاً منها معتلاً، وفعلان اثنان فقط من النوع الصحيح. أما الأفعال المعتلة، فيرد منها (١١) فعلاً من نوع المثال الواوي، وفعلان من نوع المثال اليائي، وفعلان أحدهما أجوف يائي والآخر ناقص يائي، كما يرد من هذه الأفعال فعلان اثنان من نوع اللفيف المفروق.

ومن أجل هذا، فقد اعتبر الصرفيون هذا الباب ذا طابع خاص مميز بالنسبة إلى غيره من الأبواب.

٤:٤ العلاقة بين أبواب الفعل والحرف الوارد في الجذر:

إذا نظرنا إلى القسم الأخير من الجدول رقم (٥) وهو قسم المجموع، فإننا نلاحظ ما يلي:

١- إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الأول، تكون مع الفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (أ،ح،ع،هـ) فهي ترد بنسبة: (٣٥٪، ٢٨٪، ٢٨٪،٢٥٪)، على التوالي. وفي مقابل ذلك فإن الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (و)، والحرف (ي)، تعد من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب.

٢- إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثاني، تمون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (و،ج،ك،ش) فهي ترد بنسبة: (٥٤٪، ٣٤٪،٣٤٪،٣٢٪)، على التوالي، أما الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (ي) فلا ترد على وزن هذا الباب تقريباً.

٣- إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثالث، تكون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرفين: (ي،ف) فهي ترد بنسبة: (٦٢٪،٣٠٪) على التوالي، أما الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (أ،ج،ح،ر،ع) فيقل ورودها نسبياً على وزن هذا الباب.

٤- تتقارب النسب المئوية للحروف التي تشتمل عليها الأفعال الواردة على وزن الباب الخامس، فضلاً عن كون هذه النسب منخفضة جداً لا يتجاوز أعلاها ٩٪ في حين تصل النسبة المئوية الدنيا ٥٪. وتجدر الإشارة إلى أن الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (ى) لا ترد على وزن هذا الباب تقريباً.

٥- إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب السابع، تكون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (ل،ي،ر،هـ). فهي ترد بنسبة: (٣٢٪،٣٢٪،٣١٪،٣١٪). وتعد الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (و) من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. ومما تجدر ملاحظته في هذا الباب، أن النسب المئوية للحروف التي تشتمل عليها أفعاله يغلب عليها طابع التقارب الشديد. وهذا يعني أنَّ أيَّ حرف من الحروف لا يمتاز من سواه بتفصيل هذا الباب في الجذور الفعلية التي تشتمل على هذا الحرف.

٥: ملحوظات عامة:

مما لا شك فيه أن تأليف المعجم الوسيط يعد - كمل ذكر الدكتور عدنان الخطيب - محاولة لها قيمتها من أجل صنع المعجم الخليق باللغة العربية في هذا العصر، ويعطيه رجحاناً على غيره من المعجمات الحديثة التأليف(٦٤)

بيد أن هذا العمل الكبير، الذي اضطلع به - مشكوراً - مجمع اللغة العربية العريق بالقاهرة، لم يخل من بعض الهفوات البسيطة التي لا تقلل من شأن معجمنا، والتي نود - في ختام هذه الدراسة - تسجيل بعضها:

٥: ١ ضبط عين الفعل:

لم تضبط عين بعض الأفعال بالحركة الدالة على الباب أو الأبواب التي تنتمي إليها، وقد حاولنا ضبطها بالرجوع إلى بعض المعاجم المتوافرة بين أيدينا. وسنورد - فيما يلي - نماذج لتلك الأفعال:

---

(٦٤)د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ٥٦.

١- ورد في ١/٧ الفعل الثلاثي "أجل" الذي مضارعه "يأجَل"، غير محرك العين في الماضي، وقد جاء هذا الفعل، في معجم لسان العرب، بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط من باب فعِل يفعَل.

٢- ورد في ١/٢١ قوله: أفَل النجم، يأفِل بكسر العين في المضارع. وقد جاء المضارع في اللسان بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط مكسور العين ومضمومها.

٣- ورد في ١/٥٨ الفعل الثلاثي "بشَك"، دون توضيح حركة عين مضارعه، وبالرجوع إلى اللسان وجدنا هذا الفعل ينتمي إلى الباب فعَل يفعُل، والباب فعَل يفعِل.

٤- جاء في ١/ ٦٩ الفعل "بلَص" دون إيراد مضارع له، وقد ورد هذا الفعل على هذا النحو في كل من اللسان والقاموس المحيط، غير أن المنجد أورد هذا الفعل من باب فعَل - يفعَل.

٥- جاء في ١/٩ الفعل "ثقُب" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وقد ورد هذا الفعل في المنجد على وزن فعُل - يفعُل.

٦- ورد في ١/١٨٤ الفعل "حفأ"، دون ذكر حركة عين مضارعه، وكذلك فعل اللسان، غير أن هذا الفعل جاء في القاموس المحيط والمنجد على وزن "منَع - يمنَع". أي من باب فعَل - يفعَل.

٧- جاء في ١/ ٢٩١ الفعل "دُكِعَ) بصيغة البناء للمجهول، وقد ورد هذا الفعل في اللسان - بالإضافة إلى ذلك - بالبناء للمعلوم على وزن فعَل - يفعَل وقد اعتمدنا ذلك.

٨- جاء في ١/٤٧٤ الفعل "شحَث" دون إيراد مضارع له، وقد ورد

مضارع هذا الفعل في "المنجد" على وزن "يفعَل".

٩- جاء في ٤٨٢/١ الفعل "شطح" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وهذا الفعل مولد، وغير موجود في اللسان أو القاموس المحيط والمنجد. وقد قدرنا هذا الفعل من باب "فعَل - يفعَل".

١٠- جاء في ٤٩٦/١ الفعل "شنط" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وكذلك فعل اللسان والقاموس المحيط والمنجد، وقد اعتبرنا هذا الفعل على وزن باب "فعَل - يفعُل".

١١- قدم المعجم الوسيط في ٥٥٦/٢ الناقص اليائي "طري" على الناقص الواوي "طرو" خلافاً لطريقته المنهجية التي يقدم بموجبها الواوي على اليائي.

١٢- جاء في ٦١١/٢ الفعل "عفّ" دون توضيح حركة عين مضارعه وقد جاء مضارع هذا الفعل في اللسان والمنجد على وزن يفْعِل.

٥: ٢ الأفعال المضعفة والجوفاء:

لم يحدد المعجم الوسيط - على نحو واضح ودقيق - الباب أو الأبواب التي تنتمي إليها بعض الأفعال المضعفة بخاصة، وبعض الأفعال الجوفاء بعامة، ومن شأن هذا أن يوقع القارئ في حَيْرة وعدم اطمئنان في نسبة هذه الأفعال إلى الأبواب التي تنتمي إليها.

وقد دفعنا هذا الأمر إلى استشارة بعض المعاجم كلسان العرب، والصحاح، والقاموس المحيط في بعض الحالات، أو الاحتكام - في حالات اخرى - إلى دلالة الفعل، وما نصت عليه كتب اللغة - ككتاب سيبويه،

وشرح شافية ابن الحاجب للرضي، والمنصف لابن جني وغيرها - في هذا المجال. وذلك من أجل الوقوف على وزن الباب، الذي ينتمي إليه كل فعل من تلك الأفعال التي كنا نشعر بوجود لبس في انتمائها إلى هذا الباب أو ذاك.

وعلى هذا فإننا نقترح أن نتضمن الطبعات القادمة لمعجمنا هذا توضيحاً للأمر بأية وسيلة يراها المجمع، أو لجنته الخاصة بالمعجم، مناسبة، والتي نعتقد أن من بينها فكَّ التضعيف وإسناد الماضي المضعف إلى الضمير، أو النص على وزن الباب الذي ينتمي إليه كل فعل منها.

وتجدر الإشارة إلى أن المعجم الوسيط قد تضمن شيئاً من هذا الذي ندعو إليه ونطالب به، غير أن شوطه في هذا المضمار كان محدوداً بل مقصوراً على بعض الأفعال ومن الأمثلة على ذلك:

أ : ما جاء في ١٠٩/١، (جدَّ) بالشيء - جداً: ناله، يقال: جَدِدْتُ بالخير.

ب: وما جاء في ٤٣٤/١، (سفَّ) الدواء - سفاً: تناوله يابساً غير معجون، يقال: سَفِفْتُ الدواء.

جـ: وما جاء في ٧٠٧/٢، (فاح) - فَيْحاً: اتَّسع. وقياسه (فَيِح - يَفْيَحُ).

د: وما جاء في ٨٦٦/٢، (مزَّ) الشيء أو الرجل (كفَرِحَ) - ....

هـ: وما جاء في ٢/ ٨٨٦، (ملَّ) فلان الشيء، وعن الشيء - (مثل: فَرِحَ يفْرَح)...

ومن ناحية أخرى، فقد عمد المعجم الوسيط - في بعض الحالات - إلى النص على أن بعض الجذور المضعفة تحاكي، في انتمائها إلى باب ما،

جذراً آخر، كالجذر الثلاثي (ملَّ)[٦٥]، أو الجذر الثلاثي (خاف)[٦٦].

وعندما كنا نرجع إلى ما أُحلنا إليه، كنا نجد أنفسنا في حيرة جديدة، فالجذر الثلاثي (ملَّ)، الذي أحال المعجم الوسيط إلى وزن بابه كثيراً، نجده ينتمي إلى بابين اثنين، ولا ندري إن كان المعجم الوسيط يريد، كلا البابين معاً أو أحدهما. أما الجذر الثلاثي (خاف)، الذي أحال إليه المعجم، في أثناء حديثه عن الفعل الأجوف (كاع)[٦٧] - على سبيل المثال -، فإنه لا ينص على وزن بابه الذي ينتمي إليه في أثناء عرضه له.

٥: ٣ اختلاف الضبط بين المعاجم:

١)خالف المعجم الوسيط بعض المعاجم التراثية - كلسان العرب على سبيل المثال - في ضبط حركة عين المضارع بالنسبة إلى حركة عين ماضيه على الرغم من الاشتراك التام في معنى الفعل بين المعجمين. ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في المعجم الوسيط، في أثناء حديثه عن مادة (ذرَّ)، حيث ورد قوله:

و - فلان - ذرورا : شاب مقدَّم رأسه[٦٨]، وما جاء في لسان العرب في أثناء حديثه عن مادة (ذرَّ) أيضاً، حيث ورد قوله:

ويقال ذرَّ الرجل يَذُرّ إذا شاب مقدم رأسه[٦٩].

(٦٥)المعجم الوسيط، ٢/ ٨٨٦.

(٦٦)السابق، ١/ ٢٦٢.

(٦٧)السابق، ٢/ ٨٠٥.

(٦٨)السابق، ١/ ٣١٠.

(٦٩)لسان العرب، مادة (ذرَّ).

وما كان لمعجمنا هذا، أن يقع في تناقض مع تلك المعاجم الأم التي أفاد منها - بلا ريب - إفادة كبيرة، ويبدو أن معجمنا قد أخذ في ضبطه لعين هذا الفعل - على نحو خاص - بشذوذ لم يرد صاحب اللسان أن يضمنه معجمه. ولقد نص القاموس المحيط على أن ضبط عين مضارع هذا الفعل بالفتح، شاذ فهو يقول:

"وذرَّ..... والرجلُ شاب مقدم رأسه يذرُّ فيه بالفتح شاذ[٧٠] . وعلى هذا، فقد كان الأوْلى بمعجمنا الوسيط، أن يأخذ بالأوزان المطردة لأبواب الفعل، ويدع الشذوذ الذي من شأنه أن يجشم القارئ عناء البحث والمقارنة....

٥: ٤ تعدد الأبواب مع اتفاق المعنى:

نص المعجم الوسيط، في مقدمته على أن اللجنة المشرفة عليه قد توخت في هذا المعجم الاقتصار في ذكر أبواب الفعل، فاكتفت بذكر باب واحد، إذا كانت الأبواب متحدة المعاني كما في الفعل (نبع)، أما إذا اختلف المعنى باختلاف الباب فقد ذكرت الأبواب كلها، كما في الفعل (قدم)[٧١] .

ولكن معجمنا لم يف بما نص عليه، و لم يلزم نفسه به على نحو مطَّرد. فقد وردت فيه أمثلة كثيرة لأفعال متحدة المعاني، ومع ذلك فقد ذكر تعدد الأبواب التي يمكن أن تنتمي إليها تلك الأفعال.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- ما جاء في ١/٢٧٥ (دخَنَتِ) النارُ ـُـ دخناً، ودخوناً، ودخاناً:

---

(٧٠)القاموس المحيط مادة (ذرَّ).

(٧١)تصدير المعجم الوسيط، ص١٣.

ظهر دخانها. و- كثر دخانها و- الوقود: أتى بالدخان، و-الغبار: سطع.

٢- وما جاء في ٣٠٢/١ (دادَ) الطعام ونحوه ـُـِ دوداً: صار فيه الدود.

٣- وما جاء في ٤٨٣/١ (شطّ) ـُـِ شطوطا، وشططا: بَعُد، يقال: شطَّت الدار. و- في الأمر، أمعن وجاوز الحد، ويقال شطّ في المساومة، وشطّ عليه في حكمه شططا: جار.

٤- وما جاء في ٧٠٣/٢ (فنّ) فلان ـُـِ فناً: كثر تفننه في الأمور، فهو مفنّ، وفنّان.

٥- وما جاء في ٧٤٤/٢ (قطّ) السعر ـُـِ قطاً، وقطوطاً: ارتفع.

٦- وما جاء في ٨٧٥/٢ (مَخَض) الشيءَ ـُـِ مخضاً: حرَّكه شديداً، و- اللبن أخرج زبده....إلخ.

٥: الخاتمة

وبعد..

فهذه دراسة لجذور الأفعال الثلاثية، والباب أو الأبواب التي ينتمي إليها كل جذر.

ولقد حاولت هذه الدراسة الكشف عن الأفعال الثلاثية ذات الباب الواحد، والأفعال الثلاثية ذات الأبواب المتعددة. ولقد أوضحت لنا، معطيات بعض الجداول، أن نسبة النوع الأول، من الأفعال، وهي الأفعال المنتمية إلى باب واحد، تفوق نسبة النوع الثاني، فهي تبلغ ثلثي المجموع الكلي للأفعال الثلاثية تقريباً.

وبيَّنت هذه الدراسة أن عدد الأفعال، ذات الأبواب المتعددة، يبلغ

(١٥٨٠) فعلاً، وأن هذه الأفعال، أو لنقل هذا العدد من الأفعال، قادر على توليد (٣٤٢٧) صورة فعلية، يغلب عليها أن تكون ثنائية الباب. وقد لاحظنا - من ناحية أخرى- وجود ارتباط سلبي بين عدد الأفعال من جهة، وعدد الأبواب التي تنتمي إليها تلك الأفعال من جهة أخرى. فكلما زاد عدد الأبواب التي تنتمي إليها الأفعال، قل عددها، والعكس صحيح. وعلى هذا، فقد وجدنا أن عدد الأفعال، التي تنتمي إلى باب واحد، يبلغ (٢٩٦٦) فعلاً، في حين يبدأ هذا العدد بالتناقص مع الأفعال التي تنتمي إلى غير باب، فهو يبلغ، مع الأفعال المنتمية إلى بابين مختلفين (١٣٢٩) فعلاً، ويبلغ مع الأفعال المنتمية إلى ثلاثة أبواب، (٢٣٦) فعلاً، ويبلغ، مع الأفعال المنتمية إلى أربعة أبواب، (١٤) فعلاً، ثم يتدنى هذا العدد ليصل مع الأفعال المنتمية إلى خمسة أبواب، إلى فعل واحد فقط.

وحاولت هذه الدراسة، في بعض جوانبها، البحث في تأثير أحرف الفعل الثلاثي، سواء أكانت فاء، أم عيناً، أم لاماً، في نوع الباب الذي يختاره الفعل وينتمي إليه. ولقد اتضح لنا، بالرياضة الدقيقة، أن ما ذهب إليه السلف، من علماء العربية وأئمتها، يقترب إلى حد كبير، من تلك النتائج التي توصلنا إليها من خلال استشارة الحاسوب ومساءلته، بيد أننا نود الإشارة، في هذا المجال، إلى شيوخنا الأجلاء كانوا - فيما توصلوا إليه من نتائج رائعة - يميلون في بعض الحالات - إلى التعميم وإصدار الأحكام الحادة والجازمة. ومع ذلك فإننا لا نملك إلا أن ننحني إكباراً وإجلالاً لأولئك العلماء، الذين استطاعوا، بالنظر والجهد الذاتيين، إحاطة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، باستقراء دقيق يقترب، في نتائجه، من تلك

النتائج التي توصلنا إليها بالآلات العلمية الحديثة.

ثم ختمنا هذه الدراسة ببعض ما وقع عليه نظرنا، في أثناء تقليبنا لصفحات هذا المعجم، من هفوات بسيطة، لا تقلل من شأن هذا العمل الكبير، الذي يستمد قيمته الكبرى من قيمة الهيئة اللغوية الموقرة التي أشرفت عليه، ونعني بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وبعد، فإن هذه الدراسة لا تعدو أن تكون محاولة لدراسة جانب من جوانب لغتنا، بأسلوب نرجو، من المولى سبحانه، أن ينفع به، وأن يهيىء له من الأقلام المخلصة ما يتممه، ويسد ثغراته ويقوم معوجه.

والله ندعو أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم.

المراجع

١) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٥م. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

٢)ابن جني: أبو الفتح عثمان: المنصف، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ومطبعتها، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.

٣)ابن عصفور الإشبيلي: علي بن مؤمن، الممتع في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٤)ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٣م.

٥)ابن يعيش: موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة.

٦)الرضي: محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة ١٩٧٥م.

٧) د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٠م.

٨)سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٩)السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٠)عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م.

١١)د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

١٢)كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٧٤.

١٣)محمد بدوي المختون، دراسة نظرية تطبيقية في تصريف الأفعال، مكتبة الشباب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

من تاريخ التعريب والمعرّب

(تقريب) الشيخ طاهر الجزائري، و(تهذيب) الدكتور أحمد عيسى(*)

الدكتور عز الدين البدوي النجار

ذهبت الأقلام العربية مذاهبها منذ مطالع النهضة الحديثة في الكلام على الترجمة والتعريب، وما يتعلق بهما ضرورة من أمر المصطلح، حتى تكون من ذلك ميراث عريض، استبانت فيه مناهج وأصول، وتميزت أساليب وطرق، وتكشف من تاريخ القضية في العربية، ومن تحدرها معها في عصورها وأطوارها = ما كان يجذب المقام إليه، في كتابة كل كاتب يرده إلى التاريخ نسق بيان، أو منهج نظر واستدلال.

وبتمام هذا ـ عند تمامه من وجوهه كلها وبحذافيره ـ تستقل للباحث أداته في هذه الناحية من نواحي العربية مرهفة واضحة ناصعة، قادرة قدرة الصواب النافذ والحيوية الغالبة، وصفين لازمين من أوصاف كل فكر أصيل، يباشر مطالبه بوضوح الرؤية وبكمال الفن على حد سواء.

وعلى أنها أداة ولا تزيد، بل هي أداة لا يزال فيها للزيادة موضع كلما تعلق الأمر بملكات الإنسان العليا، المشتملة على الظاهر والخفي من أساليب بيانه عن نفسه وعن وجوه مطالبه؛ أَوَليست اللغة بهذه المثابة في

(*) (التقريب لأصول التعريب) و(التهذيب في أصول التعريب).

الوجود الإنساني الحي؟ ولا تزال كل بصيرة في جانب من جوانب الشخصية الإنسانية تطريقاً إلى سر من أسرار اللغة، اللغة على الإطلاق، يدنو به قَصِيٌّ غائر، ويَسْتَعلِنُ خفيٌّ غامض، ويلتئم من أجزاء القانون الإنساني بحسب ذلك مقدار.

وبعد

فقد دعا الباحثَ غيرُ ما داعٍ، في سياق عنايته بالتعريب والمعرّب وما يتعلق بهما من أمر المصطلح في اللسان العربي = إلى أن يلتفت إلى عَلمَين جليلين من أعلام النهضة العربية الحديثة، ثم إلى واحد منهما خاصة؛ وأن يُنْزِل ما كان من عملهما في منزلته من تاريخ هذا الشأن، بالقدر الذي يطيقه الحيّزُ المتاح في ندوة المجمع هذه، هما العلامة الشيخ طاهر الجزائري، والعلامة الدكتور أحمد عيسى رحمهما الله.

وقد كان الرجلان بمنزلتهما الرفيعة فيما استغرقا مجهوديهما فيه من أصناف العلم، مدةَ حياتهما الخيرة المثمرة، جديرين بأن ينوه بهما في كل دراسة تعرض لتاريخ الثقافة والعلم في عصر العرب الحديث.

وللشيخ الجزائري خصوصاً ـ فوق آثاره الحسانِ المعروفة في العلوم العربية عامة ـ أثر متميز معلوم يعتد به المؤرخون كلما ذكرت الظاهرية في نظيراتها من خزائن الكتب العربية في الخافقين، إلى أثره من غير وجه في إنشاء مجمع دمشق. وسيتبين بعد يسير أن تاريخ تأليف كتابه (التعريب) يوافق تاريخ إنشاء المجمع نفسه: أنشئ المجمع أوائل عام [1]١٩١٩، وفرغ

---

(١) وعقد أول جلساته في العادلية في ٣٠ تموز ١٩١٩ ـ ٣ ذي القعدة ١٣٣٧

الشيخ من تصنيف كتابه أوائل تموز من صيف ذلك العام نفسه[١]. فكأنه كان أول عمل علمي من أعمال المجمع في صميم المطالب التي صَمَدَ لها، وأخذ نَفْسَهُ، ولا يزال، بتحقيقها. قدم الرجل جُمّاعَ ما عنده فيه، بل جُمّاعَ ما في المكتبة العربية في بابه؛ لاجتماع أسبابه وأدواته له، على نحو يقل نظيره في معاصريه.

وقد كان الكتاب آخر أعماله أيضاً[٢]. وكأن ذلك - في موافقة غريبة من موافقات القدر - إيذانٌ بانتهاء عصر من عصور العربية وابتداء عصر جديد آخر، تؤول فيه أعباء هذا الضرب من العلم من الأفراد إلى الجماعات، وبِلأْيٍ - لعمرك - ما تطيق الجماعات ذلك.

فقد كان الرجلان الجليلان إذن جديرين بأن ينوه بهما، لعموم إحسانهما فيما أظهراه للناس من أصناف العلم، في كلّ تاريخ للعلم؛ غير أن ههنا سرائر ينتظم بها أمر العلم: يَظْهَرُ بها اطّرادُه في ذاته، بأسبابه وعلى قانونه مرة، واطّرادُه مع العصور، بأسبابها ودواعيها مرة أخرى، نرجو أن ندل عليها فيما يستقبل من هذه السطور.

* * *

تقلب المعرّب في اللسان العربي على أطوار شتى، تشاكل التطور التاريخي للعرب في عصورهم التاريخية قبل الإسلام وبعده، مادة لغوية ساذجة تدعو إلى اجتلابها دواعي الاجتماع المختلفة أولاً، ويجري عليها من قوانين اللغة ما يجري على سائر ألفاظ اللغة في كل عصر من عصورها؛ ثم

---

(١) ٣ شوال ١٣٣٧، وهو يوافق الأربعاء ٢ تموز ١٩١٩م.

(٢) أو من آخرها، توفي الشيخ في ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٨، ٥ كانون الثاني ١٩٢٠.

هو مادة من مواد العلوم اللغوية، تحمل عليها الحضارة بأسبابها ودواعيها ووجوه كمالاتها.

فهو في اللغة - أعني المعرّب - في الجاهلية والإسلام ألفاظ من ألفاظها، يجري بها الاستعمال في الحياة والأدب جميعاً، ضم العرب إليهم منه ما احتاجوا إليه، اضطراراً أو تملحاً واستطرافاً، وأعربوه على منهاجهم في تصاريف كلامهم، وعلى ما تقتضيه حكمة لغتهم، فجاء كثير منه وكأنه في العربية نبت، وبماء فصاحتها غذي، وامتزج بكلامهم، وأعاروه مخارج ألفاظهم، حتى دخل الوهم في بعضه على بعض أصحاب العربية، وعَدّه عربياً وليس هو بعربي، وذهب ينظر في اشتقاقه، على ما جاءت به الأخبار.

ثم دار في ألسنة المولدين من العرب والمتعربة وعلى أقلامهم دورة أخرى، واختلفت حظوظه من الصحة والحسن باختلاف حظوظ أصحابه من ذوق العربية، وعلى حسب جودة قرائحهم ومقادير عقولهم وعلومهم.

فتقلبت به البلاد لفظاً من ألفاظ الحضارة فيما طلعت عليه الشمس وغربت من أصقاع الحضارة العربية، وجرت به أقلام العلماء والنقلة من لدن بدأ النقل أواخرَ عصر بني أمية إلى أن اتسع ثم استفاض واستبحر عصر بني العباس.

واشتملت عليه كتب العربية باباً من أبوابها، تجري عليه أحكامها، وتردّه إلى ما ينبغي له في أوضاعها وتصاريفها، داخلاً في أوزان كلامها أو بائناً منها أجنبياً عنها؛ تجد هذا منذ كتاب إمام العربية سيبويه.

واستقر في متن اللغة مادةً من مواد معجماتها، يُبيِّنُه أصحابها بالنص عليه، ورَدِّه إلى أصوله في لغات أصحابه، على حسب ما يتهيأ لهم من علم

ذلك؛ لا يخلو من هذا معجم، ولا ينبغي له.

ثم عطف عليه اللغويون أنفسهم حين نظروا فيما يأتلف منه الكلام العربي، في واحدة من أبرع مآثر العقل العربي في اجتلاء لغته واكتناه أسرارها. فامتازت عندهم هيئات الكلام الأعجمي، وأنحاءُ ائتلاف الحروف فيها، مما عسى أن تلتبس به من كلام العرب. وقرروا ذلك في أصول جامعة، صَدّر بها بعضهم معجماتهم، منذ أول عهدهم بتصنيفها، كالذي تجده في صدر (العين) وفي صدر (جمهرة) ابن دريد.

وبتأصيل الأصول في معرفة المعرّب، وبكثرة الموجود منه في أيدي اللغويين تمهدت السبيل لضرب من ضروب التأليف في اللغة، افتتحه أبو منصور الجواليقي في المئة السادسة بكتابه (المعرّب)، وعلى أنه لم يزد على أن أفرد المادة بالتصنيف، واتسع في إيراد ما أورده منها، وساق الشواهد عليها، وإلا فإن ابن دريد نفسه ساق في خواتيم (جمهرته) جملة من ذلك.

وقد كان (معرّب) الجواليقي غاية في بابه، وبقيت صورة تأليفه هي الصورة المحتذى على مثالها نحواً من ثمانية قرون، ذِكْرُ المعرّب فيها هو الأصل في تأليفها، مقدماً بين يديه بمقدمة تعرف به، ويمتاز بها عند قارئه أو الواقف عليه، وبقيت مادته عمدة ما جاء من التصانيف التي هي على شاكلته بعده، لا يخالف المخالفون عنها إلا بالزيادة عليها. وآخر ما وقفنا عليه مطبوعاً من هذا النوع كتاب المحبي المتوفى سنة (١١١١هـ) : (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل). وبقي الوجه الآخر للتأليف غيباً مُحَجَّباً، يقتضيه نسق العلم، ويوجبه اطراده إلى تمامه، وما تمامه إلا بناؤه على الأصول لا على المفردات.

إلا أن هذا على انكشافه وتقدم الأمثلة عليه في فنون العلم الأخرى لم يلتفت إليه من المصنفين أحد. وفيما خلا رسالة مقتضبة لابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠هـ) في (تحقيق تعريب الكلمة الأجنبية) وهي بكونها فصلاً من العربية أشبه = فإن التأليف في الأصول من جوانبها المختلفة، واستجماع ما جاء منها في التجربة العربية على امتداد التاريخ العربي كان لا يزال خبيئة في تاريخ التأليف، وكان من قدر الجزائري رحمه الله أن تَسْتَعلِنَ بكتابه، وأن يَتِمّ تمامُها به؛ إلا أنه تمام لم يَكَدْ حتى أَفَل؛ وذلك أن العلم قد استوفى حظه هنا، وبلغ قراره، ومضى إلى غايته. وكان أفق آخر من آفاق الحضارة قد تَكَشّف، لم تعد معه مادة العلم الذي اكتمل لتوه إلا ضرباً من التاريخ على ما ستراه. وإنما نقتضب القول الآن في هذا الكتاب الواقع على تخوم التاريخ: التقريب في أصول التعريب.

التقريب في أصول التعريب:

ليس معنا في تاريخ التفات الشيخ إلى غرض كتابه ثبت نستظهر به، ونرمي بالقول فيه على جهة اليقين المتعين، غير أن النظر في الكتاب ربما أدى إلى أنه وضعه وضعاً هو بالارتجال أشبه، حملته حاجة المجمع الوليد إلى مثله، وما يدعو إليه قربه القريب من منشئه ورئيسه إلى مظاهرته على مشروعه بوجوه العلم والعمل[1].

---

(١) كان الشيخ الجزائري شيخاً للأستاذ محمد كرد علي منشئ المجمع ورئيسه. وقد ذكر مرة حرجه الشديد في أول جلسات المجمع من أن يكون رئيسَ جلسة من أعضائها شيخه العلامة.

إلا أنه ارتجال عالم أفنى أيامه في النظر في حقائق العلوم، وتمرس دهرَهُ بالأوضاع الجمة يضعها فيها: شاباً حدثاً وكهلاً، حتى انقاد له ما بين خاطره وقلمه، وساعفته حافظة كما شئت جودةَ تحملٍ وأداء.

فهذا من تفسير حُسْنِ المادة التي اشتمل عليها الكتاب وثرائها، منتزعاً بعضها من مواطن قصية ومتباعدة، لا يسهل اجتماع مثلها لصاحبها إلا أن تكون قد اجتمعت له من تلقاء نفسها في دهر متقدم متطاول، وارتبطها حفظاً على قلبه أو تقييداً في دفاتره، كما يعرف كل مشتغل بنفسه ذلك.

ونحن نظن ظناً ترجحه المعرفة بطبائع الأشياء أنه ارتفق في تصنيف كتابه ـ مع اتساع محفوظه وجودة استحضاره ـ بتذكرته المعزوفة، ينقل منها ما يحتاج إليه في مطالبه المختلفات الأوجه والآفاق.

استوفى الشيخ في كتابه عامة ما يحتاج إليه ناظرٌ في ألفاظ اللغة، من جهة التمييز لها، وتبيّن عربيها من مُعَرّبها، أو ناقلٌ إليها من غيرها من اللغات. ووصل ذلك بالكلام على جانب مما يتعلق بالمعرّب في القرآن، وعلى الألفاظ الإسلامية والمولد والنحت والإبدال.

وهذه جملة من القول لا يخرج عنها الكلام على المعرّب في تراث العربية، تجد في تفصيلها عنده من النقول عن الأئمة ومن وجوه النظر والاستنباط المثين، قَرّب منها بعيداً، وتألّف وحشياً، ورتب وهذب، وصرح مرة وأبهم أخرى، مؤدياً فائدته إلى قارئه على كل حال.

وساق في الكلام على قانون الفارسية في الألفاظ، وما يعتريها حين تنقل إلى العربية فوائد عزيزة ينتظم بها شمل ما يتعلق بهذا الجانب من العلم في الكتب العربية، أولاها عنايته، وصرف إليها جهده؛ من أجل أن عامة ما

وقع في العربية من المعربات إنما كان عن الفارسية.

ونثر من ألفاظ المعرّب شواهدَ على فصوله ومطالبه جملةً مستكثرة، يأتلف منها كتاب في المعرّب غايةٌ في التحقيق.

وليس إحسانه فيما أقبل عليه من الفارسية ببديع، فقد كان متحققاً بها، ينظم بها كما ينظم بالعربية، إلى تحققه بالتركية، وإلمامه بالفرنسية والسريانية والحبشية.

ولمعرفته باللغات، ولوقوفه على ما كتب في علم اللغة في عصره، أفرد في كتابه حيّزاً للكلام على اللغات السامية واللغات الآرية، ورتّب على ما بينهما من الفرق ما يترتب عليه مما يتعلق بغرض كتابه، مبيناً أن القول بالنقل عن هذه غير القول بالنقل عن تلك، ومنبهاً هكذا إلى أن ما يشتبه من الألفاظ في اللغتين الساميتين فصاعداً يمكن أن يكون من المشترك بينهما، انحدر إليهما من أرومة لغوية واحدة.

فهذا ما كان من عمل الشيخ فيما انتدب له، أفصحت به عن ذات نفسها شعبة من شُعَبِ العلم العربي، وتم بعمله تمامها المستسر فيها قروناً متطاولة.

* * *

التهذيب في أصول التعريب:

ولم يكن بد، بمنطق العلم وبمنطق الحضارة والتاريخ، أن تنشعب من الأصل نفسه شعبة أخرى توافق انتقال العلم المحتاج إليه إلى مواطن حضارية أخرى؛ فانتقلت الرسوم، وارتقت العلوم أصولاً وفروعاً مرتقى عظيماً آخر،

ولبس الوجود المتحضر كله صورة أخرى، نطقت بغير ألسنة أمم الشرق، وبغير لساني فارس ويونان.

وكانت العلوم العربية الحديثة، متصلة بعلوم الغرب، قد بدأت مبكرة، ولاسيما علوم الطب في مصر وبلاد الشام؛ إلى عموم النقل عن آداب الغرب ووجوه ثقافته، داخلاً العرب به هكذا في عصر جديد من الترجمة والتعريب، سيمد مده بخروجهم من القرن التاسع عشر ودخولهم في القرن العشرين، وتكثر فيه المعرّبات بصورتها المحدثة كثرة تدعو إلى النظر فيها وتقييدها بضوابط وأصول.

وفي مصر أيضاً[١] وبعد أقل من سنوات خمس فقط من ظهور كتاب الجزائري، نجم في العربية كتابٌ في أصول التعريب جديد، لابسٌ صورة عصره، أطلعه في أفق العلم العربي العلامة الهمام الدكتور أحمد عيسى، كما نعته ذات مرة ــ في سياق مطرب بديع ــ مؤرخ الطب العربي الدكتور شوكت الشطي رحمه الله.

وكان الدكتور أحمد عيسى، بوقوفه على بعض اللغات القديمة والحديثة، وبتكوينه العلمي الخالص: طبيباً ممارساً، وعالماً بتاريخ الطب مؤلفاً فيه[٢]، مع انقطاعه الخالص للعلم على المعروف في سيرته = كان - رحمه الله

(١) إذ كان كتاب الجزائري قد طبع في المطبعة السلفية بمصر. بل إن العلامة أحمد تيمور صنع له فهارس ثلاثة، حفاوة منه بالكتاب وتكرمة لصاحبه.

(٢) بعض آثاره، وإن تأخر تاريخ نشره، إلا أنه كان من خطته وعمله وعلى باله. وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا صريحاً ــ أعني كتابه (التهذيب) ـ أنه جعله كالمقدمة لما سيضعه من معجمات خاصة أو عامة.

- مهيئاً بهذا كله لمثل ما انتدب له حين وضع سنة (١٩٢٣) كتابه الأصيل (التهذيب في أصول التعريب)، ناقلاً التأليف في الفن نقلة كاملة إلى العصر الحديث، باتجاه كتابه على الأقل لا بعموم مادته.

ولا نستبعد هنا، على جهة التأريخ، أن يكون من بواعث تأليف كتابه إنشاء مجمع دمشق نفسه، الذي سيقبل تسميته عضواً فيه بعد عام واحد فقط من نشر كتابه؛ إلى ما نقدر أيضاً من مقايسته ما كان من صنيع الجزائري في كتابه بحاجات العصر الحديث المتزايدة.

أما هو رحمه الله فقد ذكر في تصدير كتابه ما كان ينبغي أن يذكره مما لا يستقيم منطق العلم إلا بمثله على ما قدمناه، فذكر امتراسه بهذا الفن وقديم اشتغاله به، واقتص من خبره وحاله، وأثبت نصاً ما هو في التقدير من عمل كل عالم:

«فصنفت بعض الكتب، ونقلت بعضها إلى العربية، فصادفت أثناء مزاولتي هذا العمل من العقبات والصعوبات ما يحتاج لتذليله إلى مشاق كبيرة لا يقدرها أو يشعر بها إلا من كابد هذا الطريق الوعر وسبر غوره، وكانت العقبات أمامي عقبتين: الأولى قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأعجمية، والثانية تعريب بعض ما اقتضى تعريبه من المصطلحات التي لا يمكن إيجاد لفظ يقابلها ويحل محلها.

فأما العقبة الأولى فقد بذلت الجهد في تذليلها... وأما العقبة الثانية وهي تعريب الألفاظ التي لابد من تعريبها فقد ملكت ناصيتها بما فعلته من لم شعثها وضبط شواردها ووضع قواعد لها تكاد تكون ثابتة، وذلك بما

انتزعته من الاستقراء الوافر والاستقصاء المتواتر[١]».

ثم أفضى رحمه الله إلى بيان صنيعه في كتابه، وبيان منهجه فيه، ونفذ بزَكَنِهِ وصدق تجربته إلى مطلب من أجل مطالب الترجمة والتعريب العلميين، ومن أبلغ ما تتنادى المؤسسات والمجامع العلمية اليوم إلى الاجتماع عليه، وإلى التناصر لبلوغ القول الفصل فيه. قال رحمه الله[٢]:

«فإن الذي نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا تعدد مناهج التعريب؛ فهذا يعرّب الكلمة على هذا الوجه، وذلك يضعها على هذا المنحى، فتختلف الأوضاع والمسمى واحد، ويصبح البلد بلدين والشخص شخصين وهكذا، وفي ذلك ما فيه من الخلط والتشويش، دع عنك أن الكلمة المعرّبة على هذه الوجوه المختلفة قد يصعب جداً أو يستحيل إرجاعها إلى أصلها المنقولة عنه، مادامت قد عربت على غير قاعدة، وفي ذلك من اضطراب العلم ما لا يخفى.

أما الطريقة التي اتبعتها فإني بعد المطالعة الطويلة في علوم العرب على اختلافها استقريت جميع الكلمات الأعجمية التي فيها استقراء طويلاً، وقارنت بينها وبين مدلولاتها الأعجمية في لغاتها، واستخرجت من ذلك حقائق، وطابقت بينها وبين خصائص اللغة، واستخلصت من ذلك قواعد يسار على منهاجها وينسج على منوالها، حتى إذا ترجم في مصر كتاب، وترجم الكتاب بعينه في الشرق أو في الغرب حيث الكتابة بالحروف العربية خرجت الألفاظ المعرّبة فيها كلها بشكل ونسق واحد، مهما اختلفت

(١) التهذيب: ٥.

(٢) التهذيب: ٦.

البلدان وتعددت اللغات».

قلت: وفي كلامه هذا ما فيه رحمه الله من الجزالة والحسن، ومن مشاكلته لصميم مطالب العربية المعرّبة في عصرها الحديث، لابسة لبوسها العلمي الخالص المعاصر.

ونحن نجتزئ - في بياننا هذا المختصر - من الأبواب والفصول التي كسر عليها المؤلف كتابه بالإشارة إلى ما عقده منها للكلام[1] على تاريخ الترجمة في العربية، ثم على تعاظم العلم في العصر الحاضر، وما يلقاه التراجمة من المشقة في نقل نتائج العلماء فيه، ثم على مسالك النقلة في النقل، ليفضي من بعد إلى غرض الكتاب الأول، وهو «اتخاذ قواعد ثابتة للتعريب يقاس عليها ويجرى على نسقها» مقدماً بين يدي ذلك النصَّ على أن الاقتباس الآن إنما يقع من لغات أوربا أوربا الحديثة التي هي لغات العلم المعاصر، وبانياً قواعده من بعد على هذه اللغات وعلى أصليها الكبيرين اللذين لا تزال تَقْبِسُ منهما كثرة كثيرة من أصول مصطلحاتها الحديثة: اللاتينية واليونانية، مشرفاً بصنيعه هذا على حَلْبَةِ العصر، ومقرَّراً له به موضعه من التاريخ.

* * *

(١) باختصار، إذ كان الكتاب كله مختصراً، لا تزيد عدة صفحاته على الأربعين ومائة صفحة.

توصيات ندوة اللغة العربية

معالم الحاضر وآفاق المستقبل

عقدت في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٦/ ١٠ حتى مساء ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧ ندوة للغة العربية عنوانها: «معالم الحاضر وآفاق المستقبل» وقد شارك في هذه الندوة خمسة وعشرون باحثاً من الأقطار العربية ومن القطر العربي السوري، وألقيت فيها بحوث في إطار خمسة محاور هي:

١ـ مشكلة الأداء في اللغة العربية: أسباب الضعف ووسائل العلاج.

٢ـ التعريب والمصطلح

٣ـ تيسير مباحث العربية: النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والإملاء

٤ـ المعجم العربي: وصف المعجمات المتوافرة في الوقت الحاضر وبيان ما عليها من مآخذ، ووضع مشروع معجم عربي حديث يفي بجميع المتطلبات.

٥ـ مستقبل اللغة العربية: دراسة وسائل تحديث اللغة العربية واستغلال الإمكانات التقنية، ومنها الحاسوب، لتستطيع هذه اللغة مسايرة التطور العلمي والتقني المتسارع.

وقد أقر الباحثون في نهاية الندوة التوصيات الآتية:

أولاً - توجيه الشكر العميق إلى مجمع اللغة العربية والقائمين من أعضائه بتنظيم الندوة تقديراً للجهود التي بذلت في الإعداد للندوة وتنظيمها.

ثانياً - يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من كبار المختصين في البلاد العربية مهمتها تأليف مرجع ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بمعزل عن تشعب الآراء والتعقيد، ثم إخراجه في طبعة رخيصة الثمن ليكون في متناول الناشئة والطلاب.

ثالثاً - يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من المختصين بالتراث العربي لوضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث موزعة على جملة المعارف الإنسانية لتعريف الباحثين والطلاب بعيون التراث العربي. وإصدار هذا الكتاب في طبعة رخيصة ليكون في متناول المعنيين بالتراث العربي.

رابعاً - بذل مزيد من العناية في إعداد مدرس اللغة العربية، وتقويم أساليب تعليم اللغة العربية باستغلال الوسائل التقنية الحديثة والوسائل السمعية والبصرية، وإقامة ندوات لمدرسي اللغة العربية تطلعهم على أنجع طرق التدريس وتدريبهم على استعمالها.

خامساً - السعي في جعل اللغة العربية المبسطة تعلم في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وتشجيع الأطفال على استعمالها والتماس الوسائل المعينة على تعليمها لهم. وكذلك تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمالها.

سادساً - السعي لدى وزارة الإعلام في الأقطار العربية ولدى المسؤولين فيها لتوجيه مؤلفي المسلسلات والمسرحيات المذاعة أو المتلفزة إلى

استخدام اللغة العربية المبسطة فيما يؤلفونه، وكذلك الحد من طغيان العامية في الإعلانات التي تنشر في الصحف أو تعلن في الشوارع.

سابعاً ــ إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة وغيرها باستعمال الألفاظ العربية في تسمية محالهم وعدم اللجوء إلى اللغات الأجنبية.

ثامناً ـ مطالبة الحكومات العربية باتخاذ القرارات التنفيذية الحاسمة بتعريب التعليم العالي والجامعي تعريباً كاملاً. دون إغفال إلزام الطلاب في مختلف الكليات والمعاهد العلمية بتعلم إحدى اللغات الأجنبية الحية.

تاسعاً ــ توجيه المعلمين والمدرسين في مراحل التعليم كافة إلى استخدام اللغة العربية المبسطة في مختلف المواد الدراسية لدى إلقائهم دروسهم ومحاضراتهم، وتشجيع طلبتهم على استخدامها.

عاشراً ـ حث المجامع اللغوية العلمية العربية على بذل مزيد من العناية في وضع المصطلحات العلمية والتقنية وفي مختلف مناحي المعرفة باستخدام المنهجية السليمة في وضعها واستخدام جميع الطرائق المتاحة كالاشتقاق والوضع والتعريب والنحت وغيرها. والسعي في توحيد هذه المصطلحات بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ثم إصدار هذه المصطلحات الموحدة في كتب أو نشرات توزع على أوسع نطاق ولا سيما وزارات الإعلام، مع التماس الوسائل الكفيلة باستخدام هذه المصطلحات في جميع المؤلفات والكتب المترجمة ووسائل الإعلام المختلفة.

حادي عشر ـ أن يعمل اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في إصدار معجم اشتقاقي حديث يفي بجميع المتطلبات على أن يراعى فيه سهولة

المراجعة وتطور دلالات الألفاظ واستقصاء ما أقرّ من المصطلحات الموحدة وفاءً بحاجة الباحث المعاصر.

ثاني عشر- الاستفادة من الحاسوب والوسائل التقنية الحديثة في المجامع العربية واتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لاختزان جميع الألفاظ العربية والمصطلحات والمواد المعرفية وتسجيلها في الأسطوانات والحافظات وأجهزة التسجيل لتمكين الباحثين من الاستفادة منها بطريقة ميسرة سريعة.

ثالث عشر - السعي في إصدار معجمات متخصصة في مختلف العلوم والمعارف وكذلك إصدار معجم تاريخي يبين تطور دلالات الألفاظ منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر.

رابع عشر - دعوة المجامع اللغوية العلمية العربية إلى متابعة عقد ندوات حول اللغة العربية تعالج مشكلاتها ومستقبلها.

خامس عشر - إيصال توصيات هذه الندوة إلى المسؤولين في الأقطار العربية كافة ومناشدتهم السعي في إنفاذها.

سادس عشر - جمع بحوث هذه الندوة وإصدارها في كتاب يوزع على أوسع نطاق لتتم الاستفادة منها.

سابع عشر - توجيه الشكر إلى الحكومة السورية لعقدها هذه الندوة في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق وتحملها نفقاتها وعنايتها باللغة العربية وسعيها في ارتقائها، وتوجيه برقية شكر إلى القائد حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته الكريمة للغة العربية وعلمائها.

جلسة الختام

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

السادة العلماء الأفاضل

أحييكم أجمل تحية، وأشكر لكم تفضلكم بالمشاركة في هذه الندوة التي جمعتنا لنتدارس شأناً هاماً من شؤون العربية، هو ظاهرة ضعف الأداء التي تعاني منها الناشئة، فنتبينَ أسبابها ووسائل علاجها، وما تفضي إليه تلك الوسائل من ضرورة استكمال عدة أمور تعين على تملك العربية السليمة وحسن استخدامها.

وكان هناك أيضاً تطلّع إلى تحديث العربية واستشفاف مستقبلها، وما يجب أن نهيّئ له، لتمضي الأمور على وجهها الصحيح المرتقب.

ولقد أمضينا أربعة أيام (٢٦- ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧م) كانت حافلة بتلك البحوث الجادة المفيدة التي تناولت المحاور الخمسة التي طرحتها الندوة، فأحسنت العرض، ودلّت على الطريق، وفتحت الأبواب لمناقشات واستكمالات أغنتها.

وإنا لنرجو أن تنشر البحوث في وقت قريب لتكون في متناول العلماء الغُيُر على العربية، يمدوننا بما يعين على متابعة المسيرة حتى يتحقق الهدف.

لقد سعدنا بكم، وأمضينا معكم أياماً تمور بالعمل الجاد المنتج وما يستتبعه من الارتياح والرضا والبهجة، وأتاح لنا لقاءُ الزملاء العلماء أن نجني فوائد وفرائد، وأن

نوثّق الصلات، وأن نزداد تصميماً على تحقيق الهدف المنشود، وهو:

الارتقاءُ بالعربية ارتقاءً يمكّنها من التغلب على كل المعوّقات،

وتضييقُ الشقة بين اللغة السليمة واللغة المحكية،

وتيسير تعلّم العربية، والسعي لنشرها،

فتشهدُ حاضراً يضارع أمسها الزاهر، وترتفع مكانتها لتصبح في مصافّ اللغات العالمية.

لقد ساد ندوتنا جوٌّ جميل من الألفة، وتبادلنا الآراء بتفهّم وحسن استماع، لاهمَّ لنا إلا الوصول إلى الحقيقة. وكنا نعمل بحماسة المؤمن يهزّنا الأمل أن يعود للعربية وجهها المشرق، وأن تتبوأ مكانتها السامية.

إن ندوتنا ستكون نقطة انعطاف هامة:

١ – أن نيسّر العربية لطالبيها، وأن نمكّنهم من تملّكها يتصرفون بها أحسن التصرف، ويحبّرون بها الكتب المفيدة، والمقالات الجميلة، ويبدعون بها.

٢ – وأن نحدّث العربية، ونفيد من طاقات العلم والتقنيات والحاسوب وسواها، للنهوض بها، وجعلها تقف في هذا الباب مع اللغات الحية المتقدمة على قدم المساواة.

وإني ليملؤني التفاؤل في بلوغ الهدف العظيم، إذ لاشيء يقف أمام الايمان والعزم، فلنمض في طريقنا، يعمر قلوبنا الايمان، ويحفز هممنا التصميم.

هاأناذا أستعرض ماقمتم به وما قدمتموه في هذه الأيام الأربعة فأحسّ بالرضا والارتياح، فليبارك الله عملنا، وليفسح لنا الطريق، وليرزقنا التوفيق.

وإني أجد في التوصيات التي انتهت إليها الندوة مايبعث على مواصلة السير لبلوغ الهدف إن شاء الله.

إني لأشكر لكم جميعاً جميل مشاركتكم، وأخص السادة الوافدين الذين أكرمونا بحضورهم، وأفاضوا علينا من علمهم وأدبهم. والسلام عليكم.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٨

أ - الكتب العربية

خير الله الشريف

- **أبناء الإمام في مصر والشام** /ابن طباطبا العلوي؛ تحقيق: محمد نصار إبراهيم- القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٤.

- **أبو عبيدة عامر بن الجراح: أمين الأمة وفاتح الديار الشامية/** محمد محمد حسن شُرّاب- ط١- دمشق: دار القلم، ١٩٩٧- (سلسلة: أعلام المسلمين ٦٧).

أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي/ مصطفى بن صالح باجو- ط١- مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩٥- (سلسلة: دراسات).

- **أجراس بال/** أراغون؛ ترجمة: صياح الجهيم- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: روايات عالمية ٦٣).

- **الأحاديث النبوية مصدراً للتشريع: شهادة تأريخية /** محمد محمد حسن شُرّاب- ط١- دمشق: دار السقا، ١٩٩٨.

- **الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي /** د. محمد علي آذرشب- تهران: سازمان مطالعة، ١٣٧٥- (سلسلة: أدبيات عرب ٤).

- **أريد قميصاً لهذا العاري** / رياض ناصر النوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٩).

- **أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره** / محمد عدنان قيطاز- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات أدبية عربية ٢١).

- **أسرار كيميائية: علمي للفتيان** / تيم فيكاري؛ ترجمة: نصرت بيرقدار- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **إشراقة أمل: قصص قصيرة**/ ابتسام شاكوش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٤).

- **الإعلام العربي وتحدي العولمة** /د. تركي صقر- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **أعلام من آل السفرجلاني منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن الخامس عشر الهجري** / جمع وتحقيق: محمد صلاح الدين السفرجلاني- دمشق: ١٩٩٨.

- **اقتصاديات البيئة: دراسات** / د. رسلان خضور- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٨).

- **الأمن الاجتماعي**/ د. كامل المراياتي، د. خالد الجابري، د. يونس التكريتي- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧. (سلسلة: المائدة الحرة ٧).

- **الإنسان وحيداً، فيدرا في كولومب، الفصل الأخير** / جيلبرت سيسبرون؛ ترجمة: حسن عودة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٤).

- **الأيام الأخيرة: بوشكين** /ميخائيل بولفاكوف؛ ترجمة: يوسف حلاق- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٩).

- **إيفيت/** موباسان؛ ترجمة: صياح الجهيم– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: روايات عالمية ٦١).

- **البرزخ والسكين/** د. عبد الله حمادي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: من الشعر العربي ٥١).

- **البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي/** د. سعد الدين كليب– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: دراسات فكرية ٣٥).

- **بييروجان/** غي دي موباسان؛ ترجمة: ميشيل خوري– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: روايات عالمية ٦٤).

- **الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها /** مريم سلامة كار، ترجمة: د. نجيب غزاوي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: دراسات نقدية عربية ٢٢).

- **التطبيع وأثره في الصراع العربي الصهيوني /**عبد الله حوراني– بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧– (سلسلة: المائدة الحرة ٨).

- **التطورات الدولية المعاصرة وانعكاساتها على الوطن العربي /** د. سعد حقي توفيق– بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧– (سلسلة: المائدة الحرة ٩).

- **تعريب العلوم: القضية /** أحمد شفيق الخطيب– بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٤.

- **تلوث الجو الداخلي: المشاكل والأولويات /** ج. ب ليسلي و ف. و. لونو؛ ترجمة: محمد أحمد حنونة؛ مراجعة: جميل الضحاك– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **الجزيرة المسحورة: قصص من شكسبير، قصص للشباب/** ايان سيرايلر؛ ترجمة: سناء إبراهيم عبد الله– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.



- **الجواهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف** / عارف أحمد عبد الغني- دمشق: دار كنان، ١٩٩٧- مجلدان.

- **الحورية الخارجة من الماء** / أليخا ندرو كاسونا؛ دراسة وتقديم: فدريكو كارلوس روبليس؛ ترجمة: علي أشقر- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٦).

- **حول توحيد المصطلحات العلمية** /أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣.

- **حول صياغة فعول من الفعل (نقل)** / أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢.

- **حول طلب الإدارة الأمريكية وقف إطلاق النار...** / مجموعة من الأساتذة- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ١٥).

- **خريف دون جوان** /جيلبر سيسبرون؛ ترجمة معن أحمد عاقل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: روايات عالمية).

- **خولة بنت الأزور: السيرة، الأشعار، الصحة التاريخية** / د. محمد علي دقة- ط١- دمشق: دار معد، ١٩٩٧.

- **دائرة المعارف الحسينية: ديوان القرن الثالث الهجري**/ محمد صادق محمد الكرباسي- ط١- لندن: المركز الحسيني للدراسات، ١٩٩٦.

- **دائرة المعارف الحسينية: ديوان القرن الرابع الهجري**/ محمد صادق محمد الكرباسي- ط١- لندن: المركز الحسيني للدراسات، ١٩٩٦- الجزء الثاني.

- **دليل المكتشفات الفلكية** / وليام ليلر؛ ترجمة: عدنان حسن- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات علمية ٣١).

- **ديوان أبي بكر الخوارزمي** / صنعه وحققه وقدم له: د.

حامد صدقي- ط١- طهران: مكتب نشر التراث المخطوط، ١٩٩٧.

- **ساعة الصفر وقصص حديثة أخرى** / مايكل سوان؛ ترجمة: هدى الكيلاني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **السحلية** / الكساندر فولودين؛ ترجمة: توفيق المؤذن- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٧).

- **السياسات الزراعية في البلدان النامية** /فرانك إيليس؛ ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٦).

- **السيدة كانت: قصص قصيرة** / بزة الباطني- ط١- الكويت: مطابع السياسة، ١٩٩٨.

- **شيخ الإسكندية وعبيده: قصص** / فيلهيم غاوف؛ ترجمة: عياد عيد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **صور ورموز** / ميرسيا ايلياد؛ ترجمة: حسيب كاسوحة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات فكرية ٣٦).

- **ضرار بن الأزور: أخباره، شعره، سيرته الشعبية** / د. محمد علي دقة- دمشق: دار معد، ١٩٩٧.

- **ظاهرة المعجمية وسبلها إلى الإحاطة بالخطاب الإنساني والعربي** / د. محمد رشاد الحمزاوي- تونس: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦.

- **عاش الموت** / فارس البحرة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٨).

- **العالم للجميع: قصص للأطفال** / محمد محيي الدين مينو- ط١- حمص: مطبعة ابن الوليد الجديدة، ١٩٩٥.

- **عزلة الملائكة** / ياسين عبد اللطيف- دمشق: وزارة الثقافة،

١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٩٨).

- **عصر النهايات القصوى** / ايريك هوبزباوم؛ ترجمة: هشام الدجاني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- جزءان (سلسلة: دراسات فكرية ٣٣). عنوان الجزء الأول: (عصر الكارثة)، والثاني: (العصر الذهبي).

- **علم النفس العام** / آ. غ. كوفاليوف، آ. آ. ستيبانوف؛ ترجمة: جوهر سعد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: الدراسات النفسية ٤٠).

- **العلم والحياة** / فرناند سفن؛ ترجمة: ميشيل خوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات علمية ٣٠).

- **الفانوس السحري: دراسات في الفن التشكيلي العالمي** /بوغوميل راينوف؛ ترجمة: ميخائيل عيد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات فنية ٢).

- **فتنة الفكر المعاصر** / عدنان زيد الكاظمي- ط٢- ١٩٩٧.

- **فراشات الحدود القصوى** /فؤاد كحل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٦).

- **الفرح** /آنا عكاش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٦).

- **فلورنتين: قصص** /جيمس كراس؛ ترجمة معن أحمد عاقل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **فهرس تراث أهل البيت** / محمد حسين الحسيني الجلالي- ط٢- بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٨- الجزء الأول.

- **الفيزياء في الطبيعة** / ل. ف. تاراسوف؛ ترجمة: د. هاشم حمادي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: علوم ٢٧).

- **قارئ الكف** / س. ل. كوستوف؛ ترجمة وتقديم: محمد سعيد الجوخدار- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٥).

- **القاشور** / محمد جاسم الحميدي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٥).

- **قصص الحب والجنون والموت** / هوار سيوكيروغا؛ ترجمة: صالح علماني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: القصة العالمية القصيرة ٢١).

- **قصص مختارة أرمينية** / واهان توتوفينتس؛ ترجمة: د. بوغوص سراجيان؛ مراجعة: شوكت يوسف- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: قصص عالمية ٢).

- **قضية ولا صلاح الدين لها** / محمد محمد حسن شُرّاب- ط١- دمشق: دار السقا، ١٩٩٨.

- **كتابات** / عبد المجيد الزهراوي؛ جمع وتحرير وتقديم: ناجي علوش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- القسم ٤و ٥- (سلسلة: قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٠).

- **الكذاب وقصص حديثة أخرى** / إسحاق ازيموف وآخرون؛ ترجمة: مها فرزات البني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **كما لو أنك ميت** / لقمان ديركي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٥٠).

- **كيف قمنا بالثورة** / عزيز نيسين؛ ترجمة: أحمد الإبراهيم- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص عالمية).

- **لطائف الأمثال وطرائف الأقوال** / الوطواط؛ تحقيق: حبيبة دانش آموز- طهران: مكتب نشر التراث المخطوط؛ منشورات أهل قلم، ١٩٩٧.

- **لغة الضاد: وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد** / مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٨.

- **اللغة العربية الحديثة** /د. محمد علي آذر شب- تهران: سازمان مطالعة، ١٣٧٦- (سلسلة: أدبيات عرب ٢).

- **الليلة التي أمضاها ثورو في السجن** / جيروم لورنس، روبرت لي؛ ترجمة: حسن بحري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٨).

- **المجمع العلمي العربي في دمشق وأثره في تطوير اللغة العربية وآدابها ١٩١٩- ١٩٦٩**/إعداد: هلال. م. ناتوت؛ إشراف: د. أحمد أبو حاقة- بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٩٠.

- **محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥- ١٩٩٦** / د. محمد إحسان النص، د. محمد زهير البابا، د. عادل العوا- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٨.

- **مديح من أهوى** /محمد عمران- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٥٢).

- **المدينة الخفية بيرلاند: قصص للشباب** / مرثيدس نيوستشافر كرلون؛ ترجمة: عبداتي أبريكة إبراهيم- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مذكرات طبيب شاب** / ميخائيل بولفاكوف؛ ترجمة: د. غسان مرتضى- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: روايات عالمية ٦٢).

- **مشكلات الأدب الطفلي** /سيسيليا ميرايل؛ ترجمة: مها عرنوق- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات نقدية عالمية ٣٣).

- **مصطلحات التكييف والتبريد والأدوات الصحية** / مجموعة من الأساتذة- ط١ - عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨.

- **مصطلحات علمية** / مجموعة من الأساتذة- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٨- القسم الحادي عشر.

- **مصطلحات الهندسة المدنية والمعمارية** / مجموعة من الأساتذة- ط١- عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨- الجزء الأول.

- **المضامين السياسية الاجتماعية للنظام الدولي الجديد**/ د. ليث الزبيدي- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ٦).

- **مطهى الألوان** / سهير يوسف ديوب- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عربية ٢٢).

- **المعاجم المتعددة: الثنائية** / أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢.

- **معلومات ووثائق من الصحافة** / مركز المعلومات القومي- دمشق: ١٩٩٧- الأعداد: ٧- ٨- ٩- ١٠- ١١- ١٢ من المجلد السابع.

- **مغامرات ستوار والدعسوقة ذات الرداء الناري الأحمر: قصة للأطفال** / فيصل الحجلي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار** / الشهرستاني؛ تحقيق وتعليق: د. محمد علي آذرشب- ط١- طهران: مكتب نشر التراث المخطوط؛ شركة إحياء كتاب، ١٩٩٧- المجلد الأول.

- **الملكوت** / عبد محمد بركو- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٧).

- **من قضايا المعجمية العربية المعاصرة** / أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

- **نظرية النحت العربية** / د. محمد رشاد الحمزاوي- ط١- سوسة: دار المعارف، ١٩٩٨- (سلسلة: الدراسات والبحوث المعمقة ١٥).

- **النقود: العملة.. العملة الصعبة** / د. أكرم الحوراني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٧).

- **النكهة الطائية في اللهجة الحائلية** / عبد الرحمن بن زيد السويداء- ط١- حائل: دار الأندلس، ١٩٩٨.

- **نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة مابعد الحداثة** /جياني ڤاتيمو؛ ترجمة: د. فاطمة الجيوشي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات فكرية ٣٧).

- **الهيمنة الأمريكية على نفط الخليج العربي** / د. ناظم محمد نوري الشمري، د. محمد أحمد الدوري- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ١٠).

- **الواقعية الاشتراكية: المغامرة والصدى** /د. وائل بركات- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات نقدية عربية ٢٠).

- **الوفا في تراجم أهل الوفا** / صلاح الدين المنداوي اليماني- صورة مخطوط.

ب – المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٩٤	١٩٩٨	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٦١٠– ٦٢١	١٩٩٨	سورية
التعريب	١٥	١٩٩٨	سورية
الثقافة المعلوماتية	٣، ٤	٩٧-١٩٩٨	سورية
الحياة المسرحية	٤٥	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦	١٩٩٨	سورية
الضاد	٣، ٤، ٥ (عدد خاص)، ٦-٧	١٩٩٨	سورية
عالم الذرة	٥٦	١٩٩٨	سورية
مجلة باسل الأسد لعلوم الهندسة الزراعية	٦	١٩٩٨	سورية
المجلة البطريركية	١٧٦-١٧٧	١٩٩٨	سورية
المجلة الطبية العربية	١٣٧	١٩٩٧	سورية
المعرفة	٤١٧، ٤١٨	١٩٩٨	سورية
الموقف الأدبي	٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧	١٩٩٨	سورية
نضال الفلاحين	٨	١٩٩٨	سورية
أنباء	٢٠	١٩٩٧	الأردن
الأنباء	من ٧٢٣- ٧٣٤	١٩٩٨	الأردن
الشريعة	٣٩١	١٩٩٨	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٥٤	١٩٩٨	الأردن
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	١٥	١٩٩٨	الإمارات

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
حوليات جامعة الجزائر	مج ٢ (١٠، عدد ممتاز) ١٩٩٧، مج ١ (١١/ ١٩٩٨)		الجزائر
مجلة العصر	١٦ (السلسلة ٤)	١٩٩٨	الجزائر
الدارة	٢	١٤١٨هـ	السعودية
عالم الكتب	٣، ٤ (مج ١٩)	١٩٩٨	السعودية
القافلة	مج ٢٦ (١- ١٢)	١٤١٨هـ	السعودية
مجلة البحوث الإسلامية	٤٥، ٤٦ (١٤١٦هـ)، ٤٧، ٤٨، ٤٩ (١٤١٧هـ)		السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	المجلد العاشر (اللغات والترجمة: ١)	١٩٩٨	السعودية
نشرة بحثية في مجالات اللغات والترجمة	١، ٢، ٤، ٥، ٦		السعودية
مجلة مجمع اللغة العربية	٢	١٩٩٧	السودان
أوراق مجمعية	١، ٢	١٩٩٨	العراق
مجلة الحكمة	١	١٩٩٨	العراق
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٤ (ج١- ج٤/ ١٩٩٧م)، مج ٤٥ (ج١/ ١٩٩٨م)		العراق
المؤرخ العربي	٥٥، ٥٦	٩٧- ١٩٩٨م	العراق
البيان	٢٧٤، ٢٨٢، ٢٨٤(١٩٨٩)، ٢٩١، ٢٩٢(١٩٩٠)، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦(١٩٩٤)، ٢٩٧-٣٠٥(١٩٩٥)، ٣٠٦-٣١٧ (١٩٩٦)، ٣١٨. ٣١٩(١٩٩٧)، ٣٣٤-٣٣٧(١٩٩٨)		الكويت
تعريب الطب	مج ٢ (٢)	١٩٩٨	الكويت
حوليات كلية الآداب	الحولية ١٨(١٢٧، ١٢٨)	٩٧- ١٩٩٨م	الكويت
دراسات عربية	٧، ٨	١٩٩٨	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٣٢، ٣٣	٩٧- ١٩٩٨	لبنان
الشراع	٦٤٧(١٩٩٤)، من ٨٣١- ٨٣٦ من ٨٣٨- ٨٤٣. ٨٧٣(١٩٩٨)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المستقبل العربي	٢٣١	١٩٩٨	لبنان
أخبار التراث العربي	مج٧ (٧٥- ٧٦)	١٩٩٧	مصر
التمويل والتنمية	مج ٣٥ (٢)	١٩٩٨م	مصر
رسالة اليونسكو	كانون الأول (١٩٩٧)، كانون الثاني، شباط (١٩٩٨)		مصر
نشرة الإيداع	كانون الثاني - شباط - آذار- نيسان	١٩٩٨	مصر
أبحاث لسانية	١، ٢ (مج١)	١٩٩٦	المغرب
التعريب	١(١٩٩٦)، ٢، ٣، (١٩٩٧)		المغرب
دراسات مغاربية	٧	١٩٩٨	المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس	٢١- ٢٢ (عدد مزدوج)	٩٦-١٩٩٧	المغرب
رسالة التقريب	١- ٤ (٩٣- ١٩٩٤م)، ٥- ٨ (٩٤- ١٩٩٥م)، ٩- ١٢ (٩٦- ١٩٩٧م)، ١٧، ١٨ (١٩٩٨م)		إيران
الدراسات الإسلامية	مج ٣٣ (١)	١٩٩٨م	باكستان
النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٤٥	١٩٩٨م	تركيا

ج - الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:
- Die Arabische Uberlieferung Der Sogennanten Menandersentenzen / Von Manfred Ulimann.- Wiesbaden , 1961 - 89p .
- Los Arabismos Del Castellano En la Baja Edad Medina , Consideraciones Historicas y Filologicas / por Felipe Milio - Salgado .- Salamanca, 1983 .- 379p.
Publ. by : Instituto Hispano - Arabe De Cultura .
- Catalogue Des Manuscrits Arabes , Deuxieme Partie" Manuscrits Musulmanis , Tome III + Index / Par Georges Vajda et Yvette Sauvan .- Paris : Bibliotheque Nationale , 1985 .- 327 p.
(Index To Tomes : II , III) .
- A Catalogue Of Accessions To The Arabic Manuscripts in The John Rylands University Library Of Manchester , With Indices / by C . E. Bosworth .- Manchester , 1974 .- 85 P.
- Colloquial English / by Harold E. Palmer .- Cambridge , 1923 .- Part (I) : 100 Substitution Tables , 102 P.
-A Conquista Da Andaluzia Pelos Arabes / Por Jorge Zaidan , Tr . De Helena Jabra Haddad .- Sao Paolo , 1974 .- 319 P .
- Dictionnaire Biographique Des Auteures De Tous les Temps et de Tous Les Pays / Par Laffont & Bompiani .- Paris , 1965 .- Tomes I , 2., (ILLUS.).

- l´Emploi et les Relations Professionelles Dans le Secteur De Raffinage Du Petrole / Prepared by : Bureau International Du Travail .- Geneve , 1998 .- 108 P.
- Einige Grundprobleme Der Autochthonen Und Der AristoTelischer Arabischen Literaturtheorie/ von Gregor Schoeler .- Wiesbaden , 1975 .- 132 p.
- Geschichte Der Araber / Verfasst Von Einem Autorenkollectiv .- Berlin , 1971 .- Band 1 , 2 , 544 P. (illus) .
- A Guide to The Iraq Museum Collections / Prepared by : Directorate General Of Antiquites in Iraq .- Baghdad , 1942 .- 141 + XXX Plates .
- Habices De las Mezquitas De la Ciudad De Granada Y Sus Alquerias / Ed . , Intr . , Por Carmen Villanueva Rico .- Madrid , 1961 .- 475 P. Publ . by: Instituto Hispano - Arabe De Cultura .
- The Hand of the Northwind , Opinions on Metaphor and The Early Meaning of Isti´Ara in Arabic Poets / by Wolfhart Reihriches .- Wiesbaden , 1977 .- 64 p . .
- Introducing Applied Linguistcs / by S. pit , Corder .- England , 1973 .- 392 p.
- Introduction to Astrology / Edited and Trans . By Michio Yono .- Tokyq , 1997 .- 319 p.- series : studia CuLturae Islamica , 62 .
publ. by : Institute for The Study of Languages and Cutures of Asia and Africa , Tokyo - Japan .
- Inventaire Des Monnaies Musulmanes Anciennes Du Musee De Kaboul / Par Dominique Sordel .- Damas , 1953 .- 442p + VI (plates). Publ . by : Institut Francais De Damas .
- Islmic Historiography , The Histories of

Mas ´udi / by Tarif Khalidi .- Albany , 1975 .- 180 p .

- The Ka ´ba in A . D. 608 / by K . A . C . Creswell .- oxford , 1951 .

A Study extracted from The Magazine : Archeologia vol . XCIV .

- Melanges Publies Par la Section Des Arabisants / Prepared by : Institut Francais De Damas .- Tome I.- Beyrouth , 1929 .- 180 P.

- Memoire / Par Taha Husayn , tr . by : Umberto Rizzitano .- Italy , 1985 .

- On Schachts´ Origins of Muhammadan Jruisprudence / by M. Mustafa AL - Azmi .- New York , 1985 .- 237 P .

- la Peintur Turque D ´Apres les Manuscrits illustres / Par Ivan Stchoukin . Part (I) Paris , 1966 .- 174p + illustrations Publ . Par : Institut Francais D´Archeologie De Beyrouth .

- Secondary Schools Today : Readings for Educators / by Frederick R . Smith and R . Bruce Mcquigg .- New York , 1969 .- 366 p .

- State of The Earth , Contemporary Geographic Perspectives /edited Akin Maboguie .- Ox ford : Blackwells 1997 .- 428 p .

by publ . by : Unesco .

- Studi - Arabo - Islamici / por Francesco Gabrieli Y Autres - Italy , 1989 .- 139 p.

- A Tagor Reader / Tagore , edited by Amiya Chakrovarty .- New York , 1961 .- 401 p.

- We Shall not Forgvie ! Moscow , 1942 .- 144 p . (illustrated) .

....

2 - Priodicals :

- Annales de la Société Géologique de Belgique , Tome (119) , Fasc . 1, 2 (1996).
- Arab - British Trade , The Monthly Journal of The Arab - British Chamber of Commerce - london . Vol . 5 , Nos . (5,6), (7,8) 1998.
- BoLetin De Academia Argentina De Letras , Buenos Aires .
Nos. : (241- 242) , (243- 244) , 1996- 1997.
- Bulletin du droit d´auteur , Editions Unesco .
No . 1, 2 , 3 , 1997
No. 1 , 1998
- Common Ground , A triannual report on Germany´s environment , Germany .
No . 2 , 1998.
- le Courier De l´unesco , Paris .
AvriL , Mai , Juin , Juillet - auot) , 1998.
- Deutschland , Magazine On Politics , Culture , Business and Science , Germany
Nos . : 2 , 3 , 1998.
- Dirasat , An Internatational Refereed Research Journal , Publ . by : The Deanship of Academic Research , University of Jordan .
Vol . 25 , Human and Social Sciences , No . 1 , 1998 Vol . 25 , Educational Sciences , No 1, 1998 .
- East Asian Review , Seoul , Korea .
Publ . by : The Institute for East Asian Studies .
Vol . 10 , No . 1 , 1998 .
- GLobal governance , A Review of MultiLateralism and International Organizations , U. S . A .
PubL . by: The United Nations University Office in North America .
No . 3 , 1997 .

- Hamdard IsLamicus , quarterLy Journal of Studies and Research in Islam , Pakistan
PubL. by : Bait Al- Hikmah at Madinat AL-Hikma. Nos . : 2, 4 (1997).
- The Middle East Journal , U . S . A
publ . by: Middle East Institute .
No . 1, Winter (1998) .
- TheMuslim WorLd , U . S . A .
publ . by : The Duncan BLack Macdonald Center at Hartford Seminary .
No . 2, April , 1998.
- le Muséon, Revue D Études Orientales , Louvain Belgique .
Tome 110 - Fasc . (3- 4) , 1997 ..
- Nature Ressources , Revue Trimestrielle De l´unesco sur l´Environnement et la Recherche sur les Ressources Naturelles , Paris , Unesco .
No (1) , Jan .- Mass , 1998 .
- Orient , Report of the Society for Near Eastern Studies in Japan .
vol . XXX III , 1998 .
- Perspectives , Revue Trimestrielle d´éducation Comparée , Unesco .
publ. by: Bureau Intrnational D´Education , unesco . No 4 , Dec . 1997 .
- Revue internationale des Sciences Sociales , unesco . No 141 , sep . 1994 .
- Review of International Affairs , Belgrade .
Nos . : 1065 , 1066 , 1067 , 1998 .
- Samsung Magazine , Korea . No . 2/ 1998 .
- Sources Unesco , paris .
Nos. : 99, 102 , 1998 .

- Studi Sull´ Oriente Cristiano , Roma .
No 2 (1) , 1998
pub L. by : Accademia Angelica -
Constantiniana Di lettere Arti E Scienze .



الفهارس العامة للمجلد الثالث والسبعين

أ- فهرس أسماء كتاب المقالات والمحاضرات منسوقة على حروف المعجم

الفهارس العامة للمجلد الثالث والسبعين

ب– فهرس المقالات والمحاضرات

منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين
وفيه تتمة بحوث ندوة
(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)
(من ٢٦حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)